وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

جامعة زيان عاشور بالجلفة

كلية الآداب واللغات والعلوم الإنسانية و الإجتماعية

قسم العلوم الإنسانية

حملة أحمد المنصور الذهبي على السودان الغربي

مذكرة تخرج لنيل شهادة الماستر تاريخ حديث و معاصر.

إعداد :

- البشير عطية
- مصطفى بن شنة

إشراف :

– عامر الهادي

الموسم الجامعي:(1434-1435هـ)(2013-2014م)

بسم الله الرحمان الرحيم

الحمد لله الذي تم بعونه انجاز هذا العمل وأساله عز وجل

أن يجعله خالصا لوجهه الكريم ثم أصلي على النعمة المهداة معلم البشرية الأخلاق صلى الله عليه وسلم – وبعد اهدي ثمرة جهدي هذا إلى :

روضة العز وغصن المحبة إلى من كانوا لنا مصباح النور و مثال الكرامة،إلى من حبهما سرى في دمي و رضاهما كل همي ، إلى من عاشا معي حلمي و زادا من عزيمتي و مددا أملي .

إليك يا من وهبتني الحياة و كنت شمعة تنير طريقي ، إليك يا من غمرتني بالحب و العطف و الحنان ، إليك يا قرة عيني

أمي العزيزة – فاطنة – .....حفظك الله ورعاك.

إليك يا من كنت مصدر العطاء بلا حدود ، إلى من وشحني بأسمى و أرق و أنبل سلوك و أعظم توصية

أبي العزيز – عامر - ..... حفظك الله وأطال عمرك.

إلى من قاسموني حياتي و كان وجودهم امتدادا لسعادتي، إلى من تمتد أواصر المحبة بينهم فيعم الرخاء والصفاء ويكتمل الشمل فتشتدّ عقدة الخيط ويزداد ترابطا وحصانة اخوتي

بارك الله فيكم.

إلى من وجه و سدد طريقي بنصائحه القيمة و الرشيدة إلى الأستاذ القدير – الهادي عامر – جزاه الله

وإلى من لم تخل عليّ بنصحها الأستاذة - معمري حفيظة – حفظها الله

وإلى من اقتحموا قلبي وسكنوا فؤادي أصدقائي الذين قاسموني حلو ومر هذا العمل وعلموني معنى الصداقة

– إبراهيم * أحمد * مختار -.....جزآكم الله عنا كل خير

إلى أعز أصدقائي(جمال).

وإلى كل طلبة قسم التاريخ وخاصة ثانية ماستر بالجلفة دفعة جوان 2014 .

إلى كل من يعرف *عطية البشير* إلى من نسيهم قلمي ولم ينساهم قلبي، إليك أيها القارئ أهدي ثمرة جهدي.

عطية البشير

الإهداء :

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي تم بعونه إنجاز هذا العمل وأساله عز وجل

أن يجعله خالصا لوجهه الكريم ثم أصلي على منارة العلم والإمام المصطفى سيد الخلق رسولنا الكريم
محمد صل الله عليه وسلم .

بدأنا بأكثر من يد وقاسينا أكثر من هم وعانينا الكثير من الصعوبات وهانحن اليوم والحمد لله نطوي سهر الليالي وتعب الأيام وخلاصة مشوارنا بين دفتي هذا العمل المتواضع .

وبعد أهدي ثمرة جهدي هذا إلى :

إلى الينبوع الذي لا يمل العطاء إلى من حاكت سعادتي بخيوط منسوجة من قلبها إلى روضة العز وغصن المحبة ، إلى من حبها سرى في دمي و رضاها كل همي ، إلى من عاشت معي حلمي وزادت من عزيمتي و مداد أملي ، إليك يا من وهبتني الحياة و كنت شمعة تنير طريقي ، إليك يا من غمرتني بالحب و العطف و الحنان ، إليك يا قرة عيني أمي العزيزة – الربح –

.....حفظك الله ورعاك .

إلى من سعى وشقى لأنعم بالراحة والهناء والذي لم يبخل بشئ من أجل دفعي في طريق النجاح ، والذي علمني أن أرتقي سلم الحياة بحكمة وصبر ، إليك يا من كنت مصدر العطاء بلا حدود ، إلى من وشحني بأسمى وأرق وأنبل سلوك وأعظم توصية أن أسير بخطى إيمانية إليك يا من كنت سندي وعوني في حياتي الدراسية بمختلف مراحلها ، إليك يارمز العز والشموخ إلى من وطأ الأشواك حافيا ليوصلني إلى ما وصلت إليه اليوم ،
إليك يا مجرى الحب وهدية القدر التي لا تقدر بثمن :

أبي العزيز - أحمد - .....حفظك الله وأطال في عمرك .

إلى من حبهم يجري في عروقي ويلهج بذكراهم فؤادي إلى من قاسموني حياتي وكان وجودهم إمتدادا لسعادتي ، إلى من تمتد أواصر المحبة بينهم فيعم الرخاء والصفاء ويكتمل الشمل فتشتد عقدة الخيط ويزداد ترابطا وحصانة إخواني وأقاربي

.....بارك الله فيكم وأطال الله في أعماركم .

إلى من وجه و سدد طريقي بنصائحه القيمة والرشيدة إلى الأستاذ القدير – الهادي عامر – جزاه الله خيرا .

إلى من علمونا حروفا من ذهب وكلمات من درر وعبارات من أسمى وأجلى عبارات في العلم إلى من صاغوا لنا علمهم حروفا ومن فكرهم منارة تنير لنا سيرة العلم والنجاح إلى أساتذتنا الكرام .
إلى كل من يعرف *بن شنة مصطفى* إلى من نسيهم قلمي ولم ينساهم قلبي ، إليك أيها القارئ أهدي ثمرة جهدي .

بن شنة مصطفى

تشكرات وعرفان

قال الرسول (ص) : من لم يشكر الناس لم يشكر الله حديث شريف

نحمد الله كثيرا ، ونشكره شكرا جزيلا لأنه سهل لنا المبتغى ، وأعاننا على إتمام هذا العمل المتواضع .

* يسعدنا أن نتقدم بعميق الشكر، و خالص التقدير إلى استاذنا الفاضل *

الهادي عامر

الذي اشرف علينا طيلة انجاز هذا البحث بنصائحه ، وإرشاداته القيمة كما تفضل علينا بوقته ،وذالك رغم انشغالاته ، وارتباطاته ، ونتمنى أن يجعل الله هذا العمل في ميزان حسناته ، وان يجعله الله ذخرا للمعهد وطلبة العلم .

كما نتقدم بالشكر للأساتذة الكرام الذين اشرفوا علينا طيلة هذه المسيرة التعليمية وسهروا لإيصال الرسالة العلمية للطلبة .

كما لاننسى أن نتقدم بالشكر إلى كل من ساعدنا من قريب أو من بعيد في انجاز هذا البحث سواء طلبة وعمال ورؤساء وأصدقاء.

قائمة المختصرات :

باللغة العربية :

ج : الجزء .

د ت ن : دون تاريخ النشر .

ص : الصفحة .

ص ص : الصفحات .

ط : الطبعة .

ع : العدد .

م : التاريخ الميلادي .

هـ : التاريخ الهجري .

مج : المجلد .

تر : ترجمة .

تح : تحقيق .

د م : دون مكان النشر .

باللغة الأجنبية :

P : page .

Op : opene citqte .

المقدمة

عرفت منطقة السودان الكبير بصفة عامة والسودان الغربي بشكل خاص ، منذ بداية امتداد المراحل الأولى للفتح الإسلامي لمناطق الشمال الإفريقي ، تأثرا مباشرا في عدة ميادين لدى أهالي السودان ، حيث شكل عامل الإسلام الركيزة الأساسية في ظهور ووضوح هذه التأثيرات المختلفة.

وبعد دخول المسلمين لشمال القارة الإفريقية وتثبيت أقدامهم في المنطقة زاد الإتصال بين العرب والمسلمين وأهالي السودان بشكل كبير ، أخذت تعاليم الدين الإسلامي الحنيف في الإنتشار في هذه المنطقة ، وهذا ما يفسر لنا عمق العلاقة التي تربط المنطقتين الشمال الإفريقي من جهة وما وراء الصحراء من جهة أخرى ، ولكن المتتبع لهذه العلاقة يلاحظ تطورا ملحوظا مع بداية القرن الثامن الهجري حتى القرن التاسع الهجري/ والرابع عشر ميلادي إلى السادس عشر ميلادي ، فيجد أن الممالك الإسلامية قد شهدت تطورا وا ٍزدهارا في أقاليم السودان في تلك الفترة ، حيث تظهر لنا الدرجة المتقدمة التي وصلت إليها المجتمعات السودانية.

كما أن التطورات السياسية التي شهدتها منطقة شمال إفريقيا قد ألقت بظلالها على بلاد المغرب الأقصى حيث عرف خلال نهاية القرن الخامس عشر ميلادي وبداية القرن السادس عشر توغلا برتغاليا في أجزائه الساحلية ، ساعده على ذلك ضعف الدولة المركزية (الدولة الوطاسية)، فقد إتسمت الأوضاع إبّان الحكم الوطاسي بالتجزئة والتدهور ، حيث لم يكن نفوذ الدولة يتجاوز القسم الشمالي من البلاد ، بالإضافة إلى وجود كيانات سياسية مستقلة لا تعترف بالحكم الوطاسي إلاّ بتبعية نسبية فقط.

ونتيجة لهذه الأوضاع قامت القبائل والزوايا بمبايعة السعديين لمواجهة الغزو الصليبي البرتغالي الذي يهدد البلاد ، وبذلك ظهرت حركة المقاومة السعدية بقيادة القائم بأمر الله ضد التواجد البرتغالي الاسباني في المغرب.

وقد بلغت الدولة السعدية أوج إزدهارها في أواخر القرن السادس عشر خاصة في عهد أحمد المنصور الذي تمكن من توطيد ركائز الدولة وتوسيع البلاد شمالا وجنوبا ، كما سعى احمد المنصور إلى فك الطوق عن المغرب من جهة الشمال (الخطر البرتغالي الاسباني)

ومن جهة الشرق (الخطر التركي) فوجه أنظاره إلى الجنوب ، حيث أرسل حملة عسكرية قامت بغزو السودان الغربي أنهت حكم الصنغاي في المنطقة .

وقد أحدثت هذه الحملة جدلا كبيرا بين المؤرخين والباحثين حيث اعتبرها بعضهم فتحاً عظيما ومساهمة من المغرب في نشر الإسلام في المنطقة ، فيما ذهب الطرف الآخر إلى اعتبار الحملة غزوة كان الهدف منها سلب الأموال وسفك دماء مسلمة وأنها كانت سببا في تدمير حضارات عظيمة نشأت في غرب إفريقيا والتي أهمها مملكة صنغاي الإسلامية.

دوافع إختيارنا للموضوع :

نظرا لأهمية هذه الحملة المغربية على السودان الغربي رأينا أن نتخذها موضوعا لمذكرة بعنوان : ** **حملة احمد المنصور الذهبي على السودان الغربي** **

وتوجد هناك دوافع أخرى جعلتنا نختار هذا الموضوع منها :

1/ أن حملة أحمد المنصور كانت من المعارك الفاصلة في التاريخ الحديث ، والتي انتهت بسقوط مملكة إسلامية على يد دولة إسلامية في إفريقيا جنوب الصحراء، ومن ثمة فهي جديرة بالبحث.

2/ ميلنا إلى هذا النوع من الدراسات التاريخية ورغبتنا الملمّة في الإطلاع على ما كُتب في هذا الموضوع .

3/ الرغبة في المساهمة في الكتابة في هذا الموضوع.

4/ تشجيع أستاذنا المشرف على خوض غمار البحث في تلك الحملة.

الإطار الزماني والمكاني للدراسة:

أما الإطار الزماني للبحث فقد حددناه من نهاية القرن 16م إلى بداية القرن 17م ،وا ن كنا قد رجعنا إلى ما قبل القرن 16م ، من أجل تمكن الباحث من فهم الإطار الواسع للعلاقات بين المغرب والسودان الغربي.

إشكالية الدراسة:

ينطلق موضوع الدراسة من سؤالين جوهريين يقوم عليهما هذا البحث ألا وهما :

* ما حيثيات حملة أحمد المنصور على السودان الغربي ؟

* وهل الحملة المغربية تركت آثارا في بلاد السودان الغربي ؟

المنهج المتبع :

إتبعت هذه الدراسة المنهج التاريخي الوصفي.

الخطة المتبعة لهذه الدراسة :

إعتمدنا في موضوعنا على خطة اشتملت ثلاثة فصول : **الفصل الأول** بعنوان **أوضاع المغرب ومفهوم السودان الغربي** وهو عبارة عن نظرة عامة لأوضاع المغرب الأقصى السياسية والعسكرية والإقتصادية والإجتماعية ، والتعريف بمنطقة بلاد السودان الغربي وما تزخر به من مؤهلات طبيعية من ثروات معدنية وغيرها وأهم الممالك التي قامت بها ، وختمنا الفصل الأول بالعلاقة التي كانت تربط بلاد المغرب وشمال القارة الإفريقية بالسودان الغربي.

أما **الفصل الثاني** فهو بعنوان **ظروف ومجريات الحملة** : والذي خصصناه لدراسة ظروف المغرب الأقصى الداخلية والخارجية وأهم أحداثها ، والدوافع التي إتخذها أحمد المنصور في تبرير حملته على السودان الغربي ، ووقائع ومجريات هذه الحملة ، وختمنا الفصل بنجاح الحملة ونهاية إمبراطورية الصنغاي .

أما **الفصل الثالث** بعنوان **الحياة الاجتماعية والثقافية والاقتصادية السودان الغربي والآثار المغربية عليها** : تناولنا فيه أهم تطورات الحياة الإجتماعية الثقافية والإقتصادية في عهد الأسكيين ، وأهم الآثار المترتبة عن الوجود المغربي في البلاد .

وختمنا المذكرة بخاتمة ضمت أبرز الاستنتاجات التي توصلنا إليها في البحث ، واتبعت الخاتمة ملاحق خاصة تضمنت خرائط ورسائل وصور ، ثم قائمة مفصلة تضمنت المصادر والمراجع والفهارس المعتمدة.

المصادر والمراجع المعتمدة :

اعتمدنا في انجاز هذه الدراسة على مجموعة من المصادر والمراجع الهامة خاصة السودانية والمغربية منها :

1/ **المصادر السودانية :**

أهمها كتاب تاريخ السودان لمؤلفه عبد الرحمان السعدي وهو كتاب يتحدث عن فترة الأسكيين وفترة حكم المغربي وبذلك يعتبر أوفر كتاب حاليا وقد اعتمدنا عليه كثيرا وخاصة في الجانب العسكري.

كتاب نيل الابتهاج بتطريز الديباج للعلامة احمد بابا التمبكتي والذي استفدنا منه في الحياة الثقافية في السودان الغربي.

2/ **المصادر المغربية :**

كتاب مناهل الصفا في مآثر موالينا الشرفاء لمؤلفه عبد العزيز الفشتالي ، وهو كتاب يؤرخ للدولة السعدية في أواخر عهد أحمد المنصور، و اعتمدنا عليه بدرجة كبيرة في جميع النواحي والذي مكننا من معرفة أخبار أحمد المنصور بشأن الحملة.

وكذلك اعتمدنا على كتاب نزهة الحادي بأخبار ملوك القرن الحادي لمؤلفه محمد الصغير الوفراني وكتاب الإستقصا لإخبار دول المغرب الأقصى لمؤلفه أحمد السلاوي والذي يتحدث الجزء الخامس منه على حملة أحمد المنصور من بدايتها إلى غاية نجاح الحملة، وكتاب وصف إفريقيا لمؤلفه الحسن الوزان والذي أفادنا بدرجة كبيرة في معرفة الأماكن والمسالك.

ومن المراجع التي إعتمدنا عليها :

كتاب مملكة صنغاي في عهد الأسكيين (1493-1591م) للأستاذ عبد القادر زبادية والذي يعطي معلومات مهمة عن المنطقة ، وكتاب بداية الحكم المغربي في السودان الغربي للمؤلف محمد الغربي والذي أفادنا كثيرا في مجريات الحملة، وموسوعة تاريخ المغرب العربي للأستاذ عبد الفتاح مقلد الغنيمي والذي ساعدنا على رؤية مآثر الحملة.

ولا نغفل عن المراجع الأجنبية منها : دراسة لحملة أحمد المنصور الذهبي على بلاد السودان 1591م قام بها henry de castries

الصعوبات:

أول الصعوبات التي واجهتنا خلال إنجاز هذه الدراسة هي :

– عدم تمكننا من الحصول على بعض المصادر السودانية ومن بينها : كتاب تاريخ الفتاش لمؤلفه محمود كعت ، وكتاب تذكرة النسيان لمؤلف مجهول .

– كما تعذر علينا الإستفادة من بعض المصادر لكونها مكتوبة باللغة الأجنبية .

– قلة المصادر والمراجع الموجودة في ولايتنا .

– عامل ضيق الوقت الذي زاحمنا .

– صعوبة قراءة المصادر التي تدرس الموضوع مما استنزف منا الوقت.

وأخيرا فإن أصبنا في شيئ من هذه الدراسة فبتوفيق من المولى عز وجل وعونه ، وا ٍن كان غير ذلك ، فحسبنا إننا اجتهدنا وحاولنا قدر المستطاع ، أملا أن نستفيد من توجيهات أساتذتنا الفضلاء الذين أُوكل إليهم عملنا للتقويم والمناقشة والتصحيح ، والله الموفق ، وهو ولي كل خير.

الفصل الأول: أوضاع المغرب والتعريف ببلاد السودان الغربي .

أولا: **أوضاع المغرب في القرن 16م .**

1/ الأوضاع السياسية والعسكرية .

2/ الأوضاع الاقتصادية .

3/ الأوضاع الاجتماعية .

4/ الأوضاع الدينية والثقافية .

ثانيا : **التعريف بالسودان الغربي .**

1/ مفهوم السودان الغربي .

2/ مؤهلاته الطبيعية .

3/ أهم الكيانات السياسية .

ثالثا : **العلاقات المغربية ببلاد السودان الغربي .**

1/ العلاقات التجارية بين المغرب والسودان الغربي .

2/ العلاقات السياسية قبل عهد المنصور .

3/ العلاقات السياسية في عهد المنصور .

قبل التطرق لأحداثٍ جرت في منطقة ما لابد من معرفة هذه المنطقة وأوضاعها ، فمثلا نجد المغرب في القرن 16 م يشهد تطورا ملحوظا في جميع الأوضاع خاصة بعد تولي أحمد المنصور الحكم في سنة 1557 م ، ويرجع ذلك إلى إهتمام المنصور بالجانب العسكري والذي إنعكس بدوره بشكل إيجابي على جميع الأوضاع في البلاد ، حيث شهد المغرب إستقرارا سياسيا كبيرا في في فترة حكم المنصور ، أما في ما يخص بلاد السودان الغربي فقد كان يمتاز في هذه الفترة بمؤهلات طبيعية كبيرة جعلته محل إستقطاب للتجمعات البشرية المختلفة ، وذلك بإعتبارها المسرح الذي جرت عليه الأحداث .

أولا : أوضاع المغرب في القرن 16م :

1- الأوضاع السياسيةو العسكرية :

عُرِفَت الدولة السعدية منذ تأسيسها عام (916هـ/1510م) بالعمل المتواصل على إقرار دعائم الدولة الناشئة والسعي إلى توحيد الصف الداخلي ، والعمل على مواجهة الخطر الخارجي(...**فجاهدوا بما حصل لهم من ذلك في حق الله حق جهاده حتى إستخلصوا من أيدي الكفار رقاب عباد الله وحصون بلادهم وأسسوا لدين الله قواعد وأركانا وملكوا من المغرب بلادا معتبرة وأوطانا...**)[1].

وعندما تمكن القادة السعديون من القضاء على الوطاسيين وفرضوا سلطانهم على معظم البلاد ، وجدوا أنفسهم أمام الخطر التركي والخطر المسيحي الإسباني والبرتغالي ، فسعى الملوك السعديون لمواجهة هذا الخطر الخارجي ، مما ساهم في الحفاظ على كيان الدولة السعدية[2] وقد عَرف المغرب في عهد السلطان أحمد المنصور إستقرارا سياسيا كبيرا وذلك بسبب سياسة المنصور الحكيمة والمتمثلة في سياسة المهادنة مع الخارج وخاصة البلدان الأوروبية مما إنعكس على إستقرار البلاد[3].

ظُم الحُكم في عهد المنصور :

1/ **الحكومة المركزية** : وفي مقدمتها البلاط المنصوري ، مقر الحكم ودواوين أعضاء الحكومة والكتّاب ، وبه تنعقد الجلسات الخاصة مع المسؤولين وكبار المستشارين ، وهو يمثل الإدارة المركزية والسلطة العليا في كل الإمبراطورية المغربية[4].

2/ **الهيئة المسؤولة** وتضم رجالا ممن يُوثَقُ بهم في المحافظة على أسرار الدولة[5] ، كما تتكون هذه الهيئة من :

01/ **السلطة السياسية كانت تتكون من :**

* **الحاجب** : المسؤول الأول عن حكومة المنصور.

1- عبد العزيز الفشتالي ، **مناهل الصفا في مآثر موالينا الشرفا** ، تح: عبد الكريم كريم ، الرباط ، 1972م ، ص : 65.
2 - عبد الكريم كريم ، **المغرب في عهد الدولة السعدية** ، ط3 ، 2006م ، منشورات جمعية المؤرخين المغاربة ، الرباط ، 2006م ، ص : 227.
3 - نفسه ، ص : 228.
4 - نفسه ، ص : 229.
5 - عبد العزيز الفشتالي ، المصدر السابق ، ص : 147.

* **كاتب السر** :الذي يحُافظ على سِر الدولة.
* **أصحاب المشورة** :وهم الذين يُشكلون الهيئة الإستشارية والذي يلجأ إليهم المنصور في إستشارتهم عندما ينوي الإقدام على شئ ما.
* **صاحب المظالم** : وهو الذي يتلقى شكاوى المظلومين والذي بدوره يرفعها إلى المنصور للبث فيها[1]؛ كما كان هناك مساعدون لصاحب المظالم والذي يُعد منصبه من أرفع الرتب إذ هو كالوزير والحاجب[2].

02/ الجهاز الإداري :

نَظَّم المنصور منذ توليه الإدارة المغربية وضبطها بما لم يكن معروفا من قبل(...**إلى أن صار الملك والخلافة للمولى...الإمام المنصور...رتب الألقاب وآخى بحسن سياسته وجعل بين العرب والعجم رحم الخدمة الواصلة وقربى الصداقة الجامعة...**)[3].

ومن جهة أخرى إلتزم الملوك السعديون ببعض التقاليد المعينة في إستقبال السفراء لاسيما أحمد المنصورالذي توافد على بلاطه سُفراء وشخصيات من بلاد كثيرة كتركيا وفرنسا وبورنو والحجاز وبيت المقدس وإسبانيا والبرتغال وغيرها ، ومن أشهر البعثات الدبلوماسية سفارة فليب الثاني إلى أحمد المنصور[4] برئاسة (دون بيدرو فينيكاس) عام 1579م ، وقد وفدت محملة بالهدايا إلى السلطان المغربي وتطلب منه أن يتنازل لإسبانيا عن ميناء العرائش ، كما تشكره على تسليم جثة سباستيان بدون مقابل[5].

إهتم السلاطين السعديون بالجانب العسكري وأولوا له الإهتمام الأكبر حيث سعوا إلى بناء هذه القدرات الحربية دعما لنفوذهم و حماية تراب البلاد ودفعا للأخطار المُحدقة بها من كل جانب ، فكان الإهتمام الأول بل العناية الأولى هي بناء جيش قوي ، ذلك لأن الجيش هو عماد قوة الدولة وأساس سَطْوَتِهَا وإستقرارها وتوسعها في الأراضي المجاورة وتحرير الثغور المحتلة ومهابة للأعداء والطامعين في حدود البلاد ، فقد كانت القوة العسكرية هي السند الأكبر للخليفة في حسم صراعه الداخلي مع الذين يُنَاوِئُونَه في الحكم والقضاء على

1 - عبد الكريم كريم ، المرجع السابق ، ص : 230.
2 - إبراهيم حركات ، **المغرب عبر التاريخ** ، مج2 ، ط1 ، دار الرشاد الحديثة ، الدار البيضاء ، 1978م ، ص ص : 391.
3 - عبد العزيز الفشتالي ، المصدر السابق ، ص : 201.
4 - أنظر الملحق رقم : 11.
5 - إبراهيم حركات ، المرجع السابق ، ص : 376.

الثورات والتمردات الداخلية ، فمن كان يملك القوة العسكرية كان يملك الحُكم لأنه لم يخلوا عهد من عهود حكام الدولة السعدية من الفتن والثورات الداخلية والتدخلات الأجنبية[1].

أما في عهد أحمدالمنصور فقد إهتم هذا الأخير بتنظيم الجيش المغربي وا ٍعداده أحسن إعداد[2] ، وذلك ليتمكن من إقرار الأمن في البلاد وليضبط شؤون الإدارة والدولة ، لذلك أولى إهتماما كبيرا بالجيش وزوده بالمعدات الحربية المتطورة ، كما جعلها رهن إشارته بإعتباره القائد الأعلى والذي بيده مقاليد الأمور[3] ، كما إصطفى من العجم والترك بعض الموالي رباهم وشملهم بإحسانه وأخلصوا في خدمته[4] ، وقد إشتهر منهم مصطفى باي قائد الأصباحية وهم حرس السلطان ، والباشا محمود وهو صاحب خزائن الدار والذي بيده مفاتيح بيوت الأموال ، والقائد علوج قائد جيش العلوج والباشا جوذر قائد جيش الأندلس ومنهم قائد جيش السوس ، وقد كو ّن المنصور من هؤلاء قوات عسكرية تمكن بفضلها من إقرار الأوضاع الداخلية وقمع كل الثورات التي قامت ضده[5](...**إصطفى من العجم موالي أنبتثهم نعمته ودربتهم تربيته فنجبت طوائف عديدة ليس منهم فتى إلا أضخم حالا وأعظم شأنا...وقسم الجند إلى أقسام وأصناف وأمواع وعلى كل قائد يسوس أمرهم ، وا ٍخترع الألقاب والأسماء ليمتاز بها البعض عن البعض الآخر وجعل الجيش والقواد طبقات متفاوتات في الخطوة...**)[6].

◄وقد كان الجيش المغربي عموما مقسما إلى قسمين :

***جيش نظامي :**

يتكون من 40.000 جندي[7] وهي القوات المحاربة والتي تتكون من جيش الأصباحية (جيوش النار) وجيش الموالي المعلوجي من عساكر النار المعروف بجيش الإنكشارية وجيش الأندلس من جيوش النار وكانت تخضع لتسلسل في الرتب العسكرية(**الباشوات**

---

1 - عبد الفتاح مقلد الغنيمي ، **موسوعة تاريخ المغرب** العربي ، دراسة في التاريخ الإسلامي بني وطاس والسعديين وظهور الأشراف العلويين ، ج6 ، ط1 ، مكتبة مدبولي ، 1994م ، ص ص : 270-271.

2 - حسين مؤنس ، **تاريخ المغرب وحضارته من قبل الفتح الإسلامي إلى الغزو الفرنسي** ، مج 2 ، ج2 ، ط1 ، العصر الحديث للنشر والتوزيع ، الجزائر ، 1992م ، ص : 191.

3 - عبد الكريم كريم ، المرجع السابق ، ص : 238.

4 - عبد الفتاح مقلد الغنيمي ، المرجع السابق ، ص : 272.

5 - حسين مؤنس ، المرجع السابق ، ص : 192.

6 - عبد العزيز الفشتالي ، المصدر السابق ، ص : 201.

7 - عبد الفتاح مقلد الغنيمي ، المرجع السابق ، ص : 272.

والقواد والكواهي والمقدمون والباشطوظات وبلكباشوات والضباشيات وولضاش والأجناد)[1] ، وقد كان الجيش المغربي مقسما إلى فرق ووحدات متخصصة كل منها يؤدي مهام خاصة ، ويمتلك أسلحة مختلفة مخصصة لكل فرقة كسلاح المدفعية والمشاة والفرسان والدروع وغيرها من الفرق المختلفة[2] ، وقد بدى المنصور حِرصا شديدا على تزويدها بأحدث وسائل القتال وأسلحة النار(...**وعساكرنا قاذفة بشواظ النار وحصباء البندق المنهل بسحائب من البارود مركوم تزجيه الرعود القاصفة والصواعق الراجفة تتبعها الرادفة...)**[3].

***جيش إحتياطي** : ويقدر عددهم بحوالي 200.000 جندي وهم من المتطوعين من القبائل الموالية للدولة أو من المُحَالين على العمل المدني بعد أدائهم الخدمة العسكرية ويتم إستدعائهم إذا تعرضت البلاد للخطر[4] ، كما أستعملت كل المصطلحات العسكرية التركية تقريبا ومنها : الأودباشي والتي تعني ملازم ، كاهية والتي تعني كولونيل ، الباي والتي تعني قائد القوات ، شاوش هو قائد يقوم عمله على ترتيب الجيش وتبليغ الأوامر السلطانية الطوبجي والتي تعني المدفعي[5].

أما القوات البحرية : فقد قام المنصور بتحصين بعض الموانئ المغربية الصالحة لرسو الأساطيل وقام بتنظيم قيادة الأسطول بأن(...**عقد على رياسته لرجل مغربي إسمه الرايس إبراهيم الشط المثل المضروب في الشجاعة والمعرفة بأحوال البحر...)** ، وبعده تولى الرايس شعبان هذه المهمة كقبطان للأسطول الأمامي الجهادي ورئيس الجماعة من رؤساء المراكب الجهادية والقطع البحرية سنة 1596م[6].

2- الأوضاع الإقتصادية :

أ/ في المجال الزراعي :

إهتم السلاطين السعديون بالقطاع الزراعي إهتماما كبيرا وذلك من خلال توفير كل الشروط الملائمة للنهوض بهذا القطاع ، من خلال توزيع الأراضي على القبائل وتوفير

1 - عبد الكريم كريم ، المرجع السابق ، ص : 240.
2 - عبد الفتاح مقلد الغنيمي ، المرجع السابق ، ص: 273.
3 - عبد العزيز الفشتالي ، المصدر السابق ، ص : 126.
4 - عبد الفتاح مقلد الغنيمي ، المرجع السابق ، ص : 273.
5 - إبراهيم حركات ، المرجع السابق ، ص : 403-404.
6 - عبد العزيز الفشتالي ، المصدر السابق ، ص : 205.

الأمن للفلاحين وشق القنوات للري وغرس الأشجار المثمرة وتربية الماشية[1] ، وتبرز أهم المناطق الزراعية في المغرب في هذا الوقت في ناحية مدينة فاس التي لم يكن شبر منها غير مغروس كما كانت نواحي مـ ُ راكش وتافيلالت أرض خصبة كثيرة الأراضي الزراعية وتعج بقطعان الماشية ، وقد وصف مورمول مدينة تارودانت على أنها جنة الجنوب بفواكهها وكـُرومها وز ُ يوتها وحيواناتها الوحشية ، أما في الغرب فواظب العرب على تربية الخيول والإبل[2].

كما يبرز الإهتمام السعدي بالزراعة من خلال زرع قصب السكر على ضفاف نهر السوس[3] ، وذلك لملائمة التربة هناك ووفرة المياه للري حيث كثرت زراعة قصب السكر في هذه المنطقة وخاصة في مدينة تييوت ومدينة تيدسي[4] ، ويقول الفشتالي في ذلك : (...**حتى (...حتى عم الإغتراس بالقصب الأوطان...)**[5] ، وفي ناحية مراكش حيث لعبت هذه المادة الدور الأول في التجارة الخارجية للمغرب فقد كانت تمثل موردا أساسيا للدولة ، حيث أصبح الطلب على هذه المادة بشكل كبير وخاصة من طرف الدول الأوروبية خلال القرن السادس عشر ميلادي وقد كان المغرب أول بلد يصدر السكر في تلك الفترة[6]، حيث إستغلّ أحمد المنصور أرباح السكر التي كانت أوروبا تـُقبل على إستيراده في إثراء البلاد[7].

وفي الربع الأخير من القرن السادس عشر توافد العشرات من المهاجرين الأندلسيين للمغرب نتيجة المضايقات التي لقيتها الأقليات في إسبانيا حـ َمـ َلوا معهم خبراتهم في ميادين الزراعة والصناعة والتجارة[8] ، وهذا ما إستغله السلطان عبدالله الغالب حيث أقطعهم أراضٍ فسيحة في مدينة مراكش غرسوها بمختلف أنواع الأشجار المثمرة كالزيتون وغيره ، وحولوها إلى بساتين غاية في الجمال ذات إنتاج وافر ، كما خصص لهم السلطان مـ ُرتبات كالجنود وأجرى لهم مجارٍ مائية لري تلك الأراضي ، كما قام أحمد المنصور بعده بتوزيع

---

1 - ناصر الدين سعيدوني ، **مجلة الدراسات التاريخية** ، مجلة دورية يصدرها معهد التاريخ بجامعة الجزائر ، العدد الثالث 1987م/1407هـ ، ص : 70.

2 - محمد الغربي ، **بداية الحكم المغربي في السودان الغربي** ، ج1 ، مؤسسة الخليج للطباعة والنشر ، 1982م ، ص: 80.

3 - ناصر الدين سعيدوني ، المرجع السابق ، ص : 70.

4 - الحسن الوزان ، **وصف إفريقيا** ، جزءان ، تحقيق : محمد حجي ، محمد الأخضر ، ط2 ، دار المغرب الإسلامي ، بيروت ، 1983م ، ج1 ، ص : 115.

5 - عبد العزيز الفشتالي ، المصدر السابق ، ص :210.

6 - ناصر الدين سعيدوني ، المرجع السابق ، ص : 70.

7 - عبد الفتاح مقلد الغنيمي ، المرجع السابق ، ص : 196.

8 - محمد الغربي ، المرجع السابق ، ص : 80.

الأراضي على الفلاحين ، وألزم بعض القبائل المترحلة على الإستقرار في البادية والإشتغال بالزراعة فيها[1].

ونتيجة وفرة الأمن والإستقرار خاصة في عهد عبدالله وأحمد المنصور وا ٍهتمامهما بالزراعة إنتعش القطاع الزراعي بشكل كبير ، حيث كثرت المحاصيل الزراعية والماشية وا ٍزدهرت الحياة في الريف كما نجد في مذكرة (وليم لانكوا لاسكوتلندي) ما يؤكد ذلك بقوله:(..**كُنّا نجد في كل مكان.الخبز الوافر والدجاج السّمين والتّين الكثير والفواكه الأخرى كالزيتون والزيت..وعلى هذه التلال شاهدت الحقول المكسوة بقُطعان الغنم والماعز...)**[2].

ب/ في المجال الصناعي :

أَولَى السلاطين السعديون الصناعة إهتماما كبيرا من خلال إقامة العديد من المصانع لصناعة قصب السكر حيث بلغ عددها أربعة عشر مصنعا فقد كان المغرب البلد الوحيد في العالم الذي يصدر السُكر في ذلك الوقت[3].

كما كان لصناعة الذخيرة والأسلحة المختلفة من مدافع وبنادق النصيب الأكبر وذلك لحاجتهم إليها في حروبهم وتوسعهم ، حيث بنى محمد الشيخ السعدي ثلاثة مصانع في كل من تارودانت ومراكش وفاس وذلك لإنتاج الأسلحة المختلفة[4] ، كما أن السلاطين عبدالله وعبد الملك وأحمد المنصور إهتموا أيضا بصناعة الأسلحة فعبد الله أنشأ مصنعا في مراكش وسماه (الترسانة)[5] ، وعبد الملك إهتم بصناعة الأسلحة والذخيرة حيث كان مهددا بحملة برتغالية كبيرة ، كما أن أحمد المنصور إهتم بصناعة الأسلحة والذخيرة والتي بفضلها إنتصر الجيش المغربي في معركة وادي المخازن على البرتغاليين في سنة 1578م[6] ، كما أنشأ المنصور مجمعا للمدافع سمّاه (دارالعدة) على مقربة من مراكش ، وفي ذلك يقول عبدالعزيز الفشتالي:(...**وأما مايفرغ مع مدافع ، ومكاحلها بدار العدة قرب أبوابهم الشريفة...إلى ما**

---

1 - نصر الدين سعيدوني ، المرجع السابق ، ص : 71.
2 - نفسه ، ص : 72.
3 - محمد الغربي ، المرجع السابق ، ص : 81.
4 - نصر الدين سعيدوني ، المرجع السابق ، ص : 73.
5 - محمد الغربي ، المرجع السابق ، ص : 81.
6 - نصر الدين سعيدوني ، المرجع السابق ، ص : 74.

يجلب مع الأحيان على يد المعاهدين من التجار الحربيين من السيوف الهندية والقسي الرومية ، والمكاحل النارية فشئ غصت به الخزائن السلاحية والديار العادية...)[1].

ولما آل الحكم إلى عبد الملك سنة 1576م قام ببناء أسطول من السفن في العرائش وسلا حيث بلغ عدده أربعين سفينة ، وفي عهد أحمد المنصور إهتم بصناعة السفن وشرائها من الدول الأروبية ، كما إستورد العتاد من إنجلترا [2] ، ويقول عبدالعزيز الفشتالي في صدد ذلك:(**ثم صرف همته أيده الله إلى إتخاذ الأسطول برباط سلا أمـّ نه الله فتعددت مراكبه...)**[3].

كما إهتم السعديون بإستخراج المعادن وتصنيعها محليا وتصدير الفائض إلى الخارج فقد كان النحاس والحديد يـُستخرجان ويـُستعملان في صنع المدافع وتصنيع مختلف الآلات في عدة مصانع كمصنع (أفران) بأقصى جنوب المغرب ، كما إهتموا بإستخراج ملح البارود من عدة مواقع وتصنيعه محليا ، وقدكان ملح البارود المراكشي يـُستبدل بالسلاح مع إنجلترا[4].

كما أن لصناعة الذهب أهمية كبيرة أيضا حيث كان الذهب الذي يحصل عليه محمد الشيخ من تيغازة بشمال السودان يـُصهر ويـُوزع ويـُعلّم في بلدة تاراجال ، بدرعة جنوب المغرب قبل حمله إلى مراكش ، كما سـُمي السلطان أحمد المنصور بالذهبي ذلك لكثرة ما يملكه من الذهب[5] ، فقد ظلت خزائن المنصور تفيض بالذهب عدة سنين ، حيث فاض عن عن حاجة المغرب وقدمت منه عطاءات وديون لملك فرنسا والدوق أنطونيو المطالب بعرش البرتغال[6] أما الصناعات التقليدية فقد شهدت توسعـًا دون أن يطرأ عليها أي تحول يـُذكر في الأشكال وطرق المعالجة منذ عهد المرينيين[7].

ج/ في المجال التجاري :

إهتم السعديون بالتجارة الداخلية والخارجية إهتماما كبيرا ، فعملوا على توفير الأمن والإستقرار في الطرق والأسواق وفي الأرياف والمدن وا يجاد المنافذ البحرية التي تربط التجارة

---

1 - عبد العزيز الفشتالي ، المصدر السابق ، ص : 210.
2 - ناصر الدين سعيدوني ، المرجع السابق ، ص : 75.
3 - عبد العزيز الفشتالي ، المصدر السابق ، ص : 204.
4 - عبد الفتاح مقلد الغنيمي ، المرجع السابق ، ص : 195.
5 - ناصر الدين سعيدوني ، المرجع السابق ، ص : 76.
6 - عبد الفتاح مقلد الغنيمي ، المرجع السابق ، ص : 196.
7 - محمد الغربي ، المرجع السابق ، ص : 81.

المغربية بالتجارة الأوربية وغيرها ، وقد إختص الموريسكيون الأندلسيون واليهود وبعض الشركات الأجنبية بالتجارة حيث لم يستطع المغاربة منافستهم لقوتهم التجارية[1].

كما قام السعديون ببناء الحاميات في عدة مناطق وذلك لوفير الأمن في الطرقات والأسواق ، كما حاولوا تحرير بعض المواقع على الساحل الأطلسي مثل : تفتننت عام 1510م وآغادير عام1541م ، كما تركزت جهودهم في مد نفوذهم إلى واحات توات وذلك لأهميتها الجغرافية حيث كانت تتجمع فيها القوافل التجارية الذاهبة لبلاد السودان والآتية منها والمتوجهة إلى الجزائر وتونس والمغرب ، كما أن السلاطين السعديون قاموا بعدة تدابير وذلك للنهوض بالقطاع التجاري وا ٍنعاشه ونذكر منها :

التخفيف من الرسوم الجمركية على التجار المغاربة والأجانب ، والمعاملة الحسنة للتجار الوافدين إلى المغرب ، وبناء الجسور على الأنهار وتسهيل المواصلات في الموانئ داخل المغرب ، توفير العملة النقدية وخاصة في عهد المنصور ، وبفضل هذه التدابير عرفت تجارة المغرب الداخلية والخارجية تطورا كبيرا حيث إزدهرت التجارة الخارجية مع عدة دول كأوروبا **(**إنجلترافرنسا وا ٍسبانيا وا ٍيطاليا وهولندا**)** ومع بلاد السودان الغربي و مع الجزائر ومع تونس ومع بلدان المشرق العربي[2].

أهم الصادرات :

مثل : السكر والمواشي والتمر و المعادن كالنحاس وملح البارود و اللوز و الذهب.

أهم الواردات :

مثل : الأسلحة والسفن و التجهيزات الصناعية والنسيج والقصدير[3].

أهم المراكز التجارية :

01 – مراكش : أصبحت المدينة مركزا تجاريا يقصده المغاربة والأجانب.

02 – تارودانت : أصبحت في عهد السعديين إحدى أهم المدن التجارية في إفريقيا.

03 – أغادير و آسفي : أصبحت من أهم المراكز التجارية.

04 – سلا، العرائش ، تطوان : إزدهرت بالتجارة والمراكز التجارية.

05 – تافيلالت أو سجلماسة : إهتم سكانها بتجارة الجلود و التمور وغيرها والتي أقبل

---

1 - محمد الغربي ، المرجع السابق ، ص : 81.

2 - ناصر الدين سعيدوني ، المرجع السابق ، ص ص : 77-78-79.

3 - محمد الغربي ، المرجع السابق ، ص : 81.

عليها الأوربيون خاصة إسبانيا ومن بلاد البربر لشرائها[1].

3- الأوضاع الإجتماعية :

شهدت جوانب الحياة الإجتماعية المغربية نوعا من الترف والرخاء تجلى في أعظم صورة في أساليب المعيشة والحياة الإجتماعية الجيدة[2] ، وذلك نتيجة التقدم والإزدهار الحضاري والثقافي والعلمي والإقتصادي ، والذي إنعكس بدوره على أساليب الحياة اليومية وما تلاها من تغير إجتماعي أدى إلى الإنتعاش في جميع النواحي وخاصة في عهد السلطان أحمد المنصور[3].

◄ **أما المجتمع المغربي فقد كان يتكون من فئتين هما :**

أ/ المدن : وقد كانت نسبتهم ضعيفة بسبب قلة عدد المدن وهذه المدن بدورها كانت تنقسم إلى قسمين :

*القسم الأول : مراكش العاصمة السياسية وفاس والمحمدية بسوس.

*القسم الثاني : بقية المدن الأخرى[4].

ب/ الباديةويُكونون الأغلبية العُظمى في المجتمع المغربي بسبب إعتماد البلاد على الزراعة وتربية الماشية كمورد أساسي للحياة ، ونتيجة هذا إنتعشت حياة البادية المغربية وتطور عُمرانها وازدادت مظاهر الترف(...**وطاب الجنى وذرت أخلاف الجباية فإمتلأت بيوت المال وغصت بالحبوب مخازن الأقوات...**)[5].

◄ **أما تصنيف طبقات المجتمع المغربي فهي كالتالي :**

أ) **البلاط الملكي وأفراد الأسرة السعدية الحاكمة** :كان المنصور يُولي البعض منهم مهام سياسية أو يقطعهم ولايات خاصة مع الإحتفاظ بهم في بلاطه وبين يديه[6].

ب) **كبار القوم (الحكام السياسيين أو القادة العسكريين) :** كانوا يعيشون حياة الترف بسبب الهبات والإنعامات المتوالية التي كان المنصور يعطيها لهم في مختلف المناسبات (...**ومن كرمه الذي كاد أن يكون كالسنة الجارية الصلات والعوائد التي يصل بها أيده الله خاصته**

---

1 - ناصر الدين سعيدوني ، المرجع السابق ، ص ص : 85-86.
2 - عبد الفتاح الغنيمي ، المرجع السابق ، ص : 264.
3 - نفسه ، ص : 258.
4 - عبد الكريم كريم ، المرجع السابق ، ص : 268.
5 - عبد العزيز الفشتالي ، المصدر السابق ، ص : 40.
6 - نفسه ، ص : 290.

وأهل بساطه غالبا عند المواسم...)[1].

ج) **والطبقة الثالثة كانت تتألف من** الشُرفاء والقُضاة و والفُقهاء و الكُتَّاب والشُعراء ور ُؤساء القبائل والشُيوخ [2].

د)**التُجار المغاربة** :يُشكلون نواة الطبقة البرجوازية حيث أخذت هذه الطبقة في الظهور نتيجة إزدهار أعمال التجارة الداخلية والخارجية للمغرب وتشجيع ودعم المنصور لهم.

هـ) **فئة العامة**تضم أرباب الحِرف وطبقات الجُند وجمهور الشعب في المدن والبوادي وفي السهول والجبال[3].

***الفئات الأجنبية الموجودة في المغرب :**

أ) **الموريسكيون** : وهم فئة هاجرت من الأندلس إلى المغرب بعد سقوط الأندلس في يد النصارى الإسبان وا ٍضطهادهم للمسلمين في تلك البلاد ، وقد ساهمت هاته الفئة في إنعاش الإقتصاد المغربي.

ب) **العلوج** : وهم نصارى يدخلون في الإسلام طواعية أو عن طريق الإغراء[4].

ج) **اليهود** : معظمهم هاجر من الأندلس إلى المغرب بعد سقوط الأندلس في يد النصارى نتيجة أعمال الإضطهاد ، وقد ساهموا بشكل كبير في التجارة[5].

د) **الأتراك** : وهم فئة قليلة أغلبهم كان في الجيش المغربي[6].

هـ) **الأجانب المسيحيين** : لقد إختلفت وضعية هؤلاء الأجانب في المغرب إذ كان منهم السفراء والدبلوماسيين والتُجار والرحالة وكان منهم رجال الدين الرهبان والأسرى[7].

4/ الأوضاع الثقافية والدينية :

إهتم السلاطين السعديون بالجانب الثقافي إهتماما كبيرا حيث سعوا إلى مسايرة النهضة العلمية والثقافية والحضارية ، وجعل المغربٍبلدا متطورا من الناحية العلمية والثقافية

---

1 - عبد العزيز الفشتالي ، المصدر السابق ، ص : 229.
2 - نفسه ، ص : 229.
3 - عبد الكريم كريم ، المرجع السابق ، ص : 291.
4 - إبراهيم حركات ، المرجع السابق، ص : 413.
5 - عبد العزيز الفشتالي ، المصدر السابق ، ص : 210.
6 - إبراهيم حركات ، المرجع السابق ، ص : 416.
7 - عبد الكريم كريم ، المرجع السابق ، ص : 293.

والحضارية ، فقد شهدت البلاد في عهد الأشراف السعديين نوعا من التقدم والإزدهار الحضاري والثقافي والعلمي ، مما جعل المغرب الأقصى يتزعم الحياة الثقافية والعلمية والفكرية في بلاد المغرب العربي كله في تلك الفترة ، وتجلى ذلك في المدارس المختلفة الموجودة في المغرب الأقصى التي كان لها دور كبير في إثراء الحركة الثقافية والفكرية حيث برزت عدة مدارس منها : مراكش وفاس وسجلماسة وتارودانت واغمات وسلا والعرائش وأغادير وغيرها من المدارس العلمية والثقافية[1].

وقد كان للملوك السعديين إهتمام كبير باللغة العربية وخاصة فنون الأدب حيث كان المهدي يحفظ ديوان المتنبي عن ظهر قلب ، وكان أحمد المنصور مشاركا في معارف عصره وله شعر غزير تميز بالأصالة والرقة ، أما محمد المأمون ففضلا عن ثقافته الأدبية كان ذا معرفة بالطب أيضا ، كما كان لكثير من ملوك السعديين عطف خاص على المثقفين إلى درجة حضور جنائزهم شخصيا ومثال ذلك حضور محمد المتوكل جنازة أبي القاسم الدكالي[2].

كما تعددت المراكز الثقافية أيام السعديين في المدن والأرياف وتزايد عدد العلماء وطلبة العلم بعد أن أخذت الأحوال الداخلية تستقر ، والأمن ينتشر في طول البلاد وعرضها ، وأسباب العيش تتيسر بسبب تحسن الأوضاع الإقتصادية ، وقد تطعمت العناصر العلمية الوطنية بأخرى أندلسية وشرقية ، فإزدادت آفاق المعرفة إتساعا أمام الراغبين في الدراسة والتحصيل ، وغدا الطلبة يجدون في ديارهم ما كان أسلافهم لايجدوه إلا بالترحال والإغتراب[3].

ومن جهة أخرى شهد المغرب في عصر أحمد المنصور نهضة علمية وثقافية كبيرة[4] وتجلى ذلك في تزايد معاهد العلم والدراسة ، وكثرة العلماء والفقهاء ورجال الدين وطلبة العلم وتعدد إختصاصاتهم في شتى المجالات[5]، كما قام المنصور بتجديد المدارس القديمة وا إنشاء وا إنشاء مدارس جديدة في كافة أرجاء البلاد المغربية ، وقد برزت عدة علوم في هذه الفترة

---

1 - عبد الفتاح مقلد الغنيمي ، المرجع السابق ، ص ص : 284-285 .
2 - إبراهيم حركات ، المرجع السابق ، ص ص : 451-452 .
3 - محمد حجي ، **الحركة الفكرية بالمغرب في عهد السعديين** ، ج2 ، منشورات دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر ، الرباط ، 1978م ، ص : 339.
4 - عبد الفتاح مقلد الغنيمي ، المرجع السابق ، ص : 292.
5 - عبد الكريم كريم ، المرجع السابق ، ص : 307.

كعلم الطب والهندسة والجبر والكيمياء والصناعات الحربية والعلوم الشرعية وغيرها من العلوم الأخرى[1] ، إضافة إلى ذلك تشجيعه للعلم وحثه للعلماء على التأليف في شتى أنواع المعرفة[2].

وقد إشتهر المنصور بجمع الكتب وتحبيسها ، ولا تزال العديد من المخطوطات المحبوسة بإسمه في جامع القرويين[3] ، ومما يشهد على إهتمام المنصور بالعلم ما إشتملت عليه خزانته التي تحتوي على العديد من المؤلفات الضخمة والعظيمة في ذلك العصر[4] ، كما كان المنصور ذو علم بالتأليف والكتابة ويشهد له بذلك كتابه الذي ألفه والذي هو بعنوان (الشؤون السياسية والعسكرية) ، ووضع عدة تعاليق على عدة كتب كما كان في نيته وضع ديوان جامع لقصائد الشعراء من أهل البيت[5].

وشهدت مراكش كذلك عدد كبير من شخصيات الفكر أمثال : أبي فارس الفشتالي وابن القاضي ومحمد شقرون مفتي مراكش والشيظمي وهم من الأدباء المقربين إلى البلاط الملكي ، وقد عم التعليم في القرن السادس عشر ميلادي في عدة مدن صغرى و في مراكز قروية شتى في جميع أنحاء البلاد[6] ، و نجد من أهم المراكز الثقافية فاس ومراكش والمحمدية[7].

كما إهتم السلاطين السعديون بالجانب الديني فأولوه إهتماما كبيرا بإعتباره العماد الأكبر لدعوتهم ، فقد قامت الأسرة السعدية على الشرف السعدي القرشي النبوي والإهتمام بعلوم الشرع والدين[8] ،وا ٍتخذ السعديون من الإنتماء إلى السلالة النبوية وسيلة كسب مزيد من إحترام الشعب المغربي وتقديسه[9].

وقد شهد العصر السعدي إزدياد دور الزوايا والطرق الصوفية كالشاذلية والقادرية و الجزولية والجيلانية وغيرها من الطرق الصوفية التي إستقطبت حولها العديد من أبناء

---

1 - إبراهيم حركات ، المرجع السابق ، ص : 451.
2 - عبد الكريم كريم ، المرجع السابق ، ص : 317.
3 - إبراهيم حركات ، المرجع السابق ، ص : 452.
4 - عبد الكريم كريم ، المرجع السابق ، ص : 324.
5 - إبراهيم حركات ، المرجع السابق ، ص : 452.
6 - نفسه ، ص : 453.
7 - محمد حجي ، المرجع السابق ، ص :345.
8 - عبد الفتاح مقلد الغنيمي ، المرجع السابق ، ص : 285.
9 - إبراهيم حركات ، المرجع السابق ، ص : 356.

الشعب المغربي ، والتي كان لها دور كبير في الجهاد ضد العدو المحتل والعمل والعبادة ونشر العلم[1] ، كما أن الدعوة السعدية نفسها قامت على أكتاف رجال الطريقة الصوفية الجزولية[2] ، كما كانت البيعة تأخذ صفة رسمية ذلك لأن الخلفاء كانوا حريصين على أن يشهد هذه البيعة كبار رجال الدين والعلماء والفقهاء وكبار القوم وكبار الجيش وأهل الحل والعقد في البلاد وكانت تصدر المراسيم وتوزع في جميع أنحاء البلاد[3].

وفي عهد أحمد المنصور شهد المغرب نهضة علمية ودينية كبيرة تجسدت في إهتمام وتشجيع أحمد المنصور للعلم والعلماء[4] ورجال الدين والفقهاء وطلبة العلم[5] ، كما كان المنصور يـُكِنُ للعلماء إحتراما كبيرا[6] ، **(...وكل هؤلاء أيده الله يؤثره بالمواكلة معه في مائدته...ويتاحفهم بهداياه وطرقه إلى منازلهم وأبياتهم وكل ذلك إجلالا للعلم ومحبة لأهل الخير وتوددا لأهل الدين...)**[7] ، كما إهتم المنصور بعلوم الدين كاللغة العربية وعلم الحديث الحديث والتفسير والفقه والنحو والفرائض وغيرها من علوم الدين[8] ، وقد كان المنصور نفسه عالما فقيها يحفظ القرآن وقد قال عنه بعض أشياخه (هو عالم الخلفاء وخليفة العلماء)[9] ، ويقول ابن القاضي كان أحمد المنصور خبيرا بالعلوم متضلعا بالفنون من شعر وتاريخ وسير ونحو ولغة وبيان ومنطق وتفسير وحديث وحساب وفرائض وهندسة وجبر ومقابلة وحفظا للقرآن الكريم[10].

كما إهتم أحمد المنصور ببناء المساجد في العديد من المدن الكبرى وإنشاء الزوايا كالجامع الكبير في مراكش ، وقد صرف المنصور أموال كبيرة لتوسيع جامع القرويين ، كما إهتم المنصور بالإحتفال بالمناسبات الدينية كالإحتفال بعيد الفطر وعيد الأضحى بالمولد

---

1 - إبراهيم حركات ، المرجع السابق ، ص : 358.
2 - عبد الفتاح مقلد الغنيمي ، المرجع السابق ، ص : 286.
3 - نفسه ، ص : 266.
4 - شوقي عطا الله الجمل ، **المغرب العربي الكبير في العصر الحديث (ليبيا-تونس-الجزائر-المغرب)** ، مكتبة الانجلو مصرية ، القاهرة ، 1977م ، ص : 194 .
5 - محمد الصغير الوفراني ، **نزهة الحادي بأخبار ملوك القرن الحادي** ، دار الطباعة بوردين ، أنجي ، 1888م ، ص : 130.
6 - عبد الكريم كريم ، المرجع السابق ، ص : 315.
7 - عبد العزيز الفشتالي ، المصدر السابق ، ص : 225.
8- إبراهيم حركات ، المرجع السابق ، ص : 451.
9 - حسين مؤنس ، المرجع السابق ، ص : 191.
10 - محمد الصغير الوفراني ، المصدر السابق ، ص : 129.

النبوي الشريف[1].

وقد إنتشرت عدة مراكز وزوايا في عهد أحمد المنصور الذهبي بكثرة خاصة في فاس منها:
جامع القرويين وجامع الأندلس ومدرسة العطارين والمدرسة المصباحية ومدرسة الحلفاوين[2].

◄أما الزوايا فنجد : الزاوية الفاسية والزاوية الناصرية والزاوية المصلوحية والزاوية الجزولية والزاوية الدلائية[3].

◄كما ظهر عدة كُتّاب في هذه الفترة ونذكر منهم : أبوفارس عبدالعزيز إبراهيم الفشتالي، أبوعبدالله محمد بن أحمد بن عيسى أبوعبدالله محمد بن عمر الشاوي ، أبوعبدالله محمد بن علي الوجدي[4].

ثانيا : مفهوم السودان الغربي :

1/ *تعريف بلاد السودان الغربي* :

هي تلك المنطقة التي عرَّفهاالكُتَّاب العرب و المؤرخون المسلمون الأوائل أنها مشتقة من لفظ السود ،وتعرف جغرافيا بإلم الحِزام السوداني الممتد من قلب القارة الإفريقية من الشرق إلى الغرب ، والآن أصبح هذا الإسم يقتصر على جمهورية السودان على ضفاف النيل ، أما قديما فهي تتعلق بالمنطقة التي تشغلها حاليا السنغال ومالي وفولتا العليا والنيجر إضافة إلى أجزاء من موريتانيا وغينيا ونيجيريا[5]، وقد أطلق البكري كلمة السودان على ذلك الجزء من غرب إفريقيا الذي يمتد من المحيط الأطلسي غربا إلى مشارف النُوبة على النيل شرقا وا ٍعتبر مدينة سجلماسة[6] مدخلا إلى بلاد السودان[7].

---

1 - محمد الصغير الوفراني ، المصدر السابق ، ص : 145.
2 - عبد الكريم كريم ، المرجع السابق ، ص : 308.
3 - إبراهيم حركات ، المرجع السابق ، ص : 451.
4 - محمد الصغير الوفراني ، المصدر السابق ، ص ص : 164-166-167.
5 - عبد الفتاح مقلد الغنيمي : **حركة المد الإسلامي في غرب إفريقيا** ، ط1 ، دار نهضــة الشرق القاهرة ، 1985م ، ص : 62.
6 - **سجلماسة :** تقع في الحدود الجنوبية الشرقية للمملكة المغربية وقد بناها جماعة من الصفرية سنة 14هـ/857م وعرفت دولتهم بدولة بني واسول ، وعرفت أيضا بدولة بني مدرار و هي مدينة سهلية أرضها سبخة حولها أرباض كثيرة وهي في أول الصحراء لا يوجد في غربها ولا في جنوبها عمران . **أنظر**: أبي عبيد الله البكري ، **المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب** ، القاهرة ، دار الكتاب الإسلامي ، بدون تاريخ النشر ، ص : 148.
7 - عبيد الله البكري ، نفس المصدر السابق ، ص : 147.

أما ابن حوقل فقد حدد المنطقة بقوله:(...**وأما جنوبي الأرض من بلاد السودان فإن بلادهم في أقصى المغرب على البحر المحيط بلد ملتف...غير أن له حدا ينتهي إلى البحر المتوسط وحد له ينتهي إلى برية بينه وبين أرض المغرب ، وحدا له إلى برية بينه وبين مصر على ظهر الواحات...**)[1].

وقد ذكر الإدريسي(...**أن أكثر هذه الأرض صحاري متصلة غير عامرة وجهات وحشة وجبال حرش جرد لا نبات فيها ، والماء فيها قليل جدا لا يوجد إلا في أصل جبل أو في ما إطمأن من سياخها ، وأهل تلك الأرض يدلون في أكنافها وطرقاتها ويتجولون في ساحاتها ووهادها وجبالها...**)[2].

وعموما تقع منطقة غرب إفريقيا جغرافيا[3] بين الصحراء الكبرى شمالا وخط الإستواء جنوبا جنوبا وبين المحيط الأطلسي غربا إلى مرتفعات الحبشة ووادي النيل شرقا[4] وتضم منطقة غرب إفريقيا:

- **السودان الغربي** : وتعيش فيه شعوب زنجية وحامية ويشمل المناطق الواقعة بين حوض نهر السنغال والحوض الأوسط لنهر النيجر والمجرى الأعلى لنهر فولتا ، وهذه المنطقة هي منطقة الدراسة[5].

- **السودان الأوسط** : ويشمل المناطق المحيطة ببحيرة تشاد ، بين خطي عرض 22 شمالا و10 جنوبا ، وبين خطي طول 10 شرقا و15 غربا.

- **السودان الشرقي** : ويشمل مناطق وادي النيل وروافده العليا جنوب بلاد النوبة ويعرف عند العرب ببلاد الزنج[6].

كما تقع جغرافية بلاد السودان في أراضي غرب إفريقيا مابين خطي العرض 4 درجة و16 درجة شمالا وخط الإستواء جنوبا وخط الطول 13 درجة و17 درجة غرب خط

---

1 - ابن حوقل أبو القاسم محمد ، **صور الأرض** ، مطبعة بريل ، لندن ، 1938م ، ص : 24.
2 - الإدريسي أبي عبد الله محمد ، **نزهة المشتاق في إختراق الآفاق** ، مطبعة لندن ، 1863م ، ص : 33.
3 - أنظر الملحق رقم : 03.
4 - عدنان مراد ، **المجتمعات الإفريقية أصولها وتاريخها** ، مطبعة إتحاد كتب العرب ، دمشق ، 1995م ، ص : 108.

5 - نفسه ، ص : 109.
6 - يحيى بوعزيز : **تاريخ إفريقيا الغربية الإسلامية من مطلع القرن السادس عشر إلى مطلع القرن العشرين** ، البصائر ، 2009م ، ص : 8.

غرينتش ، وتحدها من الشمال الصحراء الكبرى ، ومن الشرق الكاميرون وبحيرة تشاد ومن الجنوب خليج غينيا ومن الغرب المحيط الأطلنطي ، وتبلغ مساحته 2.4 مليون ميل مربع[1].

ويمتد السودان الغربي من ساحل السنغال حتى حدود نيجيريا الشمالية ونقطة إرتكازه هي حوض السنغال وحوض نهر النيجر الأعلى والأوسط[2].

2/ مؤهلاته الطبيعية :

إشتهرت بلاد السودان الغربي بموقعها الجغرافي الممتاز وذلك لما تتوفر عليه من مرافق طبيعية جيدة تجعله محط أنظار العديد من الأجناس البشرية(...**ممالك متعددة الأقطار متنوعة الأوطان جمة المرافق والفوائد ومألف الوافد والرائد لاتحد بغاية ولايدرك لها نهاية ، ومحشر الأمم ، وبستان الذر من بني آدم...**)[3].

ومن المؤهلات التي إمتاز بها السودان الغربي :

الثروة المائية والمتمثلة في بعض الأنهار المعروفة اليوم بنهر النيجر ونهر السنغال ، ونهر غامبيا ، وكان الجغرافيون والمؤرخون العرب لايفرقون بين نهر النيجر ونهر السنغال إذ أطلقوا على كليهما نيل السودان أو بحر السودان ، وا عتقدوا أن نيل السودان كما يسمونه ينبع من وسط إفريقيا ويصب في البحر المحيط وساد هذا الإعتقاد مدة من الزمن ، وهنا يقول الفشتالي:(...**نيل السودان يجري من الشرق إلى أقصى المغرب وعليه جميع بلاد السودان...وتخرج من البطيحتين ثلاثة أنهار فتمر بأجمعها إلى أن تصب في بطيحة كبيرة جدا وهي فوق خط الإستواء مماسه له وفي أسفل هذه البطيحة جبل معترض شق أكثرها فيمر في جهة المغرب وهو نيل السودان...**)[4] ، وفي موضع آخر يقول:(...**والممالك المنتظمة مع خط النيل –أي: نيل السودان– من عدوتيه إنتظام السلك الجارية مع تيار في طلق من لدن النوبة إلى مصبه في البحر المحيط –أي: المحيط الأطلسي–...**)[5] ، أما أما الحسن الوزان فيقول عن نهر النيجر:(...**نهر النيجر الذي يخرج من فلاة تدعى ساو ونابعا من بحيرة عظيمة فرع من فروع النيل ، يغيب تحت الأرض ثم يخرج منهليُ كون**

---

1 - محمد فاضل ، سعيد إبراهيم كريدية : **المسلمون في غرب إفريقيا تاريخ وحضارة** ، ط1 ، دار الكتب العلمية ، لبنان ، 2007م ، ص ص : 19-21.

2 - عبد الله عبد الرازق إبراهيم ، شوقي الجمل : **دراسات في تاريخ غرب إفريقيا الحديث والمعاصر** ، القاهرة ، 1998م، ص : 5.

3 - عبد العزيزالفشتالي ، المصدر السابق ، ص : 145.

4 - نفسه ، ص : 166.

5 - نفسه ، ص : 117.

هذه البحيرة...) ، ويقول أيضا:(**...أنه في جبال تقع إلى جهة الغرب ثم يسيل إلى الشرق ليتحول إلى بحيرة...)** [1].

وكذلك خصوبة التربة التي نتج عنها كثرة المحاصيل الزراعية ، وفي هذا يقول الحسن الوزان:(**...كل الأقاليم المجاورة لهذا النهر تصلح للزراعة ، وتنموا فيها الحبوب بكثرة...شجرة ضخمة...تبعد هذه الأشجار قليلا عن النهر لتقع في الأرض اليابسة ...اليقطين والخيار والبصل ينبت هناك بكثرة...>>**[2].

كما حوت هذه المنطقة على ثروة معدنية كبيرة وخاصة معدن الذهب الذي يعد أثمن الثروات ، وفي هذا يقول الفشتالي:(**..ورأض كرَمَّ الله تُ ربتها وأبان فضلها بما إختصها به من معادن الذهب الذي به قوام العالم...وبناء المجد وبالتفاوت فيه تتفاوت الأقدار قوة وسلطانا وجنودا وأوطانا فهي مثرات العديم ، ومجلب التبر إلى المشارق والمغارب في الحديث والقديم...)**[3] ، والنحاس الذي كان يستخرج من "تكدا" يستخدم في الصناعات الحربية وأدوات الزينة وصناعة الأواني وغيرها[4].

03/ أهم الكيانات السياسية :

يقود الحديث عن هذه المنطقة المدروسة إلى التطرق لموضوع مهم ألا وهو الكيانات السياسية التي قامت في هذه المنطفة ونذكر منها :

*** إمبرطورية غانة :**

أولى هذه الممالك مملكة غانة (وهي ليست غانا الحالية التي تقع في أقصى جنوب غرب أفريقيا) ، إنما هي المنطقة الفسيحة التي تقع بين منحنى نهر النيجر ونهر السنغال وتصل حدودها حتى جنوب موريتانيا الحالية ، نشأت في الفترة مابين القرن الثالث والرابع الميلادي بدأت في التوسع حيث خضعت لها معظم مناطق السودان الغربي[5].

إعتمدت غانة على التجارة كمصدر رئيسي في إقتصادها خاصة الذهب حتى صارت تعرف بأرض الذهب ، وأصبح ملوكها من أغنى ملوك الأرض حيث تحكموا في الطرق

---

1 - الحسن الوزان ، المصدر السابق ، ج1 ، ص : 30.
2 - نفسه ، ج1 ، ص : 77.
3 - عبد العزيزالفشتالي ، المصدر السابق ، ص : 117.
4 - الهادي الدالي ، **التاريخ السياسي والإقتصادي لإفريقيا** ، الدار المصرية اللبنانية ، القاهرة ، 1999م ، ص : 233.
5 - جوان جوزيف ، **الإسلام في ممالك و إمبراطوريات إفريقيا السوداء** ، تر: مختار السويقي ، ط1 ، دار الكتاب الإسلامية القاهرة ، 1984م ، ص ص : 50-51.

التجارية في تلك المنطقة ، كما كان موقعها عبارة عن حلقة وصل بين شمال القارة وغربها ، كما أصبحت عاصمتها كومبي من أكبر أسواق بلاد السودان نتيجة إزدهار التجارة بها[1].

وفي بداية القرن الثامن الميلادي إمتدت الفتوحات الإسلامية عبر إفريقيا شمال الصحراء حتى وصلت إلى غانة ، وفي القرن الحادي عشر وبالتحديد في عام 1062م غزا المرابطون القادمون من مراكش غانة وقد ووجهوا بمقاومة شرسة ولم ينجحوا في إخضاعها إلا عام 1072م حين إحتلوا عاصمتها[2].

وقد وصفها الجغرافي الإدريسي أكبر مؤرخي الحوليات في العصور الوسطى (عاش 1100–1165م) بأنها الدولة الكبرى في أرض السودان والأكثر كثافة في التجارة ، ولكن مع دخول المرابطين لها تغيرت الأوضاع نتيجة التدمير الذي أحدثه بدو المرابطين ، فقد خ ُربت المزارع وحقول الذهب " بامبوك bambuk" التي تقع بين نهر السنغال ونهر القاليم مما أدى إلى تدهور الوضع الإقتصادي في البلاد[3].

**** مملكة مالي الإسلامية :**

تعتبر مالي من أقوى وأغنى الدول الإفريقية التي ظهرت في السودان الغربي ، والتي قامت بدور كبير من أجل توحيد القبائل السودانية ، فهي تعد أعظم ممالك السودان ، وملكها أعظم ملوك السودان المسلمين وأحسنهم حالا وأقهرهم للأعداء[4].

وقد تأسست سلطنة مالي على يد قبائل الماندنجو والتي تمكنت من بسط سيطرتها لمدة عدة قرون على مناطق السودان الشاسعة ، والممتدة من نهر النيجر إلى المحيط الأطلسي ، والتي إشتملت على مناطق نهر السنغال ، ومناطق كثيرة من نهر النيجر وفروعه[5] ، وقد إشتهرت سلطنة مالي كذلك بإسم بلاد التكرور وخاصة في مصر وا ِن كان هذا الإسم في حقيقة الأمر يطلق على إقليم معين من سلطنة مالي وليس على كل السلطنة ، كما تستخدم كلمة تكراري في السودان الشرقي للدلالة على جميع سكان السودان الأوسط و الغربي ،

---

1 - حسن إبراهيم حسن ، **إنتشار الإسلام في القــارة الإفريقية** ، ط2 ، مكتبة النهضة المصري للطباعة والنشر، 1963م ، ص : 99.

2 - عايدة موسى : **تجارة العبيد في إفريقيا** ، وزارة الثقافة الجزائرية ، 2009م ، ص : 105.

3 - نفسه ، ص : 115.

4 - جوان جوزيف ، المرجع السابق ، ص : 61.

5 - نفسه ، ص : 62.

وهكذا نجد أن سلطنة مالي عرفت في بعض الجهات بإسم دولة الماندنجو وفي غيرها بإسم سلطنة التكرور[1].

ونتيجة لضخامة ثرواتها وغِناها وخاصة مادة الملح التي يُضرب بها المثل والتي توجد في منطقة ونقارة ، فقد كانت مادة الملح تستبدل بمعدن الذهب في المعاملات التجارية في تلك الفترة[2].

**** مملكة صنغاي [3] :**

بدأت دويلة صغيرة على الضفة اليسرى لنهر النيجر ثم توسعت وامتدت حتى السودان الأوسط إلى إمارة الهوسا(الحوصة) وشملت أقاليم السافانا الممتدة من الغرب إلى الشرق ، وسيطرت على مناجم الذهب و الملح أهم تجارتين في غرب إفريقيا وصارت أكبر دولة في المنطقة ، وصلت شمالا إلى مراكش ، وإلى نهر جامبي على شاطئ الأطلنطي وفي الشرق إلى بورنو[4] عند بحيرة تشاد[5].

إشتغل سكان هذه المملكة بالتجارة ، ونَوَّعوا علاقاتهم ووطدوها مع دولة غانة وبلدان المغرب الشمالية : الجزائر، تونس ، وليبيا ، ومصر ، عبر مدينة تادمكة (مكة الجديدة) التي كانت من المراكز التجارية المهمة بقلب الصحراء الكبرى[6] وهذه المملكة هي التي إستولى عليها أحمد المنصور الذهبي وهي محل الدراسة.

وقد تولى حكم إمبراطورية صنغاي عدة ملوك (1591/1493م) ، فبعد موت سنى علي قام محمد بن أبي بكر التوري وهو من أصل سولاني ، بإنقلاب ضد أبي بكر بن سني علي[7] علي[7] وبعد معارك طاحنة إستولى على جاو في 03 مارس 1493م ، ولقب نفسه بالأسكيا محمد التوري ، وأصبح يلقب بإسم الأسكيا الحاج محمد بعد أدائه لفريضة الحج[8].

---

1 - عايدة موسى ، المرجع السابق ، ص : 118.

2 - جلال يحي ، **تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر** ، الإسكندرية ، 1999م ، ص ص : 32-34.

3 - أنظر الملحق رقم : 04.

4 - **بورنو :**هي إمارة قامت بالمنطقة المحيطة ببحيرة تشاد ونهر الكانوري ، والتي تشملها اليوم جمهورية تشاد وقسما من شمال نيجيريا ، عمها الإسلام منذ القرن 10م . **أنظر:** عبد القادر زبادية ، المرجع السابق : ص24.

5 - عايدة موسى : المرجع السابق ، ص : 106.

6 - محمد فاضل ، سعيد إبراهيم كريدية ، المرجع السابق ، ص :109.

7 - **سني علي :** هو سني علي بن سليمان دام ، ينتسب إلى عائلة ضياء التي قدمت من طرابلس الغرب وإستقرت في تلك الأماكن ، تولى مقاليد مملكة صنغاي عام 869هـ/1464م ومكث سبعا وعشرين سنةفي الحكم .**أنظر:** أحمد بابيرالاوراني ، **السعادة الأبدية في التعريف بعلماء تنبكت البهية** ، تح : الهادي المبروك الدالي ، ط1 ، جمعية الدعوة الاسلامية العالمية ، بنغازي ،2001م ، ص : 61.

8 - **الأسكيا :** لما انهزم شي بار بن سني علي على يد الأسكيا محمد ، وعندما وصل الخبر إلى بناته قلن "أشكيا" ومعناها بلغتهم لن يكون . فلما سمع هذا أمر أن تصبح لقبا له ولعائلته . **أنظر:** عبد الرحمان السعدي ، **تاريخ السودان** ، مطبعة انجي ، باريس ، 1980م ، ص : 72.

ومر على حكم مملكة الصنغاي عدة ملوك فبعد الأسكيا الحاج محمد تولى الحكم الأسكيا موسى (1531/1528م) ، ثم الأسكيا محمد الثاني(1537/1531م) ، الأسكيا إسماعيل (1539/1537م) الأسكيا إسحاق الأول(1550/1539م) ، الأسكيا داود (1583/1550م)[1] ، ثم إنتقلت الخلافة إلى أبناء داود وهم : الحاج محمد الثالث (1586/1583م) ، محمد الرابع (1588/1586م) ، إسحاق الثاني (1591/1588م) وأخيرا محمد كاغ 1591م[2].

وشهدت البلاد عدة صراعات وثورات نتيجة الصراع الذي قام بين أبناء الحاج محمد أسكيا ، والذي وصل إلى حد القتل مثل ما جرى لموسىحين قُتِل على يد أحد إخوته نتيجة الصراع على الحكم[3].

وبعد تولي الأسكيا محمد الثالث العرش دخل في نزاع مع أخيه "الهادي" من أجل ولاية العرش إنتهى بقتل الهادي على يد قائد أسطول الأسكيا محمد الثالث ، كما خلفه على العرش الأسكيا محمد باني والذي مات أثناء محاولته قمع ثورة ضده ، ثم جاء بعده آخر ملوك صنغاي إسحاق الثاني الذي وجد المملكة في حالة من الفوضى والإضطرابات وضعف السلطة المركزية[4].

ثالثا : العلاقات المغربية ببلاد السودان الغربي :

1/ العلاقات التجارية بين بلاد المغرب والسودان الغربي :

تعتبر العلاقات المغربية السودانية[5] علاقة قديمة عبر الصحراء تمثل عاملا قويا من عوامل الإتصال الحضاري والسياسي والتجاري بين البلدين ، ففيما يخص تبادل السلع كانت القوافل التجارية تسير بإستمرار بين تنبكت وجاو إلى سجلماسة وتارودانت عبر الطريق الغربي الساحلي والأوسط ، وكانت المصنوعات المغربية من أقمشة وأحذية وأدوات نحاسية تجد رواجا لها ببلاد السودان الغربي ، في حين نجد أحمال التبر وأنواع الرقيق الزنجي تغمر الأسواق المغربية[6].

أ/ طرق التجارة العابرة للسودان الغربي :

---

1 - محمد الغربي ، المرجع السابق ، ص ص : 55-58.
2 - الحواس الغربي ، **السيادة السعدية بالبلاد السودانية (1591- 1660م)** ، رسالة ماجستير ، 2008-2009م ، pdf ، ص : 21.
3 - محمد الغربي ، المرجع السابق ، ص : 56.
4 - الحواس الغربي ، المرجع السابق ، ص : 22.
5 - أنظر الملحق رقم : 05.
6 - الحواس الغربي ، المرجع السابق ، ص ص : 24- 25.

بحكم الأهمية التي تكتسيها طرق التجارة بين المغرب وا ٍفريقيا جنوب الصحراء وكذا التفاعل الحضاري الذي كان بينهما ، إشتهرت عدة طرق للقوافل والتي كانت تنطلق من مراكش وتلمسان وتونس وطرابلس ومصر متجهة ناحية الجنوب ، فتجتاز الصحراء الكبرى وتصل إلى المراكز الرئيسية في غرب إفريقيا ، وقد تستغرق الرحلة فترات طويلة وقد تمتد إلى شهور ، ويتراوح عدد جمال القافلة الواحدة بين ألف وثلاثة آلاف جمل محملة بمختلف السلع[1].

ورغم قسوة العوامل الطبيعية فإن طرق القوافل عبر الصحراء الكبرى[2] لعبت دورا هاما في نقل المؤثرات الحضارية إلى قلبالقارة الإفريقية وا ٍلى أقسامها الغربية ، وبإتساع نطاق

الهجرة زاد التأثير العربي في حياة أهل السودان الغربي ، كما إتخذت مجموعات كبيرة منهم اللغة العربية وسيلة للتخاطب والتفاهم[3].

ومن أبرز هذه الطرق نذكر :

1/ الطريق الغربي الذي يمتد من **سجلماسة** إلى **ولاتة** ثم إلى مدينة **تنبكت** و**جني** و**جاو**[4].

2/ طريق المغرب الأوسط **(الجزائر حاليا)** وتمتد من **تلمسان** إلى **توات** إلى **تنبكت.**

3/ الطريق الذي يبدأ من **ورقلة** إلى **جاو**ويتصل هذا الطريق ببعض الموانئ الجزائرية على ساحل البحر المتوسط ومنها **بجاية وسكيكدة.**

4/ وهناك طريق آخر ينطلق من **واحة الجريد بتونس** وغالبا ما تمر قوافله **بورقلة** أو **سوف** أو **غدامس.**

5/ والطريق الذي يبدأ من **طرابلس الغرب** على الساحل **الليبي** ويمر **بغدامس** ويمر **بفزان** وينتهي إلى **بورنو وجاو.**

---

1 - يحيى بوعزيز ، **طرق القوافل والأسواق التجارية بالصحراء الكبرى كما وجدها الأوروبيون خلال القرن التاسع عشر ، " تجارة القوافل ودورها الحضاري حتى نهاية القرن التاسع عشر "** ، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، معهد الدراسات العربية ، بغداد ، 1984م ، ص : 131.

2 - أنظر الملحق رقم : 06.

3 - عبد القادر زبانية ، **مملكة صنغاي في عهد الأسكيين** ، 1493هـ –1592م ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر، ب ت ن ، ص : 214.

4 - **جاو :** يطلق عليها كاوا وكاو وغاو تقع شرق العاصمة باماكو بجمهورية مالي وتبعد عنها بحوالي ألف وأربعمائة كيلومتر ، كانت حاضرة لمملكة صنغاي نظرا لإعتدال مناخها ولقربها من منطقة كورى التي كانت على علاقة وطيدة بصنغاي ، وقد ذكرها موسى السعدي بأنها (جوهرة وادي النيجر). **أنظر:** الحسن الوزان ، المصدرالسابق ، ج2 ، ص : 169.

6/ وهناك طريق يبدأ من **مصراتة** بواحة **سيوة وزويلة فتادمكة فجاو** إلى **تنبكت**[1].

ب/ المراكز التجارية :

** **سجلماسة** شكلت مركزا تجاريا مهما في طريق القوافل التجارية المؤدية إلى بلاد السودان الغربي[2] ، وتعتبر أهم مركز شمالي في تجارة القوافل ، وهو مركز إنطلاق القوافل وتحركها إلى بلاد السودان الغربي حيث تسير إلى تغازة ، ويصفها ابن حوقل فيقول:(...**ويقارب القيروان سجلماسة في صحة الهواء ومجاورة البيداء مع تجارة غير منقطعة منها إلى بلد السودان ، وسائر البلدان ، وأرباح متوافرة ورفاق متقاطرة...)** ، كما تعتبر سجلماسة حلقة وصل بين المدن المغربية في الشمال وبين المدن السودانية في الجنوب[3].

** **غدامس** : إشتهرت بكبرمساحتها وبكونها مركزا تجاريا مهما ، تقع عند الحدود الليبية مع كل من تونس والجزائر ، حيث أصبحت ملتقى الطرق التجارية للقوافل القادمة من مدن سواحل الشمال الإفريقي ، ثم تتفرع إلى عدة إتجاهات نحو بلاد السودان الغربي والأوسط[4].

** **ورقلة** : وقد وصفها الحسن الوزان بأن بيوتها جميلة وأنها واحة واسعة يكثر فيها النخيل ، وتعتبر مركزا مهما ونقطة إتصال تربط المغرب الأوسط بالسودان الغربي ، كما تزخر بكثرة الصناع ويأتي إليها التجار بمنتوجاتهم لإبدالها بالسلع السودانية التي تأتي لها حيث يستقبلون إستقبالا طيبا ومن أهم سلعهم القمح والملح والسمن والأقمشة الصوفية والكتانية والأسلحة[5].

** **تنبكت** : ظهرت مدينة تنبكت كمحطة تجارية للقوافل القادمة من الشمال أو الجنوب عن طريق النيجر، فغدت بذلك مركزا تجاريا ذاعت شهرته[6] ، وحوت على عدة دكاكين للصناع والتجار لامثال دكاكين نساجي أقمشة القطن[7] ، إلى جانب هذا كانت تحتوي على

---

1 - عبد القادر زبادية ، المرجع السابق ، ص : 214.

2 - الحسين عماري ، **مجلة المؤرخ** ، **العلاقات بين المغرب والسودان الغربي في بداية العصر الحديث** ، جمعية ليون الإفريقي للتنمية والتقارب الثقافي ، العدد7 ، الدار البيضاء ، مارس 2010م ، ص : 44.

3 - ابن حوقل ، المصدر السابق ، ص : 99.

4 - الحسن الوزان ، المصدر السابق ، ج2 ، ص : 146.

5 - نفسه ، ص : 136.

6 - الحسين عماري ، **مجلة كان** ، **العلاقات بين المغرب والسودان الغربي في بداية العصر الحديث** ، مخصصة في البحوث والدراسات التاريخية ، عدد 9 ، ربع سنوية ، سبتمبر 2010م ، ص : 37.

7 - الحسن الوزان ، المصدر السابق ، ج2 ، ص : 165.

سوق لبيع الخيول العربية التي يأتي بها تجار القوافل العربية وتعرض على الملك فيأخذ الأجود منها[1].

** **جاو** تقع على الضفة اليُسرى لنهر النيجر ، وقد سكنها تُجار مغاربة عرب وبربر من زناتة قال عنها البكري:(...**أهلها مسلمون وحواليها مشركون...وهي أكثر البلاد ذهبا ، وكان أهلها يتبايعون بالملح والودع والنحاس...**)[2] ، وفي القرن 16م أصبحت جاو من أشهر الأسواق في عالم التجارة وذاعت شهرتها في تجارة الرقيق[3].

** **توات** : هي من أكبر المراكز التجارية التي تقوم بتنظيم القوافل التجارية ، وتقع في واحة غنية يتزود فيها التجار بالغذاء والماء العذب ، كما أن توات ضلت تحتفظ بأهميتها في تنشيط التجارة الصحراوية حتى في أيام مملكة صنغاي الإسلامية ، إذ أنها تعتبر مركزا لإنعاش التجارة الصحراوية ، ومركزا يقصده تجار الشمال الإفريقي وجنوب أوروبا لعرض وترويج بضائعهم[4].

بالإضافة إلى مراكز تجارية أخرى لا تقل أهمية عن التي سلفت نذكر منها : أودغشت وولاتة وتغازا وجني وتادمكة وفزان ...إلخ[5].

جـ/ أهم السلع المتبادلة :

** **الواردات :**

الملح :كان الملح يُشكل إحدى المستوردات الرئيسية لمملكة صنغاي ، وقد ملكت صنغاي ممالح تغاز[6] في الصحراء الموريتانية حاليا ، حيث كان الملح من البضائع التي تُتخذ كقطعة نقود للتعامل في حالات كثيرة[7].

النحاس : توفر معدن النحاس في كل من السوس وتادلي وتكدا وقد حرص أهالي السودان على الحصول على النحاس ، والذي إستخدموه في عدة أغراض مختلفة[8] ، فمنهم

---

1 - الحسن الوزان ، المصدر السابق ، ج2 ، ص : 103.
2 - عبيد الله البكري ، المصدر السابق ، ص : 179.
3 - الحسن الوزان ، المصدر السابق ، ج2 ، ص : 169.
4 - نفسه ، ص : 216.
5 - عبد القادر زبادية ، المرجع السابق ، ص : 217.
6 - **تغاز :** من أكبر ملاحات السودان الغربي تقع بين المغرب الأقصى والسودان الغربي ، جل سكانها من قبيلة مسوفة ، وكان سُكانها يعانون من سوء الجو فعادة تهب عليهم عواصف شديدة تحمل معها حصى إذا ما صادفت عين أفقدته بصره. **أنظر:** الحسن الوزان ، المصدر السابق ، ج2 ، ص : 109.
7 - عبد القادر زبادية ، المرجع السابق ، ص : 222.
8 - ابن بطوطة أبوعبد الله محمد ، **تحفة النظار في غرائب الأسفار** ، دار التراث ، بيروت ، ب ت ن ، ص : 453.

من إستخدمه للزينة كالأساور والأقراط وقسم آخر يستعمله للأواني المنزلية وقسم آخر يستعمله للوازم الخيل كاللجام وحلقة الرجل من السرج[1].

الكتب : كانت الكتب من أبرز السلع المتداولة ويجنى منها التجار أرباحا طائلة وكانت كانت أسعارها مرتفعة[2] ، و كانت من المغرب خصوصا[3].

الأقمشة والأصباغ : كان إهتمام السودانيين كبير بإقتناء أنواع مختلفة من الأقمشة البديعة الواردة من الشمال الإفريقي والمشرق العربي والمغرب ، وقد وصف البكري هذا بقوله:(...**يلبسون الثياب المصبغة بالحمرة من القطة والفولى وغير ذلك ، وملكهم يلبس عمامة حمراء وقميصا أصفر وسراويل صفراء ...**)[4]، وكان التُجار يأخذون مقادير ضئيلة منها ولكنهم يبيعونها بأثمان مرتفعة جدا[5].

سلع أخرى : وصلت إلى السودان الغربي عدة سلع مختلفة منها القمح الذي كان يجلب من المغرب بالدرجة الأولى ، ولم تكن الطبقات الشعبية تستطيع الحصول عليه لإرتفاع ثمنه ، كما كانت القوافل التجارية تحمل الزيت و التمور إلى أودغشت ، وقد وصلت إلى المنطقة عدة مواد منها الخيول والحلي والأواني النحاسية والودع والعطور...إلخ[6].

** **الصادرات** :

الذهب : كان الذهب يشكل المادة الأساسية للتجارة الخارجية في هذه المنطقة[7] ، والذي كان يُستخرج من مناجم ونغارة حيث تعتبر المنبع الرئيسي له لذلك سميت بأرض الذهب[8]

وقد كان الذهب الذي يحمل من السودان يغطي إحتياجات المغرب وجنوب أوروبا في آن واحد ، كما أن السودانيين إنتبهوا منذ القديم إلى أهمية ذهبهم في العالم ، وهذا يظهر في الجواب الذي صرح به السلطان كنكان موسى حين زار مصر في طريقه إلى الحج (خلال القرن الرابع عشر) حيث طلب منه السلطان الغوري أن يسجد أمامه لَمَّا إستقبله فكان رده (..**إننّا مالكوا الذهب ولا نسجد لغير الله لأننا مسلمون...**)[9].

---

1 - عبد القادر زبادية ، المرجع السابق ، ص : 219.
2 - الحسن الوزان ، المصدر السابق ، ج2 ، ص : 170.
3 - عبد القادر زبادية ، المرجع السابق ، ص : 222.
4 - عبيد الله البكري ، المصدر السابق ، ص : 181.
5 - عبد القادر زبادية ، المرجع السابق ، ص : 223.
6 - نفسه ، ص ص : 223– 227.
7 - ابن خلدون ، **العبر وديوان المبتدأ والخبر** ، ج 5 ، مؤسسة جمال للطباعة والنشر، بيروت ، 1979م ، ص : 932.

8 - الحسن الوزان ، المصدر السابق ، ج2 ، ص : 166.
9 - عبد القادر زبادية ، المرجع السابق ، ص ص : 223 -224.

ورغم أن مناجم الذهب كانت تقع في الأجزاء الجنوبية من بلاد السودان الغربي ، والتي غالبا ما تكون خارج سيطرة الممالك الإسلامية في السودان الغربي ، غير أن هذه الممالك كانت تسيطر على الطرق المؤدية إلى مناطق الذهب ، فقد سيطرت مالي ثم مملكة صنغاي على هذه الطرق وأقامت علاقات تجارية مع الشمال الإفريقي ، وفي أواخر القرن السادس عشر الميلادي رأى الأشراف السعديون في المغرب الأقصى أن الظروف مواتية للسيطرة على مناطق الذهب والطرق المؤدية إليه ، وذلك بسبب التفكك والإضطرابات التي كانت تعيشها مملكة صنغاي ، وبالرغم من النجاح العسكري الذي أحرزه أحمد المنصور السعدي إلا أن جنوده لم يجدوا الشئ الكثير من الذهب في السودان الغربي ، وبإنتهاء مملكة صنغاي عام 1000هـ/ 1591م إنتهى عصر الذهب عبر طرق الصحراء[1].

وقد لعبت تجارة الذهب دورا كبيرا في العلاقات التجارية بين الشمال الإفريقي والسودان الغربي لعدة قرون وساعدت في توطيد العلاقة بينهم[2].

العبيد : كان العبيد يمثل أحد أهم السلع التجارية في العالم ، وكانت بلاد السودان الغربي أحد مصادر الرقيق الوارد إلى شمال إفريقيا[3].

سلع أخرى : إلى جانب تصدير الذهب والعبيد ساهم السودان الغربي أيضا بتصدير عدد من السلع الأخرى التي إعتمدت عليها تجارة الصحراء مثل : ريش النعام والشب والقطن والكولا والعاج والجلود والفول السوداني والعنبر وغيرها[4].

2/ العلاقات السياسية قبل عهد المنصور :

في بداية الأمر كانت علاقة المغرب بالسودان الغربي لاتخرج عن كونها علاقات تبادل تجاري وفكري أكثر منها علاقة سياسية ، لكن مع ظهور السعديين وقيام دولتهم بالمغرب تغيرت لتصبح العلاقة بين العاصمتين مراكش وجاو علاقة سياسية[5] ، فكانت سلسلة السفارات المتبادلة بين الدولة السعدية ومملكة صنغاي محورها ممالح تغاز التي كانت في هذه الفترة ضمن مـُتلكات مملكة صنغاي ، وهذا ما أكدته الكتابات المغربية نفسها فهاهو الفشتالي يقول:(...**كانت(تغزة)في القديم من ممالك سكية –الأسكيا– وتخم أعماله...**)[6] ،

---

1 - عبد القادر زبادية ، المرجع السابق ، ص : 53.

2 - نفسه ، ص ص : 223 -224.

3 - شوقي الجمل ، المرجع السابق ، ص : 128.

4 - الحسين عماري ، مجلة كان ، المرجع السابق ، ص ص : 37-38.

5 -Maurice Delafosse,**Haut SéNégal Niger**,3 Tomes, Maisonneuve et larose,Paris,T02 p:162.

6 - عبد العزيزالفشتالي ، المصدر السابق ، ص : 120.

وقد كانت أهمية السيطرة على تغاز تمثل السيطرة الإقتصادية على الصحراء مادام الملح يُباع ويُشترى ويُستبدل بالذهب ويُستعمل كعملة أساسية في الصحراء لمبادلة البضائع ، هذا ما وجه أنظار ملوك الدولة السعدية إلى محاولة السيطرة عليه[1].

أ/ في عهد أحمد الأعرج (1518 – 1544م) :

تُرجع المصادر السودانية أن أول محاولة للسعديين في الحصول على ممالح تغاز إلى عهد أحمد الأعرج الذي أرسل للأسكيا إسحاق الأول (1539–1549م) رسالة يطلب فيها(...**أن يسلم له في معدن تغاز...**) ورد عليه الملك السوداني بالقول والفعل إذ قال له(...**بأن أحمد الذي يسمع له هوإيّاه وأن إسحق (إسحاق)الذي سمع ليس أنا إيّاه مازال ماحملت به أمه...**)[2] ، ولم يكتفي بالرد بل أرسل مجموعة من قبائل الطوارق وأمرهم أن يغيروا على جنوب المغرب الأقصى دون قتل أحد(...**ثم أرسل ألفين ركابا من التوارق – الطوارق– وأمرهم أن يغيروا على آخر بلد درعة إلى جهة مراكش بلا إخراج روح أحد فيرجعون على أثرهم فغاروا على سوق بني أصيح ، كيفما قام وثبت فأكلوا جميع ما وجدوا في ذلك السوق من الأموال فرجعوا كما أمرهم وما قتلوا أحداً وماذلك إلا ليرى السلطان أحمد المذكور قوته...**)[3].

ب/ في عهد محمد الشيخ (1544–1557م) :

وبعد موت أحمد الأعرج خلفه أخوه محمد الشيخ على العرش المغربي[4] ، الذي جاء رده على الحملة التي أرسلها الأسكيا إسحاق الأول إلى المغرب بإرسال حملة عسكرية عام1557م قوامها نحو ألف وثمانمائة فارس ، تقدمت نحو تغاز وقضت على مظاهر السلطة السودانية فيها[5] ، فكان رد الأسكيا داود مقاطعة ممالح تغاز[6] ، وأمر بالتنقيب في منطقة تقع إلى الجنوب من الممالح السابقة ، وقد بدأ فعلا في عام 1562م بالتنقيب في منطقة تسمى تغاز الغزلان[7] ، ويقول عبد العزيز الفشتالي عن رد فعل المغاربة على الحملة التي أرسلها الأسكيا إسحاق الأول في عهد أخيه الأسكيا داود(...**ثم لما أشرق نور هذا الأمر العزيز على الدنيا ومكن له في الأرض أجلب الإمام –وهو السلطان محمد الشيخ–**

---

1 - الحواس الغربي ، المرجع السابق ، ص : 28.
2 - عبد الرحمان السعدي ، المصدر السابق ، ص : 99 ، **أنظر:** عبد القادر زبادية ، المرجع السابق ، ص : 88.
3 - عبد الرحمان السعدي ، المصدر السابق ، ص ص : 99-100.
4 - عبد القادر زبادية ، المرجع السابق ، ص : 88.
5 - عبد الكريم كريم ، المرجع السابق ، ص : 148.
6 - الحواس الغربي ، المرجع السابق ، ص : 29.
7 - عبد القادر زبادية ، المرجع السابق ، ص : 88.

رضي الله عنه على تغازى – تغاز– فإنتزعها من يد سكية و إستضافها للمغرب وعقد عليها لرجاله...)[1].

قاطع السودانيون ملح تغاز والقوافل التي تبتاع منه ، مما أجبر المولى محمد الشيخ على التفاوض على أن يتخلى المغاربة عن بعض خراجها للأسكيا مقابل أن يأذن لهم ببيع الملح في بلاده[2].

وبعد هذا لم تذكر المصادر المغربية ولا السودانية عن أية علاقة سياسية أو تحرش سعدي على تغزة طيلة فترة حكم الغالب بالله (1557م–1574م) ، والمتوكل على الله (1574–1576م).

3/ العلاقات السياسية في عهد المنصور (1578 – 1603م) :

ولما تولى أحمد المنصور الحكم بالمغرب بعد معركة وادي المخازن1578م ، أخذت أوضاع البلاد الداخلية والخارجية تعرف نوع من الإستقرار بدأ المنصور في رسم سياسة توسعية خاصة ، أساسها التمركز في مواقع إستراتيجية هامة في الصحراء تشتهر بواحاتها ومعادنها وبأهميتها في المواصلات ، ثم إتخاذ هذه المواقع نقاط إرتكاز للتوسع فيما جاورها أولا ثم في بلاد السودان ثانيا[3].

بدأ أحمد المنصور خطته التوسعية بالإستيلاء على منطقتين في الصحراء هما توات وتيكواررين القريبتين من بلاد المغرب ومن عمق بلاد السودان الغربي وموقعها وقد كانت هاتين المنطقتين تمتازان بموقهما الإستراتيجي المتحكم في طريق التجارة الصحراوية وغناهما الإقتصادي إذ قال الفشتالي عنهما:(...**ما إشتملت عليه هذه الممالك من المرافق الجمة التي جاد بها كرم التربة وخصب البقعة...)**[4].

وفي سنة 991هـ/1583م خرجت حملتين عسكريتين من فاس ومراكش بقيادة عبد الله محمد بن بركة و العباس أحمد بن الحداد العمري ، توغلت جنوبا حيث تلقت هناك مقاومة عنيفة ولكنها إنتهت بإخضاعها بالقوة أما منطقة توات فخضع رئيسها وشيخها عمر بن محمد بن عبد الرحمان للطاعة[5].

---

1 - عبد العزيزالفشتالي ، المصدر السابق ، ص : 120.
2 - عبد الكريم كريم ، المرجع السابق ، ص : 148.
3 - نفسه ، ص : 148.
4 - عبد العزيزالفشتالي ، المصدر السابق ، ص : 118.
5 - أبو العباس أحمد بن خالد الناصري ، **الإستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى** ، ج5 ، دار الكتاب ، الدار البيضاء ، 1955م ، ص : 98.

إهتمام المنصور بممالح تغاز :

بلغ المنصور خُطى من سبقوه بشأن ممالح تغاز ، فأرسل إلى الأسكيا داوود بشأن التنازل له عن خراج معدن تغاز وقد أجابه الأسكيا داوود بأن(...**بعث له عشرة آلاف ذهبا هدية وعطية خير فتعجب من سخائه وجوده فكان سبب المحبة والوصلة بينه وبينه...**)[1] ويذكر عبد القادر زبادية أن قبول الأسكيا داوود لإقتراح المنصور بتأجير ممالح تغاز لأنه على معرفة مسبقة بأهداف المغاربة وعدم قدرة جيشه على مواجهتهم[2].

إستمر الوضع على ماهو عليه بين المغرب والسودان الغربي إلى أن توفي الأسكيا داوود سنة 1583م حينها أرسل المنصور إلى الأسكيا الحاج بن داوود(...**بهدية ورسالة إلى الأسكيا بجاو...**)[3].

في حين يقول السعدي أن المنصور وبعد وفاة الأسكيا داوود الذي تنازل له عن خراج تغاز لمدة عام واحد أرسل لولده وخليفته الجديد الأسكيا الحاج محمد لتعزيته وتهنئته في نفس الوقت وكذا الإطلاع على موقف الحاكم الجديد من التنازل عن معدن تغاز وقد حمل الوفد معه (...**هدايا عجيبات...**)[4].

أرجع الأسكيا الحاج محمد الوفد المغربي ومعه (...**أضعاف ما أرسل هو من الهدايا من خدام وسنانير الغالية ، وغير ذلك من جملة ما أرسل ثمانون خصيا...**) ، وأكد له في نفس الوقت عن عزمه عدم التنازل عن معدن الملح في تغازة وهذا ما أغضب المنصور فقرر توجيه حملة عسكرية لإمتلاك ممالح تغازة[5].

وقبل توجيه الحملة قرر السيطرة على جميع المناطق الصحراوية الممتدة بين وادي نول شمالا وخليج النيل جنوبا أي–الصحراء الغربية وموريتانيا حاليا– وذلك في (1583 – 1584م)[6].

وبعد الإستيلاء على المنطقة الصحراوية وجه أحمد المنصور حملة تتكون من مائتي فارس سلاحهم البنادق وعين لهم هدفا مُحددا وهو ممالح تغاز بذاتها ، وجاء رد الأسكيين

---

1 - عبد الرحمان السعدي ، المصدر السابق ، ص : 111.
2 - عبد القادر زبادية ، المرجع السابق ، ص : 48.
3 - عبد العزيزالفشتالي ، المصدر السابق ، ص : 79.
4 - عبد الرحمان السعدي ، المصدر السابق ، ص : 122. أنظرعبد الكريم كريم ، المرجع السابق ، ص : 151.
5 - نفسه ، ص : 120.
6 - عبد العزيزالفشتالي ، المصدر السابق ، ص : 79.

بترك ملح تغاز وا ٍستغلال منجم تغزة الغزلان في الجنوب ومنجم تاوديني[1] ، وفي سنة 1589م أرسل المنصور للأسكيا إسحاق الثاني طلب تسليم الممالح ، وأن له الحق في إمتلاك الصحراء التي هي إمتداد طبيعي للمغرب ، فأجاب الأسكيا إسحاق على الرسالة ببعثه للمنصور خوذة عسكرية وسلاسل يكبح بها العبيد[2].

وبعد أن أدرك المنصور الرفض المطلق للأسكيا إسحاق الثاني لطلبه إتخذه سببا مباشرا لتحقيق غرضه وهو غزو السودان والإستيلاء على خيراته وخاصة الذهب بدوافع عديدة سوف تذكر في الفصل الموالي.

وخلاصة القول : فقد عرف المغرب في القرن السادس عشر أوضاعا إتسمت بالضعف والتفكك نتيجة ضعف الإمارة الوطاسية ، والذي أدى بالمغرب إلى التجزئة والإنقسامات السياسية مما جعلها لقمة سائغة للغزو الإسباني البرتغالي ، حيث أُحتلت معظم المدن الساحلية المغربية ، ونتيجة هذه الأوضاع تطلع المغاربة لقيادة جديدة تأخذ بالبلاد إلى بر الأمان وقد وجدوا ضالتهم في الأسرة السعدية التي أنقذت البلاد من السقوط والإنهيار وخاصة في عهد أحمد المنصور ، وبالنسبة لبلاد السودان الغربي في هذه الفترة فقد عرف إستقرارا في جميع الأوضاع وخاصة الجانب الإقتصادي في عهد الأسكيين ، كون البلاد كانت تمتاز بثروات طبيعية كبيرة ، أما العلاقة التي كانت تربط بين المغرب وبلاد السودان فكانت علاقة تجارية بالدرجة الأولى ، أما سياسيا فقد شهدت العلاقة بعض التوترات وخاصة في عهد أحمد المنصور وصراعه مع الأسكيين على مناجم الذهب والملح.

---

1 - عبد القادر زبادية ، المرجع السابق ، ص : 91 .

2 - نفسه ، ص : 92 .

الفصل الثاني :ظـــــــروف ومجـــــــــــــريات الحمـــــــــــلة

أولا : **ظروف الحملة المغربية على السودان الغربي**

1/ الظروف الداخلية

2/ الظروف الخارجية

ثانيا : **دوافع الحمـــــــــــــلة**

1/ الدوافع الاقتصادية

2/ الدوافع السياسية

3/ الدوافع الدينية

4/ الدوافع العسكرية

ثالثا : **الحمـــــــــــــــــلة**

1 الإعداد للحملة

2/ الحملة

3/ نهاية إمبراطورية صنغاي

3/ الباشاوات المغاربة الذين تولوا الحكم في السودان الغربي (1951م-1612م)

شهد المغرب تغيرات في الأوضاع الداخلية والخارجية جعلته عرضة للأخطار والمتمثل في الغزو الخارجي الصليبي ، والخطر التركي من جهة أخرى ، ونتيجة هذه الأوضاع حاول المنصور تجنيب بلاده هذه الأخطار ، وذلك بإتباع سياسة المهادنة وخاصة مع الدول الأوروبية والتي آتت أكلها في النهاية ، فقد تغيرت الأوضاع لتصبح أحسن وتشهد البلاد إستقرارا سياسيا لم تشهده من قبل هذا من جهة ، ومن جهة أخرى ونتيجة صراع أحمد المنصور مع الأسكيين في بلاد الصنغاي على مناجم الذهب أرسل المنصور حملة عسكرية سنة 1591 م إنتهت بغزو بلاد السودان الغربي .

أولا : ظروف الحملة المغربية على السودان الغربي :

1/ الظروف الداخلية :

أ/ معركة واد المخازن (986هـ /1578م) :

بعد وفاة الغالب بالله عام (981هـ/1574م) يُويع إبنه السلطان أبوعبدالله المتَوكِل ، لكن لم تدم مدة حكمه طويلا فقد نجح عمه أبو مروان عبدالملك "المعتصم بالله" في يإنتزاع الحكم

منه[1]، وقد إستعان عبدالملك بالأتراك وذلك لإسترجاع ملكه فأمدوه بجيش عظيم زحف به نحو المغرب حيث حدثت صدام بينه وبين ابن أخيه محمد المتوكل وا إنتهت هذه المعركة بإنتصار عبدالملك وفرار المتوكل إلى جبل "درن" وبذلك بايع أهل فاس الملك أبي مروان عبد الملك [2].

حاول أبوعبدالله المتوكل إسترجاع ملكه من عبدالملك وذلك بتكوين جيش كبير والتوجه إلى مراكش حيث نشبت معركة بينه وبين عمه عبدالملك وأحمد المنصور، فإنهزم فيها وفر إلى السوس ثم إلى سبتة ثم دخل طنجة ، حيث وجد بها الملك البرتغالي سان سباستيان وطلب منه الإعانة لإسترجاع ملكه مقابل تقديم السواحل المغربية له[3].

أعد الملك البرتغالي جيشا عظيما تِعداده ثمانين ألف جندي مُدججين بأنواع الأسلحة ووسائل القتال الحديثة[4] وكان عبد الملك على علم بالإستعدادات البرتغالية وبالإتصالات الجارية بين المتوكل و سباستيان ، فقد حاول إيقاف الغزو وا إحباط التعاون بين خصميه بالطرق الدبلوماسية ، لكن عرضه لم يلقى أي إستجابة فقد كانت إستعدادات الحملة قد تمت وتحركت قواتها[5] ، حيث واصل جيش سباستيان سيره حتى وصل إلى الضفة اليسرى لوادي المخازن في جمادى الثانية 986هـ /04 أغسطس 1578م ، وقد أمر عبدالملك أخاه أبا العباس أحمد المنصور بنسف قنطرة وادي المخازن ، وذلك ليصبح جيش الملك البرتغالي

سان سباستيان عاجزا عن الفرار من تلك الجهة[6].

نشبت المعركة وتصادم الطرفان وبدأ دوي المدافع والرصاص ولم يمضي وقت طويل حتى لاحت بشائر النصر للمغاربة ، وا إنتهت المعركة لصالح المغاربة مع مقتل سلطانهم

---

1 - شوقي الجمل ، المرجع السابق ، ص : 174.
2 - نفسه ، ص : 175.
3 - أحمد الناصري ، المصدر السابق ، ص 68-69.
4 - عبد الفتاح الغنيمي ، موسوعة تاريخ المغرب العربي ، مرجع سابق ، ص : 178.
5 - محمد علي عامر ، محمد خير فارس ، **تاريخ المغرب العربي الحديث** ، مديرية الكتب الجامعية ، جامعة دمشق ، ب ت ن ، ص : 54.
6 - شوقي الجمل ، المرجع السابق ، ص : 178.

عبد الملك وقتل ملك البرتغال سباستيان وحليفه محمد المتوكل وغرق معظم جيش البرتغال في مياه النهر[1].

وتعد معركة وادي المخازن[2] من أهم المعارك في تاريخ المغرب ، حيث جعلت من أحمد المنصور واحداً من أشهر سلاطين المغرب ، حيث نجح في فرض إحترام الجميع للمغرب سواء في العالم الإسلامي أو في أوروبا ، وبذلك أصبح للمغرب هيبة كبيرة في العالم كله[3].

ب/ تولي أحمد المنصور[4] الحكم (986هـ-1012هـ/1578م-1603م) :

هو أبو العباس أحمد المنصور ابن السلطان أبي عبد الله الشيخ ، ولد بفاس سنة 956هـ[5] 956هـ[5] تعلم العلم في صغره على يد أساتذة كبار مثل:(أبو العباس أحمد بن قاسم الأندلسي وأبي عمران السوسي) ، كما إشتهر بحسن التبصر وسعة الخبرة والإنصاف وبتتبع أخبار رعيته[6].

تولى أبو العباس أحمد الملقب بالمنصور الحكم بعد معركة واد المخازن عقب وفات أخيه عبد الملك ، حيث إستفاد من هذا النصر العظيم داخليا وخارجيا ، وقد تمتع المغرب في عهده بإستقرار قلما عرفته البلاد[7] ، كما إهتم أحمد المنصور بتنظيم الجيش لكنه أضاف إليه تقاليده تقاليده المغربية إلى جانب التقاليد التركية المعاصرة فخالف بذلك عمل أخيه الذي كان نظام جيشه تركي محض ، وهكذا أرضى أحمد المنصور المغاربة الذين كرهوا أن تُلغى تقاليدهم الخاصة نهائيا[8].

---

1 - محمد علي عامر ، محمد خير فارس ، المرجع السابق ، ص : 55.

2 - أنظر الملحق رقم : 07.

3 - شوقي الجمل ، المرجع السابق ، ص : 181.

4 - **أحمد المنصور الذهبي (1549-1603 م) :** وهو بن محمد الشيخ المهدي بن محمد القائم بأمر الله الزيداني الحسني السعدي ، و أمه الحرة مسعودة بنت الشيخ أبي العباس أحمد بن عبد الله الوزكيتي ، ولد بفاس عام 956هـ/1549م ويعد المؤسس الحقيقي لدولة السعديين التي إتخذت حاضرتها مدينة مراكش عام 989هـ ويعد المنصور أقوى شخصية حكمت في فترة السعديين ، وفي عام 1012هـ وافته المنية بعد إصابته بوباء ضرب المغرب ما بين 1007هـ إلى 1016هـ . أنظر: إبراهيم حركات ، المرجع السابق ، ص : 296.

5 - حسين مؤنس ، **تاريخ المغرب وحضارته** ، مج2 ، ج3 ، العصر الحديث للنشر والتوزيع ، ط1 ، 1992م ، ص : 190.

6 - إبراهيم حركات ، المرجع السابق ، ص : 296.

7 - محمد علي عامر ، محمد خير فارس ، المرجع السابق ، ص ص : 55- 56.

8 - نجيب زبيب ، **الموسوعة العامة بتاريخ المغرب والأندلس** ، ج3 ، ط1 ، بيروت ، دار الأمير ، 1995م ، ص : 375 .

كما كان أحمد المنصور محبا للعظمة والمظاهر الفخمة حيث بنى القصر البديع في مراكش ليجعل منه تحفة فنية لا مثيل لها ، لما إحتواه من روعة الهندسة وجمال الفن وجمع فيه تقاليد المشرق والمغرب وأوروبا الفنية ، وقد حشد له الصناع من كل بلاد وجلب له الرخام من إيطاليا ، فقد وصف الكتّاب والشعراء المغاربة هذا القصر وقالوا أنه فاق كلا من أهرام القاهرة وغمدان اليمن وزهراء الأندلس وقباب الشام[1].

وقد كانت رغبة أحمد المنصور كبيرة في مد نفوذه خاصة بلاد تيكورارين وتوات من أرض الصحراء وما جاورها من القرى و المداشر، فبعث إليهم بجيش كبير حيث تقدموا إليهم بالدعاء للطاعة والأعذار والإنذار ، فإمتنعوا فقاتلوهم وطالت الحرب بينهم أياما ثم كان الظهور لجيش أحمد المنصور فأوقعوا بهم...[2].

شجع غزو تيكورارين وتوات أحمد المنصور[3] للتطلع إلى غزو بلاد السودان رغم كونه بلدا مسلما تحكمه حكومة إسلامية رغبة منه في الإستيلاء على مناجم الذهب[4] ، وهذا ما حصل بالفعل حيث أرسل جيشا كبيرا إلى تلك البلاد وغزاها وقضى على مملكة صنغاي (وسنورد تفاصيلها ودوافعها فيما بعد) ، توفي أحمد المنصور الذهبي في ربيع الثاني 1012هـ/1603م بعد أن إستمر في الملك ستة وعشرون سنة ، وبعد ذلك شهد المغرب فوضى وفتن كبيرة نتيجة تناحر أبناء المنصور على الحكم[5].

2/ الظروف الخارجية :

أ/ الغزو البرتغالي للسواحل المغربية :

1 - محمد علي عامر ، محمد خير فارس ، المرجع السابق ، ص : 59.
2 - أحمد الناصري ، المصدر السابق ، ص : 98.
3 - إبراهيم حركات ، المرجع السابق ، ص : 298.
4 - محمد علي عامر ، محمد خير فارس ، المرجع السابق ، ص: 60.
5 - إبراهيم حركات ، المرجع السابق ، ص : 306.

في الوقت الذي كانت الدولة المغربية تتفكك وتحِلُ الإقليمية محل الوحدة[1] ، كان البرتغاليون والإسبان في شبه الجزيرة الإيبيرية يتطلعون إلى توسيع نفوذهم والسيطرة على سواحل شمال إفريقيا ولاسيما المناطق الإستراتيجية والهامة منها[2].

وفي ظل إمتلاك المغرب لموقع إستراتيجي ممتاز تمثل في طول سواحله الممتدة على المحيط الأطلسي ، جعلها محط أنظار البرتغال التي سعت بدورها إلى إحتلال مراكزها المختلفة ، وخصوصا أن أوضاع المغرب الداخلية كانت جد سيئة بسبب ضعف السلطة المركزية في فاس ، وظهور الوحدات السياسية وما أعقب ذلك من إنتشار الفوضى والإضطرابات[3].

ومع نهاية عصر بني مرين كانت الدولة البرتغالية الحديثة في طور التكون ، حيث شهدت نهضة علمية وصناعية كبيرة ، نتج عنها تولد شعور قومي في كامل شبه الجزيرة الإيبرية خلال الصراع مع المسلمين والذي إتسم بالطابع الديني[4]، وا ِمتدت آثاره إلى شمال إفريقيا فقد حمّل مسيحوا الأندلس شمال إفريقيا تبعية الغزو الإسلامي لبلادهم وتدعيم هذا الغزو ، كما صبوا نار غضبهم على المسلمين في إسبانيا ففر منهم من إستطاع الفرار بدينه وتعقب المسيحيون (البرتغال) المسلمين الفارين إلى الشمال الإفريقي كما قامت حروب طاحنة سميت بحروب الإسترداد[5].

هذا وقد راودت (الأمير هنري الملاح) الذي حكم البرتغال فيما بعد (1394-1460م) فكرة رسم خطة كاملة لحملات بحرية تستولي على سواحل إفريقيا ، بل وتُتَابع أيضا عملها لتصل إلى مصادر الثروة التي كانت تُعتبر الأساس الذي يستند عليه المسلمون لتدعيم جيوشهم ، وكانت هذه الخطة تتجه أولا للوصول إلى "غانة" التي ذاعت شهرتها وثروتها وتجارتها مع المسلمين ، وكانت ثغور المغرب تعتبر المنافذ الرئيسية لهذه التجارة[6].

---

1 - محمد علي عامر ، محمد خير فارس ، المرجع السابق ، ص : 16.
2 - عبد الكريم كريم ، المرجع السابق ، ص : 05.
3 - نفسه ، ص : 05.
4 - محمد علي عامر ، محمد خير فارس ، المرجع السابق ، ص : 16.
5 - شوقي الجمل ، المرجع السابق ، ص ص : 41 -42.
6 - شوقي الجمل ، المرجع السابق ، ص : 43.

وفي 25 جويلية 1415م غادرت ميناء لشبونة قوة برتغالية ضخمة عددها حوالي 240 سفينة متجهة إلى ميناء سبتة المغربي ، وبعد وصولهم للميناء دخلوا المدينة وا ٍحتلوها[1].

وفي 1458م إستولى البرتغاليون على القصر الصغير ثم في عام 1471م إستولوا على أصيلا وطنجة فسيطروا بذلك على الطرف الغربي من مضيق جبل طارق[2]، وا ٍنتهز البرتغاليون فرصة إنشغال الوطاسيين بالدفاع عن السواحل الشمالية للمغرب وعملوا على الإستيلاء على الثغور الجنوبية الغير المحصنة والتي لم يكن بها أي دفاع منظم ، فإستولوا على أغادير سنة 1505م وعلى آسفي سنة 1508م وآزمور سنة 1512م ولم يبقى في أيدي المغاربة من الموانئ المهمة على الأطلس سوى سلا ، وفي ظل هذه الأوضاع ظهرت قيادات دينية وطنية في بلاد المغرب الأقصى أبرزها الأشراف السعديون الذين نجحوا في الوصول إلى السلطة[3].

ب/ العلاقة المغربية العثمانية :

إن علاقات المغرب مع الدولة العثمانية تكتسي أهمية خاصة بإعتبار أن المغرب ظل البلد الوحيد من بلدان العالم العربي الذي أفلت من الخضوع للإمبراطورية التركية.

فقد سعى الأتراك العثمانيون من الوهلة الأولى التي دخلوا فيها إلى موانئ وديار المغاربة في الجزائر وتونس على العمل على محاربة القوى الأوروبية ومنعها من تنفيذ مخططاتها لإحتواء الأراضي المغربية وخاصة المغرب الأقصى ، بإرسالها شحنات السلاح الوفيرة للمغاربة لكي تكون في أيدي المجاهدين لتحرير سواحلها من أيدي الإسبان[4].

وفي ظل هذا التعاون وتطور القوى العسكرية المغربية ، نشب خلاف بين سلاطين آل عثمان وحكام المغرب بسبب النسب الشريف ، فكان سليمان القانوني يريد سحق الأشراف لكونهم يـ َدَّعون أنهم من سلالة النبي صلى الله عليه وسلم وأن الخلافة من حقهم ، وأن آل عثمان هم من الأتراك الأعاجم ولا تحق لهم الخلافة [5] ، وقد سعى الأشراف السعديون إلى

---

1 - نفسه ، ص : 44.
2 - محمد علي عامر ، محمد خير فارس ، المرجع السابق ، ص : 22.
3 - نفسه ، ص : 22.
4 - عبد الفتاح مقلد الغنيمي ، موسوعة تاريخ المغرب العربي ، المرجع السابق ، ص : 299.
5 - عزيز سامح ، **الأتراك العثمانيون في إفريقيا الشمالية** ، تر: علي محمود عامر ، دار النهضة العربية ، بيروت ، 1989م ، ص : 176.

ترويج فكرة الخلافة المغربية في سائر البلاد الإسلامية وخاصة البلاد المغربية ، كما رفضوا قبول أية سلطة خارجية حتى ولو كانت سلطة إسلامية من دولة كبرى كالإمبراطورية العثمانية[1].

في حين أن الأتراك كانوا يسعون إلى بسط سيطرتهم على المغرب الأقصى وتوحيده ، وذلك لتأمين الجانب الغربي لإمبراطوريتهم ولتحرير سواحله من الإسبان[2].

وقد دخل الطرفان في صراع كبير خصوصا بعد أن بسط الأتراك نفوذهم على إمارة تلمسان[3] ، فقام محمد الشيخ بغزو تلمسان بجيش كبير ودخلها في سنة 957هـ/1551م[4]، وكان رد الأتراك عنيفا إذ إحتلوا فاس سنة 961هـ ونصَّبوا أبا حسون عليها ، ولكن لم يلبثوا أن إنسحبوا بعد أن حصلوا على تعويضات كبيرة[5].

وفي سنة 964هـ /1557م تم إغتيال السلطان محمد المهدي على يد جماعة من الأتراك مما أدى إلى زيادة العداوة بين الأتراك و السلطان محمد الشيخ لفترة من الزمن ، وفي عهد الغالب هاجم الأتراك المغرب بقيادة حسن بن خير الدين باشا ولكنهم إنهزموا عند وادي اللبن وكان ذلك في سنة 965هـ ، كما أن عبد الله الغالب بدوره لم يقبل الإعتراف بالخلافة العثمانية[6].

أما عبد الملك وأحمد المنصور فقد لجآ إلى الباب العالي طالبين العون لإسترجاع العرش السعدي ، بعد تعاون الغالب مع الدول المسيحية مما دفع الأتراك إلى إمدادهم بجيش كامل قوامه خمسة آلاف مقاتل (كما ذكرنا سابقا) وبهذا إستطاع عبد الملك السيطرة على فاس[7].

وفي عهد أحمد المنصور بدأت العلاقات تتوتر بين المغاربة والأتراك نظرا لتدخل الأتراك في الشؤون الداخلية للمغرب ، وقد تحسنت العلاقة بين الطرفين بعد وفاته بسبب إنشغال كل طرف بشؤونه الداخلية والخارجية[8].

---

1 - عبد الفتاح مقلد الغنيمي ، **موسوعة تاريخ المغرب العربي** ، المرجع السابق ، ص : 200.
2 - نفسه ، ص : 200.
3 - عبد الكريم كريم ، المرجع السابق ، ص : 76.
4 - أحمد الناصري ، المصدر السابق ، ص : 25.
5 - إبراهيم حركات ، المرجع السابق ، ص : 341.
6 - نفسه ، ص : 342.
7 - عبد الفتاح مقلد الغنيمي ، موسوعة تاريخ المغرب العربي ، مرجع سابق ، ص : 305.
8 - عبد الفتاح مقلد الغنيمي ، موسوعة تاريخ المغرب العربي ، مرجع سابق ، ص : 306.

جـ/ ضعف مملكة صنغاي :

عـَر َفت مملكة صنغاي حالة من الضعف والتدهور فقد شهدت البلاد حالة من الفوضى والإضطرابات ، ففي فترة حكم الحاج محمد الرابع (1586–1588م) قام بقتل من يشك في ولائهم له ، ولكنه لم يستطع القضاء عليهم جميعا فقد فر منهم عدد كبير من هؤلاء والذين أحدثوا ثورة ضده بعد مرور سنة من فرارهم تسببت في مقتل الحاج محمد الرابع[1] والتي نتج عنها تصدع في العلاقات داخل البيت الحاكم ، ترتب عنها تدهور في الأوضاع السياسية للمملكة[2].

وبعد تسلم الأسكيا إسحاق الثاني الحكم في صنغاي وهي في غاية من الضعف بسبب الحروب[3] ثار عليه سكان تنبكتو في سنة 1588م وا ٍعترفت بحاكم آخر من عائلة الأساكي وهو حاكم بالاما المسمى "ساليكي تونكازا" ، ولكن إسحاق الثاني نجح في القضاء عليه و إخماد الثورة[4] ، وما يلاحظ في أواخر عهد مملكة الصنغاي كثرة الصراع والتناحر على العرش العرش مما أدى إلى ظهور فوضى سياسية وا ٍجتماعية وا ٍقتصادية داخل المملكة وهذا ماأصبح يعرضها للغزو الخارجي أكثر[5].

وهذا ما إستغله المغاربة بقيادة أحمد المنصور الذهبي الذي جهز حملة عسكرية لغزو بلاد السودان الغربي إنتهت بالقضاء على مملكة صنغاي.

ثانيا : دوافع الحملة المغربية على السودان الغربي :

1– الدوافع الإقتصادية :

1 - عبد القادر زبانية ، المرجع السابق ، ص : 51.
2 - الهادي الدالي ، مرجع سابق ، ص : 197.
3 - عبد القادر زبادية ، المرجع السابق ، ص ص : 51-52.
4 - نفسه ، ص : 52.
5 - محمد الغربي ، المرجع السابق ، ص : 64.

لقد لفتت خيرات المناطق الواقعة جنوب الصحراء نظر سلاطين المغرب منذ عهد بعيد وكانت الخيرات على أشكال متعددة[1] : الذهب والملح والنحاس والعاج والبيشر والعبيد ، وهذا ما ذكره الفشتالي بقوله:(...**فإنها أغزر نفعا وأجدى مغبة وأرحب مجالا وأوسع عمرانا وأوفر نشبا وأقوى بمعادنها وكثرة المشتاق من رقيقها...**)[2].

وهذا ما لفت نظر أحمد المنصور ورغب في الحصول عليه ، فقد كان أحمد المنصور يطيل التفكير لا في موضوع الملح وحده لكن في كل خيرات السودان ، وقد كان يخطط لضم هذه البلاد إلى المغرب ، فرسم سياسة توسعية خاصة مبنية على أساس التمركز في المواقع الإستراتيجية الهامة في الصحراء المغربية التي تشتهر بواحاتها ومعادنها وبأهميتها في المواصلات ، ومن ثم إتخاذ هذه القواعد نقاط إرتكاز للتوسع[3] ، ووضع الخطط لإحتلال الصحراء الوسطى والسنغال ليستعين بفتحها على توفير المقاتلين والدواب لتنفيذ عملياتها التوسعية[4].

فقد كان لأحمد المنصور مخططات واسعة يحتاج في تنفيذها للمال وذلك لإستكمال إستعداداته في البر والبحر ، ويقول الفشتالي في ذلك:(...**وهو اليوم أيده الله لهذا العهد بصدد الإكثار من الأساطيل رغبة في الجهاد والإستظهار على عدو الدين...بما أتيح لسيوفه المظفرة من الإستيلاء على الممالك السودانية المعينة بخراجها المستبحر ومعادن الذهب على التوسع في الأنفاق...حتى يبلغ أمل الإسلام في الجهاد و يفتح من أرض الأندلس من أقصى البلاد والأقطار البعاد...**)[5].

كان أحمد المنصور يسعى إلى تلبية المتطلبات الإنمائية والعسكرية معا وقد كانت موارد المغرب أدنى من أن تتسع لسد هذه الإحتياجات من نفقات عسكرية ومنشآت عمرانية وا ٍجتماعية ، ومن المعروف أن بلاد السودان تتوفر على العديد من الثروات وأبرزها الذهب الذي طمع المنصور في الحصول عليه وا ٍستغلاله في مشاريعه التوسعية ، ثم بدى للمنصور أن يبني هذا الأمر على أساس شرعي فإستفتى علماء أيَّالته وأشياخ الفِتية وكبار العلماء ،

1 - محمد الغربي ، المرجع السابق ، ص : 117.
2 - عبد العزيزالفشتالي ، المصدر السابق ، ص : 128.
3 - عبد الكريم كريم ، المرجع السابق ، ص : 148.
4 - محمد الغربي ، المرجع السابق ، ص : 120.
5 - عبد العزيزالفشتالي ، المصدر السابق ، ص : 197.

فأفتوه بما هو منصوص عليه عند العلماء من أن النص في المعادن مطلقها إنما هو للإمام لا لغيره ، وأنه ليس لأحد أن يتصرف في ذلك إلا عن إذن السلطان أو نائبه[1].

سعى المنصور للسيطرة على تجارة الصحراء مع السودان والسيطرة على موارد الذهب وذلك لتعويض التكاليف الكبيرة لإنجاز مخططاته التوسعية وتغطية نفقاتها الكبيرة ، وهذا ما حصل بالفعل فقد أورد محمد الوفراني في كتابه نزهة الحادي أن المنصور حصل على غنائم كثيرة بقوله:(...**ولما فتح عليه ممالك البلاد السودانية ، حمل له من التبر ما يغير الحاسدين ويحير الناظرين ، حتى كان المنصور لا يعطي في الرواتب إلا النضار الصافي والدينار الوافي ، وكانت ببابه كل يوم أربعة عشر ماية مطرقة تضرب الدينار دون ماهو معد لغير ذلك من صوغ الأقراط والحلي وشبه ذلك ، ولأجل ذلك لقب بالذهبي لفيضان الذهب في زمانه...**)[2] ، وبذلك قوي ملكه وبقيت جباية السودان الغربي تأتيه في كل سنة.

2- الدوافع السياسية :

أ) الظروف الدولية في هذه الفترة :

شهد العالم في هذه الفترة تطورات سياسية كبيرة حيث ظهرت صراعات كبيرة على النفوذ وتهافتات إستعمارية وصراعات دينية أدت إلى صدامات بين دول غرب أوروبا وجنوبها ، وهذا ما فتح الطريق أمام أحمد المنصور لتنفيذ مخططاته[3] ، كما أن المغرب في هذه المرحلة كان في مأمن من التحرشات والأخطار الخارجية بسبب سياسة المنصور الحكيمة حيث إتبع سياسة المهادنة مع القوى الخارجية وخاصة الدول الأوروبية المسيحية[4].

وبعد سقوط الأندلس في أيدي النصارى الإسبان والجزائر في أيدي العثمانيين أغلقت بذلك الأبواب على المغرب من جهتي الشمال والشرق ، ونتيجة هذا الوضع كان لزاما على المنصور فتح طريق جديدة نحو بلاد السودان الغربي من منفذا عسكريا واقتصاديا ، حيث جمع حاشيته والحكماء والوجهاء لديستشيرهم في أمر ضم السودان للمغرب ولكنهم أشاروا عليه بعدم فعل ذلك وتحججوا لهم بعدة حجج مثل: أن السودان بلد مسلم

1 - أحمد الناصري ، المصدر السابق ، ص :111.
2 - محمد الصغير الوفراني ، المصدر السابق ، ص : 95 .
3 - محمد الغربي ، المرجع السابق ، ص : 87.
4 - عبد الفتاح مقلد الغنيمي ، موسوعة تاريخ المغرب العربي ، المرجع السابق ، ص : 201.

طريقه و َعِر َة وصـُعوبة مـَسالِكها وتـَعـَذُر مـَدارِكِها ، ولكنه أجابهم قائلا:(...**أما قولكم بيننا وبينها صحار مخوفة ومفاوز مهملة لجدوبتها وعطشها فنحن نرى التجار على ضعفهم وقلة إستعدادهم يشقون تلك الطرق في كل وقت...وأنا أقوى أهبة منهم وللجيش همة ليست للقوافل ، وأما قولكم أن من كان قبلنا من الدول الطنانة لم تطمح أبصارهم لذلك ، فإعلموا أن المرابطين صرفوا عنايتهم لغزو الأندلس ومقابلة الإفرنج...والموحدون إقتفو سبيلهم في ذلك...والمرينيون كانت غالب وقائعهم مع بني عبد الواد بتلمسان ، ونحن اليوم إنسدّ عنا باب الأندلس بإستيلاء العدو الكافر عليها ، وإنقطعت عنا حروب تلمسان بإستيلاء الأتراك عليها ، ثم إن أهل الدول تلك لو أرادوا ما أردنا لصعب عليهم لأن جيوشهم كانت فرسانا رامحة ورماة ناشبة ولم يكن عندهم هذا البارود وعساكر النار المرهبة ، وأهل السودان ليس عندهم إلا الرماح والسيوف وهي لا تقاوم هذه المدافع المستحدثة ، فمقاتلتهم سهلة وحربهم أيسر من كل شيئ...)**[1].

ومع بداية النصف الثاني من القرن السادس عشر ميلادي أصبح المغرب يـُمثل حـَلقة وصل بين قـُوتين عظيمتين ، إحداهما في جنوب أوروبا (البرتغال وإسبانيا)و(إنجلترا وفرنسا) ، والثانية في شرق البحر الأبيض المتوسط والمتمثلة في الدولة العثمانية الصاعدة كما أن المغرب أصبح يـُمثل لأوروبا الجسر الأكثر ملائمة للعبور إلى إفريقيا الغربية والهند والعالم الجديد عن طريق سواحله المترامية الأطراف وموانئها العميقة ، أما بالنسبة للعثمانيين فقد كان المغرب في نظرهم المنطقة الغنية الآهلة التي إستعصت على جيوشهم والبلد العربي الذي لم ينضوي تحت حكمهم[2].

ب) العمل على حماية المغرب من جهة الجنوب :

سعى أحمد المنصور إلى فك الطوق المضروب على المغرب من جهة الشمال ، وذلك بتحرير سواحله المحتلة بالوسائل العسكرية منها وبالوسائل السياسية عن طريق المفاوضات ، وأما في الجنوب فكان العمل وقائيا يـَرمِي إلى منع العثمانيين من الوصول إلى الغرب الإفريقي الأوسط ، وشل المستعمرين البرتغاليين الموجودين في أركان غامبيا ، ومنع القوات المتواجدة

1 - أحمد الناصري ، المصدر السابق ، ص ص : 113-114.
2 - محمد الغربي ، المرجع السابق ، ص : 88.

فيهما من التوغل شرقاً والوصول إلى مصادر الذهب والملح ، وبالتالي منع أي إمتداد نحو المغرب في المستقبل[1].

وإذا كان أحمد المنصور قد فكر في ضم السودان الغربي إلى المغرب فإن جُملة دوافعه في ذلك هو دفع الخطر المُحدق بالسودان الغربي من طرف الأتراك من جهة الشرق والبرتغاليين من جهة الغرب ، والقضاء نهائيا على الأطماع التركية والبرتغالية ، ولكن هذا لم يحصل لأن الجُيوب البرتغالية في تلك المنطقة ظلت قوية رغم إنهيار الدولة البرتغالية نفسها ، فقد تزايد الخطر البرتغالي كثيرا حيث كانت هناك تجارة نامية وتبشير مسيحي وحملات عسكرية محدودة وتجارة لبيع السلاح في المنطقة[2].

وفي سنة 1588م حلت حامية إسبانية في أركان محل الحامية البرتغالية وهذا ما لم يُعجب أحمد المنصور فلجأ إلى الإنجليز لمساعدته على إحتلال الرأس ، ولكن هذا المسعى لم ينجح وقد إكتفى المنصور بإعتراض السفن المُتجهة إلى الجنوب ، كما واصل مُهاجمة جزر الكناري بإعتبارها عقدة مواصلات رئيسية نحو الجيوب الإستعمارية على الساحل الإفريقي ، وقد ظلت أغادير بأسطولها المتواضع تشكل عقبة رئيسية في وجه التوسع الإستعماري في جنوب الصحراء ، فقد كانت الجيوب والمراكز الإستعمارية عند الساحل السوداني تُشكل الخطر الأكبر على المغرب وعلى بلدان إفريقيا كُلِها في نظر أحمد المنصور[3].

ج) محاولة ربط الإتصال المباشر بإمبراطورية (كانم – بورنو) :

ظهرت خلال القرن السادس عشر دولة إسلامية في السودان الأوسط تُدعى (بورنو) أظهرت ودها للمغرب ، حيث إصطدمت هذه الدولة بالأسيكا في الغرب ، ونتيجة هذا الصدام أرسل ملك بورنو إدريس الثالث (1596/1564م) رسوله برسالة إلى المنصور وكما جرت العادة جاء الرسول ومعه هدايا للمنصور[4] ، وجاء في الرسالة طلب المدد والعون بالعساكر والجُنود والمدافع لمُحاربة ومُجاهدة من يَليهم بقاصية السودان من الكفار، ولكن المنصور طالبهم بالبيعة له والدخول في دعوته النبويةالتي أوجب الله عليهم وعلى جميع العِباد في

1 - محمد الغربي ، المرجع السابق ، ص : 147.
2 - نفسه ، ص ص : 148-149.
3 - محمد الغربي ، المرجع السابق ، ص : 152.
4 - عبد العزيزالفشتالي ، المصدر السابق ، ص : 67.

أقطار البلاد الإنقياد إليها ، وعَلَقَ لهم الإمداد على البيعة والوفاء بهذا الشرط وهذا ما قبله الرسول وزعم أيضا عن سلطانه بالقبول والإجابة[1].

لم يفي المنصور بوعوده حيث لجأ إلى سياسة المماطلة والتسويف بإتخاذ الأعذار المختلفة وذلك يرجع إلى رغبة المنصور في عدم إدخال تلك الأسلحة الفتَّاكة إلى السودان وإبقاء الحال كما هو أسلحة تقليدية وذلك لتنفيذ سياسته التوسعية بسهولة في المنطقة[2].

وقد عمد أحمد المنصور إلى تطويق مملكة صنغاي من جهة الشرق ليفتح بينه وبين مملكة بورنو الإسلامية إتصالاً مباشراً ، حيث أن أحمد المنصور لم يكن يفكر في إمبراطورية الصنغاي فقط بل كان يفكر بما ورائها حيث كان يطمح إلى الوصول إلى تخوم الشمال الإفريقي كله من الجزائر إلى مصر ، وتمركزه على إمتداد الشريط الصحراوي الذي يحد تلك البلاد جنوبا[3].

3- الدوافع الدينية :

أ) إعتبارات الخلافة و الإمامة :

كان أحمد المنصور يرى أنه القرشي كريم الدوحة النبوية الأحق بالخلافة في العالم الإسلامي كله مشرقه ومغربه[4]، وإعتبر المنصور أنه مادامت الخلافة واجبة شرعا فإن من حقه بل واجبه إتجاه المُسلمين أن يبسط خِلافته النبوية على ما جاوره من بلاد[5] ، وهذا ما أكده الفشتالي بقوله:(...**والناس لنا فيه تبع المتبعون وفي الصحيحين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: الأئمة من قريش ، وقال عليه السلام: لا يزال هذا الأمر في قريش ما بقي منهم إثنان ، وقال عليه السلام : إن هذا الأمر في قريش لا يعاديهم أحد إلا كبه الله على وجهه ، وقال عليه السلام: الناس تبع لقريش في هذا الشأن مسلمهم لمسلمهم وكافرهم لكافرهم ، ولهذا الأثار الشريفة وضروبها ظهر الحق...**)[6].

فكان المنصور يرى نفسه الأحق بالخلافة وأن من واجبه الدفاع عن دِيار المسلمين والجهاد بإعتباره خليفةً لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، وواجب على المسلمين إتباعه في

---

1 - أحمد الناصري ، المصدر السابق ، ص ص : 104-105.
2 - عبد الكريم كريم ، المرجع السابق ، ص : 149.
3 - محمد الغربي ، المرجع السابق ، ص : 153.
4 - عبد الفتاح مقلد الغنيمي ، موسوعة تاريخ المغرب العربي ، المرجع السابق ، ص : 202.
5 - محمد الغربي ، المرجع السابق ، ص : 108.
6 - عبد العزيزالفشتالي ، المصدر السابق ، ص : 132.

ذلك[1] ، وبذلك إعتبر المنصور حاكم سلطنة صنغاي الإسلامية معزولا شرعا مالم يُوافق على الدخول في طاعته والإعتراف بخلافته القرشية[2].

وقبل إرسال الحملة بعث المنصور إلى الأسكيا يُنبهه لذلك كما أرسل المنصور عدة رسائل إلى علماء السودان وأعيانهم وقادتهم ، يطلبمنهم الإنضواء تحت حُكمه وأن الله يفرض عليهم السمع والطاعة له والإنخراط بواسطة البيعة في سلك الجماعة[3].

ب/ توحيد المسلمين بغرب إفريقيا :

أراد أحمد المنصور ضم بلاد السودان الغربي للمغرب وذلك لجمع كلمة المسلمين في غربي إفريقيا ، وأن يكونوا يداً واحدةً للتصدي للخطر الأوروبي وخاصة إسبانيا والبُرتغال المُتربصتين بالسودان البلد المسلم الغني بالثروات وبالسواحل الإستراتيجية التي تَتَحكم في طريق الهِند البحرية ، وفي هذا الصدد قال أحمد المنصور:(...**وقصدنا إنشاء الله الجهاد...والعساكر والأجناد التي جعلناها لنكاية عدو الدين بالمرصاد و أعتدناها للذب عن كلمة الإسلام وحياطة البلاد والعباد...**)[4].

ج) الجهاد :

بعد سقوط الأندلس في أيدي النصارى الإسبان وغزو البرتغاليين للسواحل الإفريقية في الجنوب ، صار الخطر الصليبي يُهدد بلاد السودان خاصة من جهة المُستعمرات البرتغالية قبالة ساحل السنغال[5] ، والتمركز الإسباني في جزر الكناري ، فصارا يحملان أخطار الإحتواء الإحتواء الأوروبي لأراضي واقعة في بلاد الإسلام تستوجب حمايتها والجهاد من أجلها[6] ، كما كما ظهر خطر آخر على بلاد السودان ألا وهو ظهور الأطماع التركية العثمانية في إمبراطورية (كانم – بورنو) المتاخمة للصنغاي[7].

وهذا ما جعل أحمد المنصور يفكر في التوسع جنوب بلاد السودان وا ِكتساب الصحراء ، وذلك لقطع الطريق على البرتغاليين والإسبان حيث بدأت هاتين الدولتين في التغلغل داخل الأراضي الإفريقية وسيطرت على بعض المناطق فيها ، كما فكر أحمد المنصور بقطع

---

1 - محمد الغربي ، المرجع السابق ، ص ص : 106-107.
2 - عبد الفتاح مقلد الغنيمي ، موسوعة تاريخ المغرب العربي ، المرجع السابق ، ص : 209.
3 - محمد الغربي ، المرجع السابق ، ص : 116.
4 - محمد رزوق ، **دراسات في تاريخ المغرب العربي** ، ط1 ، مطبعة إفريقيا الشرق ،1991م ، ص ص : 102-103.
5 - الحسين عماري ، **مجلة المؤرخ** ، المرجع السابق ، ص : 99.
6 - محمد رزوق ، المرجع السابق ، ص : 106.
7 - محمد الغربي ، المرجع السابق ، ص : 149.

الطريق على الأوروبيين من جهة الجنوب وبذلك يضمن عدم محاصرة المغرب من هذه الجهة[1].

وقد إستغل أحمد المنصور عامل الجهاد كوسيلة لضم السودان وحمايتها من الخطر المسيحي المحدق بها ، فقام المنصور بإرسال رسالة إلى قاضي تنبكت الفقيه العلامة أبي حفص عمر بن الشيخ محمود بن عمر أقيت الصنهاجي يأمره بحض الناس على الطاعة ولزوم الجماعة،[2] وا ٍقامة الحجة وا ٍيضاح معالم الشرع والإحتجاج بالكتاب والسنة على وجوب تقليد البيعة للمنصور ، وجاء في نص الرسالة:(**...من عبد الله تعالى المجاهد في سبيله الإمام المنصور بالله أمير المؤمنين...إلى القاضي عمر ابن محمود بن عمر أسعدكم الله بتقواه وطاعته وعرفكم بركة الإنضواء إلى حزب الهدى وجماعته...نفتح البلاد المقفلة أرضا أرضا ونقيم من أعمال الجهاد ومصالح البلاد نفلا وفرضا...**)[3].

كما أن أحلامنصور كان يرى بأن الشرع يـُبِيحُ إحتلال أمير مسلم لبلد إسلامي آخر، وذلك إذا كان متولي أمور المسلمين في ذلك البلد ضعيفا أو عاجزا عن دفع خطر الكفار القابعين عند حـُدوده ، أو عجزه عن دفاعه عن بلده حين يكون الخطر وشيكا أو متوقعا من جانب العدو الكافر ، ولهذا إستصدر المنصور فتوى واضحة من العالم محمد العربي الفاسي حول جهاد العدو من قرب أماكن تواجده حيث جاء في نص الفتوى:(**الجهاد فرض عين على من نزل العدو به أو قريبا منه من أهل مدينة أو غيرها إذا علم أنه يجب علينا أن ندافعهم عن الإستيلاء على وطن من أوطان المسلمين قبل إستيلائهم عليه**)، وهذه الفتوى تـُعطي الحق للمنصور بل وتجعل من ذلك واجباعليه أن يتجه نحو السودان ويضمها للمغرب مادام الخطر مـُحدقا بها وا ٍن لم يفعل فهذا عـِصيانٌ لأوامر الله عزّ وجل[4].

كما كان المنصور يهدف إلى إستغلال خيرات السـُودان الغربي والإستعانة بها في قتال الإسبان وا ٍسترداد الأندلس وا ٍرجاعها إلى حضيرة المسلمين ، ويقول الفشتالي في ذلك :(**...وهو اليوم أيده الله لهذا العهد بصدد الإكثار من الأساطيل رغبة في الجهاد والإستظهار على عدو الدين...بما أتيح لسيوفه المظفرة من الإستيلاء على الممالك السودانية المعينة**

1 - عبد الفتاح مقلد الغنيمي ، موسوعة تاريخ المغرب العربي ، المرجع السابق ، ص : 202.
2 - أحمد الناصري ، المصدر السابق ، ص : 121.
3 - عبد العزيزالفشتالي ، المصدر السابق ، ص ص : 131-132.
4 - محمد الغربي ، المرجع السابق ، ص ص : 148-149.

بخراجها المستبحر ومعادن الذهب على التوسع في الأنفاق...حتى يبلغ أمل الإسلام في الجهاد ويفتح من أرض الأندلس من أقصى البلاد والأقطار البعاد...)[1].

ولكن كل هذه المبررات لم تكن حججا لتبرير الحملة على السودان الغربي وذلك لعدة إعتبارات نذكر منها :

* كون أحمد المنصور يعرف بأن منطقة السودان الغربي منطقة يسكنها شعب مسلم و تحكمه قبائل الفونغاي المسلمة ، وأن الجيوش التي سوف يواجهها جيوش مسلمة وفي ذلك يقول الوفراني:(... **وحكم في رقابهم سيوف جوذر وجيوشه حتى كان أهل السودان ينادون نحن مسلمون نحن إخوانكم في الدين...)** [2].

* ما كان عليه أهل تلك البلاد من الأخذ بدين الإسلام ، وهم من أحسن الأمم إسلاما وأقومهم دينا وأكثرهم للعلم وأهله تحصيلا ومحبة[3].

* إقتصار الحملة على الذكور العزب والذين تركوا أزواجهم في المغرب وهذا مالا يساعد على تطبيق القواعد الشرعية في موضوع التفريق بين ما هو حلال وما هو حرام بسبب ظروف الحرب[4].

* عدم وجود علماء وأئمة ووعاظ ورجال دين مسلمين من بين الآلاف الموجودين في الحملة وإقتصارها بشكل كبير على الأجانب الذين لا يفقهون في الدين الإسلامي الشئ الكثير ، ومن بين هؤلاء قائد الحملة جوذر باشا ومحمود بن زرقون ومجموعة من العلوج الرماة الذين إعتنقوا الإسلام تلقائيا وأحيانا بضغط من السعديين[5].

* كما ضمت الحملة مجموعة من الأندلسيين حيث لم تكن لغتهم ولا معرفتهم بالدين الإسلامي بالقدر الذي يؤهلهم للقيام بالدعوة إلى تعاليم الإسلام إضافة إلى الصناع والعمال والأطباء والخدم وأغلبهم عاد إلى المغرب بعد الحملة ، وهنا نجد أن الهدف من الحملة لم يكن نشر الإسلام بقدر ما هو حمل أهل السودان الغربي على الولاء للمنصور وطاعته[6].

---

1 - عبد العزيزالفشتالي ، المصدر السابق ، ص : 197.
2 - محمد الصغير الوفراني ، المصدر السابق ، ص : 94.
3 - أحمد الناصري ، المصدر السابق ، ص : 131.
4 - محمد الغربي ، المرجع السابق ، ص : 134.
5 - إبراهيم حركات ، المرجع السابق ، ص : 414.
6 - محمد الغربي ، المرجع السابق ، ص ص : 131-132.

4- الدوافع العسكرية :

أ) محاولة التخلص من بعض فرق الجيش الأندلسي :

كان المـ ُورسكيون يـ ُشكلون مصدر قلق لأحمد المنصور الذهبي طيلة فترة حكمه نتيجة المشاكل والفتن التي خلقوها ، فقد قاموا بتشكيل تحالفات مع الأتراك حيث أقاموا جمهورية في منطقة السوس ولكنها لم تدم سوى عام واحدا فقط[1].

كما قاموا بتشكيل تكتلات دينية ذات خلفيات سياسية تخريبية ، ويتعلق الأمر بالطائفة الأندلسية والتي إنتشرت تعاليمها في فاس ومراكش والرباط وتطوان، حيث كان زعماءها الكـِباريـ ُقيمون في مراكش ، وقد ظهرت فتنة كبيرة بسببهم فقد بدأوا في نشر المقالات القبيحة والشنيعة في المجال الديني ، كما سـ َبـ ُوا أئمة المذاهب رحمهم الله وخاصة الإمام مالك رحمه الله والذي كان مذهبهسائدً ا في المغرب[2]كما كان المـ ُورسكيون يميلون إلى العـ ُزلة والتكتل و يكرهون الخـ ُضوع لغيرهم ولهذا فقد كانوا غير مخلصين للمغرب ولملوكه فإستخدمهم أحمد المنصور في الجيش وجعلهم عماد حملته على السودان الغربي ، وذلك للتخلص منهم وقطع دابر الفتنة التي قامت وتقوم بسبب بعض عناصرهم ، وكان المنصور يتحين الفرص لإبعادهم عن البلاد في كل مرة[3].

وقد تبين ذلك في مراسلاته مع الملكة إليزابيت حيث كان يريد إسناد مهمة العمل المشترك في المستعمرات الإسبانية لهم ، لأنهم كانوا هم قوام جميع الحملات البحرية في أعالي البحار ولكن المنصور لم يفعل ذلك خوفا من إستعمالهم ضده من طرف الإنجليز[4].

ب) إنعدام التكافئ العسكري :

لقد كان الفرق كبيرً ا بين الجيشين المغربي والسوداني فجيش المنصور كان مـ ُنظمً ا ومـ ُجهزً ا بأحدث تجهيز ومـ ُدربً ا على أحدث أساليب القتال[5] ، وهذا ماذكره الفشتالي في كتابه مناهل الصفا بقوله:(...**بخلاف هذه العساكر الأمامية المنصورية كلاها الله تعالى وحماها فإنها عساكر قاذفة بشواظ النار وحصباء البندق المنهل بسحائب من البارود مركوم تزجيه الرعود**

---

1 - نفسه ، ص : 157.
2 - أحمد الناصري ، المصدر السابق ، ص : 50.
3 - إبراهيم حركات ، المرجع السابق ، ص : 157.
4 - نفسه ، ص ص : 159-160.
5 - عبد الفتاح مقلد الغنيمي ، موسوعة تاريخ المغرب العربي ، المرجع السابق ، ص : 211.

القاصفة والصواعق الراجفة تتبعها الرادفة فالحصة منها تدوخ أقصى تلك الأقطار لعدم لا قدرة على مقاومتها والإنتصار لمحاربتها...)[1].

والثاني غير مـُ نظم يضم عدة أصناف من المتطوعة والمرتزقة والعبيد ، لا يملكون سوى الحرشان والرماح ويأخذونا التعاليم والتوجيهات من أشياخ السحرة والنفث والعزائم في بعض الأحيان[2] ، وهذا ما ذكره المنصور لحاشيته لما جمعهم ليستشيرهم في إرسال جيشه للسودان بقوله:(...**فليس عندهم هذا البارود وعساكر النار المرهبة ، فأهل السودان عندهم الرماح والسيوف فقط وهي لا تقاوم هذه المدافع المستحدثة ، فمقاتلتهم سهلة وحربهم أيسر من كل شئ...)**[3].

وهذا ما يفسر عدم دعم أحمد المنصور لملك بورنو إدريس الثالث رغبة منه في عدم إدخال تلك الأسلحة الفتاكة إلى السودان وا إبقاء الحال كما هو عليه أسلحة تقليدية وذلك لتنفيذ سياسته التوسعية بسهولة[4].

الحملة المغربية على السودان الغربي :

1/ الإعداد للحملة :

أ/ الإرهاصات الأولى للحملة :

لقد لفتت خيرات بلاد السودان الغربي نظر السلطان أحمد المنصور ولذلك كانت رغبته في الحصول عليها كبيرة [5] ، وقد إستغل أحمد المنصور مشكلة ممالح تغاز مع الأسكيا إسحاق الثاني[6] ، كحجة وذريعة لتوجيه الحملة على بلاد السودان الغربي وهذا في الظاهر أما أما في الباطن فقد كان أحمد المنصور يرغب في الحصول على الثروات الموجودة في بلاد السودان الغربي وخاصة الذهب بدرجة أكبر وفي هذا يقول الفشتالي:(...**فإنها أغزر نفعا وأجدى مغبة وأرحب مجالا وأوسع عمرانا وأوفر نشبا وأقوى بمعادنها وكثرة المشتاق من رقيقها...)**[7].

---

1 - عبد العزيزالفشتالي ، المصدر السابق ، ص : 128.
2 - محمد الغربي ، المرجع السابق ، ص : 161.
3 - أحمد الناصري ، المصدر السابق ، ص ص : 113-114.
4 - عبد الكريم كريم ، المرجع السابق ، ص : 149.
5 - محمد الغربي ، المرجع السابق ، ص : 117.
6 - عبد الفتاح مقلد الغنيمي ، موسوعة تاريخ المغرب العربي ، المرجع السابق ، ص : 210. **أنظر** أيضا : محمد الصغير الوفراني ، المصدر السابق ، ص : 90.
7 - عبد العزيزالفشتالي ، المصدر السابق ، ص : 128.

وليضفي المنصور على هذه الحملة صبغة وطابع شرعي قام بجمع حاشيته من العلماء والحكماء ليستشيرهم في توجيه الحملة نحو بلاد السودان ، ولكنهم قي بداية الأمر نصحوه بعدم فعل هذا وتحججوا له بعدة حجج منها :كون بلاد السودان بلد مسلم وطريقه صحبة وأن من قبلهم لم يفكروا في هذا ، ولكن المنصور رد عليهم بقوله: أن التجار على ضعفهم يشقون هذه الطرق وأن جيشه أقوى أهبة منهم ، وأن من قبلنا لم يفكروا في هذا كونهم إنشغلوا بالصراعات الداخلية والخارجية في تلك الفترة وبذلك أقنع أحمد المنصور الذهبي حاشيته بهذه الفكرة [1].

وأول ما قام به أحمد المنصور هو إرسال عُيونًا إلى جاو وذلك للإستطلاع عن أخبار السودان الغربي وبعد عودتهم زودوا المنصور بمعلومات مُفصلة عن ضعف مملكة صنغاي وإضطرابها في أواخر أيامها[2] ، وفي هذه السنة وصل كرنفلإلى مراكش وهو رجل من خُدام الأمير الأسكيا بن داوود ابن الأمير أسكيا الحاج محمد هاربا من سجن تغاز ، وقد أخبر هذا الأخير عن أخبار وأحوال صنغاي ومدى ضعفها[3].

وبعد تزويد أحمد المنصور بالمعلومات حول ضعف مملكة صنغاي و إضطرابها في أواخر أيامها وتأكده و تيقنه من هذا ، قرر أحمد المنصور إستئناف العمل الفوري لإحتلال صنغاي وإمتلاك مواردها[4].

ب/ القيادة :

منذ بداية إعداد الحملة المتوجهة نحو بلاد السودان الغربي تم إسناد قيادة الحملة للقائد جوذر باشا[5] ، حيث تم تشكيل هيئتين للقيادة من طرف أحمد المنصور إحداهما عسكرية والأخرى مدنية ، ووضع جوذر باشا على رأسهما ، وقد كانت الهيأة العسكرية تتكون من كبار الضباط[6] وعُرِفوا على النحو التالي :

---

1 - محمد الصغير الوفراني ، المصدر السابق ، ص : 92.
2 - عبد العزيزالفشتالي ، المصدر السابق ، ص ص : 121-122.
3 - عبد الرحمان السعدي ، المصدر السابق ، ص : 137.
4 - عبد القادر زبادية ، المرجع السابق ، ص : 92.
5 - **جوذر باشا :** ولد جودر في إسبانيا لأسرة موريسكية ، نشأ في « لاس كويفاس » على مقربة من مدينة غرناطة ، وفي صغره تم أسره أثناء غارة على الشاطئ الإسباني ثم نقل إلى المغرب ، ومع الوقت أصبح قائد عسكري مغربي عمل تحت أمر السعديين ، وفي عهد السلطان أحمد المنصور الذهبي تم تعينه لقيادة حملة على السودان الغربي التي تقع الآن في مالي وجزء من النيجر عام 1590م. **أنظر:** عبد الرحمان السعدي : المصدر السابق ، ص : 137.
6 - محمد الغربي ، المرجع السابق ، ص : 205.

* سبعة من القوات لتشكيلات قلب الجيش وهم : القائد مصطفى التركي والقائد مصطفى بن عسكر الأندلسي والقائد أحمد الحروسي الأندلسي والقائد أحمد بن عطية والقائد عمار الفتى البرتغالي ظن والقائد أحمد بن يوسف البرتغاليوالقائد علي بن مصطفى البر تغالي[1].

* أحمد بن الحداد العمري الصحراوي قائد جيش العرب 1500 عسكري من بني معقل.

* كاهية واحدة لقيادة الجناح الأيمن باحسن فرير البرتغالي.

* كاهية واحدة لقيادة الجناح الأيسر قاسم الوردي الأندلسي[2].

أما جوذر فكان يتولى القيادة العامة للجيش كله ويقود قوات الرديف المشكلة من الطبجية (المدفعيين) ورجال البحرية ، وكوكبة من الفرسان ومجموعات صغيرة من حاملي الغدارات[3].

ج/ التشكيلات العسكرية للحملة :

أخذ أحمد المنصور في الإتعداد للغزو وا ٍهتم بنفسه شخصيا الإشراف على ما تتطلبه الحملة من وسائل ومعدات والإستعداد لهذه الحملة بصفة خاصة ، ووضع الإمكانيات الضخمة التي كان المنصور يتوفرعليها ، لذا فإنه قدر صعوبة الصحراء وكفاءة القوات وأن القوات الصغيرة ذات الكفاءة العالية والتجهيزات الكاملة أقدر في الوصول إلى بلاد الصنغاي لاسيما وأن أسلحة المغاربة أفضل خاصة الأسلحة النارية فهذا التفوق في السلاح يفوق الكثرة العددية[4].

كما أن المنصور إختار القائد جوذر باشا لقيادة الحملة[5] ، وجعل له هيئة إستشارية عليا من كبار القادة (...**يرجع إليهم في مخض زبدة الآراء ومجال المفاوضة...**)[6].

كما أن أحمد المنصور قام بدعوة القبائل للمساهمة في التجهيز للحملة بالجمال والخيول ومواد التموين والقوات وسخر المنصور الآليات الأخرى من أسلحة خفيفة وثقيلة من منجنيقات و مدافع صغيرة وكبيرة وذخيرة من رصاص ومواد بناء وحديد وفولاذ وبارود وأوعية حفظ الماء والزاد والحبال والأخشاب لصناعة القوارب والمراكب[7] وقد كان أحمد المنصور حريصً ا على

---

1 - عبد الرحمان السعدي ، المصدر السابق ، ص : 138.

2 - نفسه ، ص : 138.

3 - محمد الغربي ، المرجع السابق ، ص : 206.

4 - عبد الفتاح مقلد الغنيمي ، موسوعة تاريخ المغرب العربي ، المرجع السابق ، ص : 216.

5 - أحمد الناصري ، المصدر السابق ، ص : 121.

6 - عبد العزيزالفشتالي ، المصدر السابق ، ص : 130.

7 - عبد العزيزالفشتالي ، المصدر السابق ، ص ، ص ص : 129-130. **أنظر** أيضا : إبراهيم حركات ، المرجع السابق ، ص : 303.

أن يكون كل ما يُرسل إلى الصنغاي سواءٌ كان إنساناً أو حيواناً أو عتاداً أو سلاحاً من أفضل ما تملكه دولة المغرب[1].

وقد إختلف المؤرخون في الرقم الإجمالي لِتعداد الحملة المغربية على السودان الغربي وهذه مجموعة من الأرقام تختلف من مؤرخ لآخر :

* فأحمد الناصري صاحب كتاب الإستقصا يذكر العدد : بأنه 20.000 جندي ومعهم المعلمين البحرية والطبجية 2.000 والمجموع هو 22.000[2].

* ويذكر الزياني أبوالقاسم : 20.000 عسكري وضابط مجهزون بمختلف الأسلحة[3].

* أما السعدي صاحب كتاب تاريخ السودان فيذكر : 3.000 رامي من جنود النار و6.000 من كل صنف وجنس[4].

* ويذكر إبراهيم حركات: مابين 4.000 و5.000 من الخيالة وألفين راجل و1.500عربي مسلحين بالرماح و100 أبال وحوالي2.000 من قوات المدفعية البحرية[5].

* وحسب زيادة :2.000 من حملة البنادق و 500 فارس1.500عربي من حملة الرماح[6].

ولتوضيح الصورة أكثر نجد henri de Castries يُقدِم تقديرات أوضح وأقرب لتعداد الحملة ، والتي إعتمد بدوره على وثيقتين هما رسالتا أحمد المنصور الموجهة إلى أعيان وعلماء فاس ومراسلة الكاتب الإسباني المجهول أعطت الأرقام التالية :

1/ المشاة : ← 2000 أتراك ، أندلسيون ، مسيحيون.

2/ الفرسان الأجانب ← 500.

3/ جيش العرب ← 1500.

والمجموع ← 4000 جندي[7].

– أما المعدات فيقول henri de Castries أن الحملة كانت تتكون وفق الشكل التالي:

---

1 - عبد الفتاح مقلد الغنيمي ، موسوعة تاريخ المغرب العربي ، المرجع السابق ، ص : 216.

2 - أحمد الناصري ، المصدر السابق ، ص : 121.

3 - محمد الغربي ، المرجع السابق ، ص : 207.

4 - عبد الرحمان السعدي ، المصدر السابق ، ص : 138.

5 - إبراهيم حركات ، المرجع السابق ، ص : 303.

6 - محمد الغربي ، المرجع السابق ، ص : 207.

7 H. De Castrie : ¨ **la Conquete De Sudun Par EL Mansour 1591**¨, in Hespririse : 03, 1929,P:444.

* المرشدون (النقاب) ← 600.
* قادة الجمال ← 1000.
* الإبل ← 8000.
* الخيول ← 1000
* الخيام ← 180.
* البارود ← 300 قنطار.
* البارود المسحوق ← 10 قنطار.
* الرصاص ← 300 قنطار[1].

زيادة على ذلك فقد حمل الجيش الخوذات الحديدية والفلاذ و الكتان و القطران والصمغ ودروع و أدوات البناء والمدافع والمنجنيقات[2].

وبعدما أن أتمّ أحمدالمنصور الإستعداد للحملة وقبل إنطلاقها عمِل على إستمالة علماء وفقهاء ورجال الدين السودانيين[3] ، وذلك للتعاون معهم خاصة قاضي تنبكت الفقيه العلامة أبي حفص عمر بن الشيخ محمود بن عمر أقيت الصنهاجي المسموع الكلمة في بلاد السودان الغربي ، والذي أرسل له أحمد المنصور رسالة في شوال 998هـ[4] ، وأهم ما حوته هذه الرسالة :

– الدخول في طاعة السعديين .
– إخبار القاضي بقرب تحرك الحملة[5].

د / نفقات الحملة ومؤنها :

ولتجهيز الحملة فرض أحمد المنصور على شعبه الإنفاق على حملته المتوجهة إلى بلاد السودان الغربي وذلك لتغطية العجز الذي كان يعاني منه المنصور لأن مثل هذه الأنواع من الحملات تتطلب الكثير من التجهيزات والتي لا يقدر عليها المنصور وحده ، كون المسافة بين المغرب والسودان الغربي بعيدة وبينهما صحاري كثيفة تتطلب جهد وعتاد كبيرين ، لذلك أمر المنصور العمال بأن يفرضوا على القبائل حصصا من الإبل والخيل والبغال[6] ، جمعت

1H. de Castries: op.cit,P:444.
2 H. de Castries: op.cit,p:445.
3 - عبد الفتاح مقلد الغنيمي ، موسوعة تاريخ المغرب العربي ، المرجع السابق ، ص : 217.
4 - عبد العزيزالفشتالي ، المصدر السابق ، ص : 131.
5 - أنظر الملحق رقم : 01 .
6 - أحمد الناصري ، المصدر السابق ، ص : 121 .

أيضا الأقوات من سمن وعسل ولوز ولحوم مقددة وأعلاف ، أما رواتب الضباط والجنود فإنهم توصلوا بها لأربعة أشهر موالية ، مع تعويضات الحرب الخاصة التي يتركها الجندي عادة لعائلته ، كما أن عساكر الحملة أخذت بدلات جديدة[1].

هـ / توديع الحملة :

لما إستوفى أحمد المنصور أمر الإعداد للحملة في مدة ثلاثة سنوات قام بالإحتفال بها و إستعراضها[2] لمدة أُسبوعين كاملين في وادي تنسيفت في يوم الإثنين16ذي الحجة 999هـ/25أكتوبر 1589م إلى فاتح محرم 999هـ 10نوفمبر 1589م ، وقد تعمد المنصور ألا يقتصر الإحتفال على وداعٍ عادي يدومويوما أو بعض يوم بل أطال المدة ليُحقق أحد أهدافه المُتصلة بالعامل النفسي[3] ، ويقول الفشتالي في ذلك:(**.وإنجفلت الدهماء لمشاهدتهم وغصت بهم فوهاء الشوارع وإسترسلوا في مذاهب الإعجاب لكثرة ما كان الناس يتحدثون بغرابة أمور هذه الحركة من أولها وأنها عندهم من الغريب الذي لا يذكر...)**[4].

2/الحمـــلة :

أ/ مسار الحملة :

خرج الجيش المغربي من مراكش في شهر ذي الحجة عام 999هـ/1591م مُتجهًا إلى الجنوب وخاصة أهوال الصحراء حيث إتجه نحو درعة واجتاز سلسلة الأطلس الكبير إلى تيزي وتيكلاوي بمقاطعة الحتاوة ، ثم حاد إلى الجنوب الغربي حيث عبر وادي درعة ودخل الحتادة وبعدها وصل إلى واحة تندوف ، ثم تغير إتجاه المسيرة إلى الجنوب الشرقي إذ عبر الجيش المغربي إلى العرق الصحراوي المسمى الكلب ، ثم عرق الشاش إلى أن وصلت ملاحة تغزة الغزلان أو تاودني ليكون قد قطع الجيش حوالي 800 كلم ، ثم عبر بعد ذلك إلى الجنوب 540كلم بإتجاه تنزرفت ثم مالت شيئًا ما إلى الشرق على أروان لتصل في النهاية إلى نهر النيجر بالمنطقة المسماة كابارا (كبرة) يوم 28 فيفري 1591م أي بعد 135 يوم[5] ، منذ مغادرة مغادرة مُراكش لتكون قد قطعت ما مجموعه 2000 كلم تقريبا[6].

وعن المسافة التي قطعها الجيش المغربي يضيف henri de Castries :

---

1 - محمد الغربي ، المرجع السابق ، ص : 216.

2 - عبد الفتاح مقلد الغنيمي ، موسوعة تاريخ المغرب العربي ، المرجع السابق ، ص : 217.

3 - محمد الغربي ، المرجع السابق ، ص : 217.

4 - عبد العزيزالفشتالي ، المصدر السابق ، ص : 130.

5 -H. de Castries: op.cit ,p .448 .

6 - أنظر الملحق رقم : 08.

* من مراكش إلى تندوف : 700 كلم.

*من تندوف إلى الملاحة : 800 كلم.

* من الملاحة إلى كبرة : 540 كلم.

المجموع : 2040 كلم[1].

◄ أما بالنسبة لخسائر الجيش المغربي في أثناء طريقه إلى بلاد السودان الغربي : فتذكر بعض المصادر المغربية مثل الفشتالي بأنه لاتوجد خسائر لا في العَدد ولا في العُدة حيث يقول الفشتالي:(...**ولما شارفوا البلاد وهم على ما كانوا عليه بحمد الله من شدة الحزام وسل الحسام لم تضعف لهم والحمد لله شدة ، ولا نقص منهم ما كابدوه من المشاق عددا ولا عدة...**)[2].

أما المصادر السودانية فتذكر عكس ذلك حيث يُورد عبدالرحمن السعدي أن جوذر وهو في طريقه إلى السودان الغربي (مملكة صنغاي) وهو بمحاداة بلد أروان إستولى على إبل عبدالله ابن المحمودي فأخذ منهم جوذر مِقدار حاجته[3].

أما بعض المصادر الأخرى مثل : بوفيل يذكر أن خسائر جوذر كانت فادحة[4] ، أما الباحث henri de Castriesفيؤكد أن جيش جوذر لَمَّا وصل إلى منطقة كبرة كانت قد فقدت نصف عددها بسبب العطش والجوع والتعب وضربات الشمس[5].

ب/ معركة تنديبي :

وصلت الحملة في ضحى 999هـ/1591م إلى مدينة تنبكت فإستراحت بها أيامًا وغادرتها صوب جاو بقيادة جوذر باشا[6] ولمّا سمع الأسكيا إسحاق الثاني بذلك أعد العُدَةَ وحشر جنُوده وبعث في المدائن حاشرين وجمع جمُوعاً عديدة ويُقال أنه جمع مائة وأربعة آلاف مقاتل[7] ، وهذا ما أكده الفشتالي أيضا[8] ، في حين يذكر henri de Castries أن عددهم لا لا يتعدى الثمانين ألفا ضِمنهم ثمانية آلاف فارس[9] ، وهذا ما أكده إبراهيم حركات في كتابه

---

1 -H. de Castries: op.cit,p. 449 .

2 - عبد العزيز الفشتالي ، المصدر السابق ، ص : 144.

3 - عبد الرحمان السعدي ، المصدر السابق ، ص : 139.

4 - بوفيل ، تجارة الذهب وسكان المغرب الكبير ، تح: الهادي أبو لقمة ، ط2 منقحة ومزيدة ، منشورات جامعة قاريونس بنغازي ، 1988م ، ص : 288.

5 -H. de Castries: op.cit,p.449 .

6 - بوفيل ، المصدر السابق ، ص : 290.

7 - محمد الصغير الوفراني ، المصدر السابق ، ص : 93.

8 - عبد العزيز الفشتالي ، المصدر السابق ، ص : 137.

9 -H. de Castries: op.cit,p.451 .

المغرب عبر التاريخ[1] ، أما السعدي فيقول:أن الجيش معظمه كان يتألف من رماة السِهام وأن الفُسَانَ المسُلَحين بالرماح كانوا يبلغون بضعة آلاف[2] ، أما عن أسلحة هذه الجيوش فأسلحتهم الحرشان والرماح والسيوف والسهام[3] ، كما أن الأسكيا إسحاق الثاني لم يقنع بالجيوش فقط التي جمعها بل أضاف إليهم عدداً من السحرة وأهل النفث في العقد[4] ، وأرباب العزائم والسيما ، وكان في مُقدمتهم عدد من الثِيران التي إقتادها ليحتمي بها من قصف المدافع[5].

ج/ مكان المعركة :

يذكر الفشتالي أن المعركة دارت في مكان قريب من جاو(...**ولما تقاربت الفئتان إعترضت العساكر المنصورية غابة أشبه ملتفة الشجر صعبة المسلك من إشتباك دوحها فلم يتأت لهم قطعها على التعبئة والإنتظام بل سلكوها زرافات ووحدانا وما مرقوا منها إلا وقد ألفوا العدو أخذ مراكزه بحومة الوغي التي بين يديها...**)[6].

أما السعدي فيذكر مكان المعركة بقوله:(...**فتوجهوا إلى بلد كاغ (جاو) فتلقاهم الأمير أسكيا إسحاق الثاني في موضع يقال له تنكندبع...**)[7] والتي تقع على الضفة اليُسرى داخل داخل غابة تُسمى (تنكنديبوعو) الواقعة على بعد خمسة وثلاثين ميلا شمال جاو[8].

د/ بداية المعركة :

قبل بداية المعركة أراد جنود الأسكيا أن يبثوا الفوضى بين صفوف جيش المغاربة حيث وضعوا أمامهم قطيعا كبيرا من الثيران ولكن هذا لم ينجح حيث فتح جيش جوذر صفوفه ومرت القطعان بين الصفوف دون أن تُحدِث أي ضَرر[9] ، وبعد مدة قليلة من الزمن بدأت المعركة حيث إلتقت الفئتان في يوم 17جمادي الأول 999هـ/12مارس1591م[10] حيث بدأ المغاربة بالإحاطة بجيش الأسكيا من الجبهتين وبدأو بإطلاق الرصاص وطلقات المدافع

---

1 - إبراهيم حركات ، المرجع السابق ، ص : 304.
2 - بوفيل ، المصدر السابق ، ص : 291.
3 - محمد الصغيرالوفراني ، المصدر السابق ، ص : 94. **أنظر** أيضا : إبراهيم حركات ، المرجع السابق ، ص : 304.
4 - عبد العزيز الفشتالي ، المصدر السابق ، ص : 137.
5 - إبراهيم حركات ، المرجع السابق ، ص : 304.
6 - عبد العزيز الفشتالي ، المصدر السابق ، ص : 137.
7 - عبد الرحمان السعدي ، المصدر السابق ، ص : 140.
8 - محمد الغربي ، المرجع السابق ، ص : 256.
9 - بوفيل ، المصدر السابق ، ص : 292. **وأنظر** أيضا : عبد الفتاح مقلد الغنيمي ، موسوعة تاريخ المغرب العربي ، المرجع السابق ، ص : 219.
10 - عبد الرحمان السعدي ، المصدر السابق ، ص : 140.

والأسلحة النارية[1] ، وسرعان ما إنتصر المغاربة في المعركة بفضل الأسلحة الحديثة وحسن التنظيم الحديث[2] في مقابل ضعف جيش الأسكيا حيث كان سلاحهم الحرشان والرماح والسيوف والسهام[3] ، وقد إستمرت المعركة مدة يوم بدأت من الضحى إلى قرب العصر[4].

ولقد كان المشهد الأخير من المعركة مؤثرا وغريبا في ذات الوقت إذ أخذ جنود الأسكيا في النداء(...**نحن مسلمون نحن إخوانكم في الدين...**)[5]، وفر من بقي مِنهم يجًا تاركين العديد من القتلى[6] وفي مقابل ذلك نجح الأسكيا إسحاق الثاني في الفرار والنجاة بنفسه[7] مُ توجها بعد المعركة إلى منطقة كورما على الضفة الأخرى من نهر النيجر[8]، وا نتهت المعركة المعركة بهزيمة كبيرة لجيوش الأسكيا وا نتصار جيش جوذر في المعركة ، وبعد إنتصار جوذر أرسل إلى أحمد المنصور بخبر النصر مع هدية عظيمة بها عشرة آلاف مثقال ذهبا ومائتان من الرقيق وغير ذلك[9].

هـ / التوجه نحو العاصمة جاو :

إتجهت القوات المغربية من ميدان المعركة تتديبي إلى العاصمة جاو لإحتلالها والتي دخلتها في يوم 20 رجب999هـ/23ماي1591م ، وكان الأسكيا إسحاق قد أمر بإحراقها فهاجرها معظم سكانها ولم يبق فيها إلا رجال الدين والعلماء والطلاب والعرب غير السودانيين ومن لم يقدر على الخروج ، أما باقي القوات فعبروا النهر ولم تقدر القوات المغربية اللحاق بهم ، ولكن المفاجئة كانت كبيرة بالنسبة للقوات المغربية حيث ظنوا أنهم سيجدون العاصمة جاو مزينة وأنها ذات مباني فخمة ، ولكنهم وجدوها عبار ة عن مجموعة من الأكواخ المبنية بالطين مثل بقية المدن الصحراوية وليس بها أية ثروة[10].

وفي هذه الأثناء بعث الأسكيا رسولاً إلى جوذر يعرض عليه الصلح والسلم وذلك بالإعتراف بالبيعةللمنصور ودفع مائة ألف ذهبًا وألف عبد خادم والتعهد بإرسال الخراج

---

1 - عبد الفتاح مقلد الغنيمي ، موسوعة تاريخ المغرب العربي ، المرجع السابق ، ص : 219.
2 - عبد القادر زبادية ، المرجع السابق ، ص : 94.
3 - إبراهيم حركات ، المرجع السابق ، ص : 304.
4 - عبد الرحمان السعدي ، المصدر السابق ، ص : 140.
5 - محمد الصغيرالوفراني ، المصدر السابق ، ص : 94.
6 - بوفيل ، المصدر السابق ، ص : 292.
7 - عبد الفتاح مقلد الغنيمي ، موسوعة تاريخ المغرب العربي ، المرجع السابق ، ص : 220.
8 - عبد الرحمان السعدي ، المصدر السابق ، ص : 140.
9 - محمد الصغيرالوفراني ، المصدر السابق ، ص : 94.
10 - عبد الفتاح مقلد الغنيمي ، موسوعة تاريخ المغرب العربي ، المرجع السابق ، ص : 220.

السنوي مقابل الإنسحاب من بلاده[1] ، فأجابه جوذر بأنه سوف يستشير السلطان أحمد المنصور في الأمر ، فكتب إليه بذلك الصلح وا إنسحب جوذر مع جيوشه من العاصمة جاو وا إتجهوا إلى مدينة تنبكت يوم الخميس 6 شعبان 999هـ وا إتخذ جوذر مدينة تنبكت عاصمة له وحومة الغدامسيين مقرا لقصبتهم وبقي ينتظر رد المنصور[2].

3 – نهاية إمبراطورية الصنغاي :

جاء رد أحمد المنصور لجوذر حول الأسكيا إسحاق الثاني عنيفا جدا حيث غضب المنصور غضبا شديدا على ما فعله جوذر من ذلك الصلح مع الأسكيا[3] ، ومن الأسباب التي التي أدت بالمنصور إلى إستنكار ما قام به جوذر من عقد الصلح هي النتائج الناجمة عن هذا الصلح وهي :إعطاء فرصة للأسكيا لتنظيم نفسه وا إسترجاع أنفاسه بعد التمكن منه وفي المقابل يدب الوهن في عساكره خاصة وأنهم لم يألفوا جوّ البلاد بعد[4].

وما زاد من غضب المنصور الأنباء التي بعثها جوذر باشا والتي يصعب تصديقها وهي أن بلاد الصنغاي فقيرة ولايوجد بها الذهب ، فخلال قرون مضت كان الذهب يتدفق نحو الشمال عابرا الصحراء بكميات كبيرة لا تدع مجالا للشك بوجود مخزونات عظيمة منه في بعض الأماكن من السودان الغربي ، ولذلك قرر المنصور عزل جوذر باشا وا إستبداله بالقائد محمود بن زرقون الذي كان أقل لِينا وأشد عزيمة والذي يمكنه أن ينتزع من الزنوج ما إكتنزوه من الثروة وأن يسيطر على مصادر الذهب التي تنبثق منها ثروتهم[5].

بعد عزل جوذر باشا من قيادة الجيش تم تكليفه بإدارة شؤون البلاد السودانية ، وعين مكانه محمود بن زرقون والذي غادر المغرب مُعَزَزا بقائد كبير أوكل له المنصور من قبل غزو إقليمي توات وتيكورارين وهو القائد محمد بن بركة ، وقد غادر الجيش المغربي بقيادة بن زرقون من المغرب مُتجها إلى بلاد السودان الغربي في أواخر شهر جويلية 1591م الموافق لأوائل رمضان 999هـ[6] ، على الرغم من أن هذا الوقت من السَّنة كان أسوأ الأوقات لعبور الصحراء فقد أمره السلطان بالرحيل حالا وا إهتم بسلامته حيث أوصاه بالسير ليلا فقط ، فالحرارة شديدة والرياح تهب بشدة والماء مادة نادرة في الصحراء ، وهكذا أخذت القوات

---

1 - عبد الرحمان السعدي ، المصدر السابق ، ص : 141.
2 - نفسه ، ص ص : 141 142.
3 - نفسه ، ص : 144.
4 - عبد العزيزالفشتالي ، المصدر السابق ، ص : 148.
5 - بوفيل ، المصدر السابق ، ص : 297.
6 - عبد العزيزالفشتالي ، المصدر السابق ، ص : 149.

الجديدة طريقها نحو الجنوب في عز الصيف و قطعت المسافة بسرعة حيث وصلوا إلى تنبكت في يوم 26 شوال 999هـ/17 أوت 1591م في أقصر وقت ممكن وهو سبعة أسابيع[1].

بعد وصول محمود بن زرقون إلى مدينة تنبكت ترك بها حامية عسكرية وخرج هو وبقية الجيش مُتبعا الضفة اليُسرى للنهر مُتَتَبِعًا أثر الأسكيا إسحاق الثاني والذي بدوره أعد العدة لمواجهة جيش المغاربة بقيادة محمود بن زرقون لَمَّاعلم بقدومه نحو مدينة جاو ، فحدث الصِدام مرة أخرى بالقرب من العاصمة جاو وبالضبط في بنت شمالي النهر بين مدينتي جاو وتنبكت يوم الإثنين25 ذو الحجة 999هـ/14 أكتوبر 591م ، وإنتهت المعركة بإنهزام الأسكيا إسحاق الثاني مرة أخرى وفراره من جديد ، ولكن القوات المغربية تبعته فإضطر إلى متابعة تراجعه ، وفي أثناء ذلك دخل محمود باشا العاصمة جاو وترك بها حامية عسكرية بقيادة جوذر باشا وواصل هو ملاحقة الأسكيا إسحاق الثاني على طول نهر النيجر ، فأوقع به شر هزيمة وإستطاع الأسكيا الفرار مرة أخرى[2] ، ولكن القوات المغربية ظلت في أعقابه إلى أن ضيقت عليه الخناق ليضطر في الأخير إلى الإلتحاق بدار الكفر وتحديدًا عند كفار كرم (كورما) طالبا حمايتهم ، إلا أن محمود باشا هددهم بإستعمال القوة مما دفعهم إلى التخلص منه عن طريق تسميمه(...**سقوه كأس الحمام وجرعوه غصص الموت الزعاف تفاديا من جلبة العساكر فهلك الشقي وقضى نحبه في دار غربة...**)[3] وقد ذكر هذا الناصري في كتابه الإستقصا بقوله:(...**وسار محمود في إتباع الأسكيا إسحاق إلى أن لحقه ببعض الجهات فأوقع به وقعة شنعاء ... فهزمه وقتله هو ومن معه من جنده وأتباعه ، وتمهدت له البلاد وإستولى عليها إستيلاءا كليا...**)[4].

أما السعدي فيذكر في كتابه تاريخ السودان أن الأسكيا إسحاق لم يُقتل على يد الجيش المغربي ، وإنما قُتل على يد كفار كرم (كورما) وذلك بسبب عداوة بينهم نتيجة قتال الأسكيا إسحاق لهم العام الماضي فإغتنموا الفرصة وإنتقموا منه فقتلوه هو وإبنه وجميع من معه[5].

بعد مقتل الأسكيا إسحاق الثاني عُيِّن محمد كاغ (أخ الأسكيا إسحاق الثاني) والذي بدأ بدوره في المراوغة من أجل إستصفاء المُلك لنفسه أو بالأحرى الإجهاز على محمود باشا ، والذي بدوره كان أشد منه حنكة حيث أرسل إليه أحد رؤساء الخلافة والمدعو محمد

---

1 - عبد الرحمان السعدي ، المصدر السابق ، ص : 145.
2 - عبد العزيزالفشتالي ، المصدر السابق ، ص : 150.
3 - نفسه ، ص : 154.
4 - أحمد الناصري ، المصدر السابق ، ص : 123.
5 - عبد الرحمان السعدي ، المصدر السابق ، ص : 149.

ابن عبدالله فوقف على إستعداداته العسكرية الشئ الذي دفع بمحمود باشا إلى تجهيز قوة عسكرية قضت على محمد كاغ وجيوشه[1].

وبعد موت الأسكيا محمد كاغ إنتهت المرحلة الثالثة من حُكم عائلة الأسكيين لمملكة الصنغاي (ضياء ، سني ، الأسكيين) في بلاد السودان الغربي ، وهكذا إنتهت مرحلة تاريخية هامة ببلاد النيجر لتدخل المنطقة مرحلة جديدة مع الوجود المغربي ، وبهذا يكون قد إنتهى عصر الإمبراطوريات الكبرى ببلاد السودان الغربي.

أ- نجاح الحملة :

لما وصلت لأحمد المنصور أخبار النصر ونجاح الحملة[2] سُر سُرورًا عظيمًا[3] حيث إعتبر هذا اليوم عِيدًا عنده فقام بإخراج الصدقات وأعتق الرقاب ، وأقام مِهرجانًا عظيمًا بظاهر الحظرة خرج له عامة الناس للفرحة والذُزهة وزينت الأسواق وتسابقت الخيول وأطعم الناس عدة أيام ونظم الشعراء قصائدهم ورفعوا أمداحهم ، كما كتب المنصور بخبر النجاح إلى جميع المناطق ، و أنشد الفشتالي يقول :

فهنيئا لكم بفتح جليل طبق الأرض صينه المتعالي
اطلع البشر والتهامي نجوما لحن في أفق العلى والمعالي[4]

ب- موقف المغاربة من الحملة :

نجد من المغاربة من يُؤيد هذه الحملة ونلتمس ذلك في التهاني التي تلقاها المنصور من الشعراء بمناسبة نجاح الحملة وفتح بلاد السودان الغربي ومنهم : أبو عبدالله محمد بن علي الفشتالي الذي كان على رأس المؤيدين[5] ، وشاعر الدولة أبوعبد الله محمد بن علي الهزوالي[6] الهزوالي[6] و الكاتب الحسن بن أحمد المسفيوي[7] وقصيدة أبي الحسن علي بن منصور الشيظمي[8].

---

1 - عبد العزيزالفشتالي ، المصدر السابق ، ص ص : 154-155.
2 - أنظر الملحق رقم : 02
3 - محمد الصغيرالوفراني ، المصدر السابق ، ص : 95.
4 - عبد العزيزالفشتالي ، المصدر السابق ، ص : 157.
5 - نفسه ، ص : 140.
6 - نفسه ، ص : 157.
7 - نفسه ، ص : 159.
8 - نفسه ، ص : 160.

كما نجد أيضا من المغاربة من يعارض ويستنكر هذه الحملة ونلتمس هذا الموقف عند المؤلف المجهول صاحب كتاب تاريخ الدولة السعدية التكمدارتية ونلحظ ذلك من موقفه اتجاه الأعمال التي قام بها جنود المنصور ضد جنود الأسكيا إسحاق الثاني فقال:(...**فصاروا يقتلونهم والعبيد المساكين يرفعون أكفهم إلى السماء وهم يقولون: نحن إخوانكم في الدين والظلمة مع ذلك الحال يقتلونهم حتى قتل المخذولون جميع من بات عندهم ظلما وعدوانا ، وكل ذلك في صحيفتهم وصحيفة رئيسهم وسلطانهم وعند الله تجمع الخصوم ويلتقي الظالم والمظلوم ومات من أهل الغرب قدر عشرة أمثال الآخرين وذلك ظلما وجورا من غير تعد من العبيد ولاسابقة عار...**)[1]، وا ٍستنكاره لموقف أحمد المنصور من هذا العمل حيث يقول:(...**فأمر بالمفرحات غدوة وعشية ثلاثة أيام فرحا بقتل عباد الله المسلمين والكل يلتقي عند الله تعالى الحكم العدل سبحانه...)** ، كما إستنكر موقف أصحاب الرأي الأول عن تأييدهم وا ٍشادتهم للمنصور وفي ذلك يقول:(...**وأتاه المتفقهة والقواد وعلماء الظاهر العديمي البصائر و الأمناء بغير حقيقة يهنؤونه في قتل أهل الإسلام وأخذ أموالهم و تمليك عيالهم وفرح بذلك وشر سرورا عظيما...)**[2].

ج- موقف السودانيين من الحملة :

ذكر بعض من المؤرخين السودانيين معلومات عن الحملة المغربية والتي من خلالها تتضح لنا وجهة نظرهم ، فمثلا نجد السعدي يرى بأن الحملة جاءت عقابا من الله لأهل صنغاي بعد إنتشارالمحرمات في مجتمعهم وا ٍبتعادهم عن شرائع الدين الحنيف وفي ذلك يقول:(.**بدلوا نعم الله كفرا وما تركوا شيئا من معاصي الله تعالى إلا وا ٍرتكبوها جهرا... ولهذا إنتقم الله سبحانه منهم بهذه الحملة المنصورة فرماهم بها من مسافة بعيدة ومكابدة شديدة فإجتثت عروقهم من أصلها ولحقوا بأصحاب العبرة وأهلها...)**[3].

أما الفشتالي فيذكر أن لمـُ ذ َاد َاة الأمان التي أطلقها الجيش المغربي للسودانيين الأثر البالغ في نفوس وقلوب فئة من السودانيين حيث يقول:(.**وا ٍعتقدوا مع ذلك أن كل من أمنتموه من عساكرنا الطالعة برایاتها البيض على تلكم الأقطار السودانية إن شاء الله طلوع الفجر**

---

1 - مؤلف مجهول ، **تاريخ الدولة السعدية التكمدارتية** ، تح : عبد الرحيم بنحادة ، ط1 ، دار تينمل للطباعة والنشر، فاس ، 1994م ، ص ص : 67-68.

2 - نفسه ، ص ص : 67-68.

3 - عبد الرحمان السعدي ، المصدر السابق ، ص : 144.

وكتائبنا المتلاطة تلاطم أمواج البحرفقد أمناه ، ومن أجرتموه فقد أجرناه إظهارا لمزيتكم وا ٍشعارا بمكانتكم لدينا ورفعة وا ٍيذانا بجليل منصبكم عندنا وسمو رتبتكم والله تعالى يصل توفيقكم ويجعل الخير رفيقكم وحزب الهدى قرينكم والسلام...)[1].

أما علماء تنبكت فيرون أن الحملة ظُلم ٌ لا مبرر له و تعدي ًا صارخ ًا على بلد مسلم من طرف بلد مسلم آخر ألا وهو المغرب ، ونذكر من مواقف هؤلاء العلماء موقف القاضي أبي حفص عمر بن محمود أقيت عندما لم يستقبل جوذر باشا[2] لما دخل مدينة تنبكت ، كما نذكر الحادثة التي دارت بين أحمد المنصور وأحمد بابا التنبكتي وهو أحد أبرز علماء السودان وقد أعتقل من طرف جنود المنصور ونقل م ُصفد ً ا إلى مراكش ، فقد إمتنع هذا العالم الشهير مرخ َأدِ يثُ َ المنصور من وراء حـِ جـَ اب وا ٍتهمه بالتشبه برب الأرباب ، كما إستنكر معاملة الجيش المغربي لعلماء السودان الغربي وأبدى إستغرابه من إقدامه على فتح بلد مسلم ، فأجابه المنصور قائلا : أردنا أن نجمع الكلمة بكم ويتقوى جانب الإسلام فأجابه أحمد بابا قائلا : هلا جمعت البلاد الأخرى – يقصد الجزائر – التي كانت تحت الحكم العثماني وتركت السودان[3].

كما أن كثيرا من السودانيين إستنكروا هذه الحملة وذلك بسبب معاملة الجيش الغربي السيئة لهم والقتل والتشريد للشعب السوداني:(...**فصاروا يقتلونهم...وهم يقولون نحن مسلمون نحن إخوانكم في الدين والظلمة مع ذلك يقتلونهم...)**[4] ، كما أن سكان الصنغاي عانوا من معاملات الجيش المغربي نتيجة الظلم والقهر من طرف الجنود المغاربة لما دخلوا البلاد(...**وفعلوا ما فعلوا والعياذ بالله من مثلها هكذا يفعل منها كثير...)**[5] ، ونتيجة هذه الممارسة من طرف الجنود المغاربة فر العديد من شعب الصنغاي خوفا من بطش جنود أحمد المنصور:(...**خوفا عظيما في البلد وخرج كثير من الناس رامين أنفسهم في الصحاري والقفار...)**[6].

---

1 - عبد العزيزالفشتالي ، المصدر السابق ، ص : 133.
2 - أنظر الملحق رقم : 12.
3 - محمد الصغيرالوفراني ، المصدر السابق ، ص : 97.
4 - مجهول ، المصدر السابق ، ص : 67 .
5 - عبد الرحمان السعدي ، المصدر السابق ، ص : 34.
6 - نفسه ، ص : 57.

4/الباشاوات المغاربة الذين حكموا السودان الغربي (1591م/1612م) :

بقيت بلاد السودان الغربي تحت نظام الحكم المغربي (نظام الباشوية في الحكم) بين 1591م إلى غاية 1780م أي حوالي قرنين من الزمن ، وقد إتخذو مدينة تنبكت عاصمة لحُكمهم منذ أول يوم حيث شيدوا بها مقراً لحُكمهم[1] ، وكان أول مراحل العصر الحديث ببلاد السودان الغربي هي فترة الحكم المغربي السعدي سنة 1591م والتي تم فيها بشكل عام إلحاق بلاد السودان الغربي بالدولة السعدية[2] ، ومن أبرز الباشاوات الذين تولوا الحكم في السودان الغربي نذكر:

1/ **الباشا جوذر** : أول باشا مغربي في بلاد السودان الغربي ، مكث في منصبه تسعة أشهر إلى وصول محمود بن زرقون في أوت 1591م الذي عَزَلَهُ بأمرٍ من أحمد المنصور ، وبقي في البلاد حوالي تسعة سنوات قضاها يحكم البلاد بإسم الباشا خلال فترات الفراغ[3].

2/ **الباشا محمود بن زرقون** :(أوت 1591– 1595م) مات في إحدى المعارك في السودان.

3/ الباشا منصور بن عبد الرحمان :(مارس 1595 – 1596م)[4].

4/ الباشا محمد طابع :(ديسمبر 1597 – ماي 1598م) توفي1598م

5/ الباشا عمار :(1599–1600م) أستدعي إلى مراكش

6/ الباشا سليمان :(ماي 1600–1604م) أستدعي إلى مراكش

7/ الباشا محمد لنك :(جويلية 1604– 1612م) عزل من الحكم[5].

وفي هذه الفترة كان تعيين وعزل الباشاوات بشكل مباشر من طرف السلطان أحمد المنصور من العاصمة مراكش ، حيث أداروا بلاد السودان الغربي بإسم السُلطان السعدي[6] ، لكن المغرب عرف أحداثاً جِدٌ خطيرة بإنتشار الطاعون في كامل أنحاء المغرب ، وا ِضطراب الأوضاع الإقتصادية نتيجة مرض الطاعون ، ثم الثورة التي قام بها المأمون بفاس ضد والده

1 - الحواس الغربي ، المرجع السابق ، ص : 58
2 - نفسه ، ص : 59.
3 - عبد الرحمان السعدي ، المصدر السابق ، ص : 177.
4 - عبد الكريم كريم ، المرجع السابق ، ص : 240.
5 - نفسه ، ص ص : 242-243.
6 - الحواس الغربي ، المرجع السابق ، ص : 59.

أحمد المنصور بمراكش والتي لم يتمكن المنصور من القضاء عليها إلاّ بعد جهد كبير، فهذه النكبات الثلاثة غيرت مجرى الحياة بالمغرب[1].

نتيجة عزل الباشا محمد لنك على يد القائد عبدالله التلمساني في أكتوبر 1612م وتنصيب نفسه باشا على السودان الغربي ، فتحت أبواب الفتنة بين الجنود المغاربة الذين إنقسموا إلى ثلاثة فرق هي : جيوش فاس و جيوش مراكش وجيوش شراكة ، إذ لم يستطع أحد منهم أن يتقبل مبدأ الطاعة للآخر بعد إنقطاع يد السلاطين عنهم في المغرب ولم يعودوا يُرسلون لهم أيِ مددٍ ولامعونةٍ بسبب الفوضى الداخلية التي شهدها المغرب نتيجة الصراع بين أولاد المنصور على العرش المغربي[2].

وخلاصة القول: بعد معركة وادي المخازن وتولي أحمد المنصور الحكم عرف المغرب إستقرار كبيرا في الأوضاع ، فقد أعطى هذا النصر في هذه المعركة مكانا كبيرا وهيبة للمغرب داخليا وخارجيا ، ونتيجة هذا الوضع تطلع المنصور إلى توسيع مملكته ولكن هذا التطلع إصطدم بالأتراك من جهة الشرق وبالبرتغال والإسبان من جهة الغرب ، مما جعله يوجه أنظاره إلى الجهة الجنوبية إتجاه بلاد السودان الغربي ، وفي الأخير قرر المنصور توجيه حملة عسكرية إنتهت بغزو البلاد وإخضاعها للسلطان المغربي أحمد المنصور.

1 - عبد الكريم كريم ، المرجع السابق ، ص : 243
2 - محمد الغربي ، المرجع السابق ، ص : 14.

أولا : **الحياة الإجتماعية**

1/ التركيبة السكانية

2/ انتشار الإسلام

3/ الطبقات الاجتماعية

4/ الحياة العامة

5/ الآثار المغربية عليها

ثانيا : **الحياة الثقافية**

1/ إهتمام الحكام بالعلماء

2/ الحركة الفكرية في السودان قبل وفي ظل الحكم المغربي

03/ الآثار المغربية عليها

ثالثا : **الحياة الإقتصادية**

1/ الزراعة والثروة الحيوانية

2/ الثروات المعدنية

3/ الصناعة والحرف

4/التجارة

05/ الآثار المغربية عليها

عرف السودان الغربي إستقرارا في جميع المجالات الإجتماعية والثقافية والإقتصادية، حيث كانت البلاد تضم مجموعة من القبائل والأجناس المختلفة ، كما كانت تمتاز بكثرة المراكز والمعاهد الدراسية وا ٍنتشار العلم والعلماء وطلبة العلم ووفرة الكتب ، كما شهدت البلاد إزدهارا كبيرا في المجال الإقتصادي نتيجة التجارة الداخلية والخارجية وكثرة الصناعات المحلية وا ٍستغلال الأراضي الزراعية ، أما في ما يخص التأثير المغربي في هذه المجالات فلم يكن بالشكل الكبير عدا إدخال بعض الأشياء التي لم تكن ذات تأثير كبير في شتى أنواع الحياة اليومية في البلاد .

أولا : الحياة الإجتماعية :

1ا التركيبة السـُ كانية لمنطقة السودان :

يرجع أصول التركيبة السـُ كانية للسودان الغربي إلى أصول زنجية أو أصول حامية أو أصول سامية ، والتي وصلت عن طريق هجرات مـُ تعددة إستقرت بهذه المناطق وا ٍندمجت مع الفئات

السكانية في هذه المنطقة عن طريق المصاهرة والعلاقة القبلية في بعض الأحيان[1]. وورد هنا أهم هذه القبائل القاطنة بمنطقة السودان الغربي: القبائل العربية و القبائل التارقية (الطوارق) و قبائل التكرور و الماندي وقبائل الوولوف و قبائل البمبارة و قبائل السوننك و قبائل الصنغاي[2].

أ/ القبائل العربية :

وصلت القبائل العربية إلى السودان الغربي عن طريق هجرات قادمة من الشمال الإفريقي بعد إجتيازهم للصحراء الكبرى ، حيث دخلوا مدن الزنوج وتعاملوا مع أهلها عن طريق التجارة والمصاهرة ، وبإنتشار الإسلام في مناطق السودان الغربي زاد عدد القبائل العربية نتيجة لإختلاطها بالسكان الأصليين ، و نتيجة إستقرارهم بهذه المناطق إكتسبوا صفات جديدة[3] كما أن العديد من القبائل السودانية كانت تفتخر بنسبها العربي ، و نجد القبائل العربية اليوم موزعة بين السنغال ومالي والنيجر ، ناهيك عن القبائل التي إنصهرت في بقية المجتمع في أنحاء السودان الغربي ومن أهم هذه القبائل: تبرازة و بركنة وأولاد دليم و الرقيبات و المشطوف و جرجنكة و الكونتة و البرابيش و الأنصار و الفولانيين و أهل تارودديني وغيرهم[4].

ب/ قبائل الطوارق :

إختلف المؤرخون في تسمية الطوارق بهذا الإسم فمنهم من يقول أنهم سموا بالطوارق نسبة إلى طارق بن زياد ، ومنهم من يرى أن التسمية جاءت لطرقهم الصحراء وتوغلهم فيها وهناك من يرى أن التسمية أطلقتها عليهم الشعوب المجاورة لهم نظرا لكثرة إرتيادهم الصحراء[5] ، كما أن قبائل الطوارق قبائل مسلمة وليس بينهم وبين العرب المغاربة نسب إلا الرحم ، وقد خرجوا من اليمن و إرتحلوا إلى الصحراء وسكنوا المغرب فترة ثم رحلوا إلى بلاد السودان[6] ، و هم أقسام عديدة وينتشرون في مساحات واسعة من الصحراء الكبرى من توات وفزان شمالاً إلى تنبكت ، وزندر جنوبا ، وقد أدى إختلاط الطوارق بالسكان الأصليين إلى تغيير ملامحهم فإكتسوا بعض الصفات الزنجية[7] ، كما أن الطوارق اليوم يسكنون في الصحراء الكبرى مابين الحدود الشمالية

---

1 - محمد عوض محمد ، **الشعوب والسلالات الإفريقية** ، القاهرة ، 1966م ، ص : 232.
2 - أنظر الملحق رقم : 09.
3 - عبيد الله البكري ، المصدر السابق ، ص : 179.
4 - إبراهيم طرخان ، **إمبراطورية غانا الإسلامية** ، **الهيئة المصرية العامة للكتاب** ، القاهرة ، 1973م ، ص : 19.
5 - الهادي الدالي ، المرجع السابق ، ص : 216.
6 - عبد الرحمان السعدي ، المصدر السابق ، ص : 25.
7 - إسماعيل العربي ، **الصحراء الكبرى وشواطئها** ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، 1983م ، ص : 176.

لجمهورية مالي مع موريتانيا حدودًا بشمال مالي وشمال النيجر و بوركينافاصو وشمال وجنوب غرب ليبيا وجنوب شرق الجزائر[1].

ج/قبائل التكرور :

سميت هذه القبائل بإسم البلاد التي سكنتها قديما (في شمال حوض السنغال) ، وينتشر هؤلاء اليوم في منطقة فوتا السنغالية[2] ، ويعود أصل قبائل التكرور أساسا إلى إختلاط قبائل الماندينغ والفلان مع السكان الأصليين لمنطقة فوتا السنغالية[3] ، كما أنهم إعتنقوا الإسلام قبل عهد المرابطين في منتصف القرن الحادي عشر ميلادي ، وكان لهم السبق في إعتناق كثير من أهل السودان الغربي للإسلام ، ولقد لعبوا دورا كبيرًا في نشر الإسلام في جميع أنحاء القبائل المجاورة[4] ، كما أن قبائل التكرور كانوا يلبسون الصوف والقطن وطعامهم الذرة والألبان والسمك[5].

د/ قبائل الماندي :

تنتشر هذه القبائل في منطقة السنغال الأعلى والنيجر الأعلى وقد لعبت هذه القبائل الدور الأكبر في التجارة في هذه المنطقة وخاصة تجارة الملح وجوزة الكولا وغيرها[6].

هـ/ قبائل الفولاني :

يعود نسب شعوب الفولاني إلى عقبة بن عامر بن عيسى بن مالك الجهمي وكان رديف رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتنتسب معظم العائلات العريقة من الهوسا والفولاني إلى قبائل الشام واليمن ، ومهما إختلفت الآراء حول أصولهم من بربرية أو سامية عربية فالفولاني شعب عريق لعب دورا رائدا في نشر الدين الإسلامي والثقافة العربية الإسلامية في غرب إفريقيا

---

1 - الهادي الدالي ، المرجع السابق ، ص ص : 219-223.
2 - نعيم قداح ، **حضارة الإسلام وحضارة أوروبا في إفريقيا الغربية** ، ط2 ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، 2007م ، ص : 18.
3 - نفسه ، ص : 18.
4 - عبيد الله البكري ، المصدر السابق ، ص : 172.
5 - حسن إبراهيم حسن ، المرجع السابق ، ص : 60.
6 - نعيم قداح ، المرجع السابق ، ص : 18.

وهم من الشعوب المهمة في غرب إفريقيا وينتشرون بشكل واسع جدا ما بين ساحل المحيط الأطلسي وبحيرة التشاد والكاميرون ، والعرب يطلقون عليهم إسم شعب (الفلان) ، والطوارق يسمونهم بإسم (فولاني) والهوسا يطلقون عليهم إسم (الغلافا) وهم يسمون أنفسهم (الغولاني)[1] ، ويقسم الفولانيون إلى ثلاثة أقسام هي :

أولا : الذين يمتلكون البقر ويمتهنون الرعي ويسمون فولاني البقر.

ثانيا : المستقرون ويعملون بالزراعة.

ثالثا :النصف مستقرين ويعملون بالزراعة وتربية البقر في آنٍ واحد[2].

وقد إنتشر الإسلام بين الفولانيين منذ زمن مبكر جدا وكان لهم الفضل في نشره بين مختلف قبائل السودان الغربي ، وهم اليوم لا يتكلمون إلا اللغة الفولانية التي تكتب بالحرف العربي و بها العديد من الكلمات العربية ، والفولانيون اليوم موزعون على معظم دول السودان الغربي[3].

و/ قبائل الوولوف :

تنتشر هذه القبائل في حوض السنغال الأدنى و يتماز هذا العنصر البشري بقامته الطويلة وشعره الأسود الفاحم وذكائه وحضارته الراقية بسبب إختلاطهم بالمسلمين[4] ، ويبلغ عدد الو ُ لُ وف الو ُ لُ وف 36% من سكان السنغال الحالية ، كما مارسوا مهنة الزراعة وأهمها الفول السوداني والسمسم وا ٍشتهروا كذلك بتربية الأغنام ، وقد دخلت قبائل الوولوف في الإسلام مبكرا على يد القبائل العربية والفولانية وجيرانهم من قبائل التكرور ، وكان لهم دور بارز في نشر الإسلام ضمن أراضيهم ، ويتكلمون لغة الوولوف ، وتكتب بالحرف العربي[5].

ز/ قبائل البمبارة :

---

1 - شوقي أبو خليل ، **أطلس دول العالم الإسلامي** ، دار الفكر ، دمشق ، 2003م ، ص : 116.
2 - عدنان مراد ، المرجع السابق ، ص : 119.
3 - الهادي الدالي ، المرجع السابق ، ص : 336.
4 - نعيم قداح ، المرجع السابق ، ص : 18.
5 - عدنان مراد ، المرجع السابق ، ص : 113.

ينسب العلماء قبائل البمبارة إلى شعب الماندي ، وينتشر هؤلاء في واد النيجر الأعلى والسنغال الأعلى ، ونتيجة لإختلاطهم بغيرهم من الشعوب والقبائل وخاصة الفولانية تغيرت ملامحهم الجسدية[1].

ح/ قبائل السوننك :

هم أحد فروع الماندي يتميزون بقوة جسمانية وعادات وتقاليد إجتماعية فريدة[2] ، سكنوا الصحراء في البادية ثم تمركزوا بعد ذلك على الأطراف الجنوبية لها في المنطقة المعروفة بإسم الساحل ، وا ٍمتزجوا بالبربر والفولاني ولونهم أخف سوادا[3].

نتيجة للإمتزاج المبكر بين السوننك والهجرات الوافدة من الشمال الإفريقي إعتنق السوننك الإسلام ولعبوا دورا كبيرا في الدعوة له ، وصار الدين الإسلامي ذا أثر عميق في حياتهم الإجتماعية ، كما أن كلمة السوننك أستخدمت من طرف المادينكا الوثنيون كمرادفة لكلمة داعي مما يدل على الدور الكبير الذي لعبوه في نشر الإسلام[4].

ط/ قبائل الصنغاي :

سكنت النيجر حول حدود الغابات الإستوائية ثم إنتقلت إلى الشمال قرب نهر النيجر في القرن الأول الهجري – السابع ميلادي– ، وقد إمتدت مساكنهم على طول حوض النيجر حيث إمتهنتوا صيد الأسماك وقد عرفوا بإسم بسادة المياه ، وعرف الزراع بإسم سادة الأرض[5] ، ويعتقد أن أول دولة للصنغاي قد تأسست في القرن الأول الهجري – السابع الميلادي– وكانت عاصمتها مدينة "كوكيا" على نهر النيجر الأدنى ، وهي لا تبعد عن جاو الحالية سوى مائة وخمسين كلم[6] ، وقد إنتشر الإسلام في بلاد الصنغاي نتيجة الإمتزاج السكاني مع هجرات القبائل الصنهاجية الوافدة من الشمال الإفريقي[7].

2/ إنتشار الإسلام ببلاد السودان :

---

1 - نعيم قداح ، المرجع السابق ، ص : 19.
2 - إبراهيم طرخان ، المرجع السابق ، ص : 18.
3 - عدنان مراد ، المرجع السابق ، ص ص : 112-113.
4 - إبراهيم طرخان ، المرجع السابق ، ص : 48.
5 - عبد القادر زبانية ، المرجع السابق ، ص : 25.
6 - عبد القادر زبانية ، المرجع السابق ، ص : 251.
7 - عبد الرحمان السعدي ، المصدر السابق ، ص : 3.

إنتشر الإسلام في بادئ الأمر في شمال إفريقيا ، بحيث لم يأتي القرن الثاني الهجري حتى كانت بلاد المغرب قُطرا إسلاميً ا خالصا ، كما كانت ببلاد السودان الغربي دولة وثنية تعرف بدولة غانة ، وهي من أقدم الدول التي ظهرت في هذه البقعة من إفريقيا ، ولكي يصل الإسلام إلى غربي إفريقيا كان لابد أن ينتشر أولا بين قبائل الطوارق ، ثم يتسرب من خلالهم إلى دولة غانة الوثنية[1].

كان عقبة ابن نافلأول من دعا المـ ُلثَمِ ين إلى الإسلام كأول عربي مسلم يرتاد هذه المنطقة ولمـ ّا جاء موسى ابن نصير فاتح الأندلس أتم ما بدأه عقبة حيث قام بدعوةالمـ ُلثَمِ ين إلى الإسلام[2] ، كما قام بإنشاء مسجد في مدينة "أغمات" التي غدت من أهم مراكز الإسلام وثقافته في المغرب الأقصى[3].

وعند قيام دولة الأدارسة في المغرب سنة (172 – 373هـ / 788 – 983 م) وجـّهُ وا أنظارهم إلى نشر الإسلام فكانوا أشبه بالدعاة منهم بالولاة ، فأسلم على يدهم بعض قبائل المـ ُلثَمِين الذين شكَلُوا حلفً ا قو ًا مع قبائل صنهاجة ، وكان لهم دور كبير في نشر الإسلام بين القبائل الزنجية بالسودان الغربي ،وإ ِتخذوا مدينة "أودغشت" عاصمة لهم بعد أن أخذوها من يد ملك غانة الوثني[4].

إستطاعت مملكة غانة أن تستعيد مدينة وأدغشت وإ ِحتفظت تلك المملكة بقوتها كأعظم قوة في منطقة بلاد السودان الغربي ، وبعد أن تفرغ أبو بكر بن عمر اللمتوني من السيطرة على قبائل المـ ُلثَمِ ين وأعاد الأمن إلى الصحراء ، رأى أن يوجه جهوده لمحاربة الوثنيين في بلاد السودان الغربي ، وكان ابن ياسين بن عمر اللمتوني أخو أبوبكر قد إنتزع مدينة أودغشت من ملك غانة بل جاوزها من ناحية الجنوب تغإذها مرتُكز ً ا له في جهاده ضد ملك غانة ، وبعد جهاد دام أكثر من خمسة عشر سنة إستولى أبوبكر على القسم الأكبر من مملكة غانة وضمه

---

1 - محمد محمد زيتون ، **المسلمون في المغرب والأندلس** ، مكتبة الإسكندرية ، د م ، 1990م ، ص : 26.

2 - **موسى بن نصير:** هو موسى بن نصيربن عبد الرحمان بن زيد اللخمي بالولاء أبو عبد الرحمان فاتح الأندلس أصله من وادي القرى بالحجاز ، نشأ في دمشق وولى غزو البحر لمعاوية وغزا إفريقية في ولاية عبد العزيز بن مروان ، ولما آلت الخلافة إلى الوليد بن عبد الملك ولاه إفريقيا الشمالية وما وراءها من المغرب سنة 88هـ/ 607م وإستعمل مولاه طارق بن زياد اللثي على طنجة ، وأمره بغزو شواطئ أوروبا فزحف طارق وإجتاز البحر سنة 92هـ/710م فإحتل الجبل الذي سمي بإسمه فيما بعد وقتل الملك روذريق بيده وتمكنا سوية من فتح بلاد الأندلس كلها فيما بعد.**أنظر:** نجيب زبيب ، **الموسوعة العامة لتاريخ المغرب والأندلس** ، ج2 ، دار الأمير للثقافة والعلوم ، بيروت ، 1995 ، ص : 47.

3 - محمد محمد زيتون ، المرجع السابق ، ص : 63.

4 - إبراهيم طرخان ، المرجع السابق ، ص : 24.

إلى دولته ، كما كرس كل جهوده للتوسع في بلاد السودان ونشر الإسلام بين قبائله وكان هدفه هذه المرة هو إسقاط إمبراطورية غانة الوثنية التي أصبحت دولة غانة الإسلامية فيما بعد[1].

نلإشر الإسلام في مدينة غانة سلمِياً عن طريق التُجار والدُعاة المسلمين والتي كانت تحتوي على أكبر أسواق بلاد السودان ويتبين هذا من رواية البكري الذي زار هذه البلاد في عام (460 هـ-1068م) وذكر أن:(...**مدينة غانة بها مدينتان يحيطها سور ، إحداهما للمسلمين وبها إثنا عشر مسجدا ، عين لها الأئمة والمؤذنون والقضاة ، أما المدينة الأخرى فهي مدينة الملك وتسمى بالغابة وبها قصر الملك ومسجد يصلي فيه من يغد عليه من المسلمين...**)[2].

ويضيف البكري أن مترجمي الملك وصاحب بيت ماله وأكثر وزرائه كانوا من المسلمين ، وهذا يدل على أن الإسلام قد إنتشر بين زنوج غربي إفريقيا لدرجة أن شعب التكرور بأكمله أسلم على يد الملك "**وارجابي بن رابيس**" الذي توفي عام (432هـ /1040م)[3].

كما أن مملكة "مالي" التي تقع في جنوبي مملكة غانة أعلن ملكها إسلامه ويعرف "بالمسلماني"على يد أحد الفقهاء المسلمين الذي خرج معه للإستسقاء بعد أن أجدبت البلاد وكاد الناس يهلكون ، ولما إستجاب الله وهطل المطر أمر الملك بتحطيم الدكاكير "أي الأصنام" وأخرج السحرة من بلاده و أسلم هو وأهله وخاصته ، وحسن إسلامهم على الرغم من أغلب أهل مملكته كانوا وثنيين[4].

وحتى ينتهي دور غانة في مناهضة الإسلام والإعتداء على القبائل المسلمة كان الهدف الأساسي الذي كرّس له الأمير أبوبكر جهوده هو الإستيلاء على غانة وإخضاعها لدولة المرابطين التي أقامها هؤلاء الملثمون من قبائل صنهاجة ،وإستطاع أن يفتح مملكة غانة و أن يستولي على العاصمة عام (469هـ /1076م) ويسقط الحكومة الغانية الوثنية رغم أن أغلب المصادر تغفل جهاد هذا الأمير ، ومنذ ذلك الوقت يمكن أن يؤرخ لإمبراطورية غانة الإسلامية حتى إختفائها من التاريخ في مطلع القرن الثالث عشر ميلادي ، ويقال أن ملكها إعتنق

---

1 - نجيب زبيب ، ج 2، المرجع السابق ، ج2 ، ص : 237.
2 - أحمد شلبي ، **موسوعة التاريخ الإسلامي** ، ج6 ، ط5 ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ب ت ن ، ص : 107.
3 - عبيد الله البكري ، المصدر السابق ، ص : 175.
4 - نفسه ، ص : 178.

الإسلام بدليل أن المرابطين تركوه في الحكم بعد أن أعلن الخضوع ودفع الخراج لهم و بإسلام هذا الملك دخل عدد كبير من سكان المملكة في الإسلام[1].

وفي فترة المرابطين دخلت الثقافة الإسلامية متدفقة من مدارس المغرب والأندلس فقد وحد المرابطون بين السودان الغربي والأندلس في دولة واحدة[2] ، وفي عهدهم تأسست مدينة "تنبكت" التي أصبحت حاضرة الثقافة العربية في غرب السودان وقد أسسها قوم من طوارق "مقشرن" في آخر القرن الخامس هجري وأصبحت سوقا مهما يقصدها التجار من مراكش والسودان ومن كل مكان[3].

وإمتد الإسلام[4] إلى مدينة أخرى كان لها ما لتنبكت من أثر في تاريخ الإسلام والثقافة العربية ، وهي مدينة "جني" التي أسلم أهلها آخر القرن الخامس هجري وقدعم ّ فيها الفقهاء والعلماء ورجال الدين ، كما إنتشرت اللغة العربية بين كثير من أهالي دولة غانة الإسلامية حيث أصبحت اللغة العربية لغة العبادة والثقافة الوحيدة في البلاد إلى جانب كونها لغة التجارة والمعاملات[5].

3/ الطبقات الإجتماعية :

كان المجتمع السوداني يتكون من ثلاثة طبقات إجتماعية واضحة المراتب في عهد مملكة صنغاي وإستمر الوضع على ماهو عليه في فترة الحُكم المغربي مع بعض التغييرات التي حدثت على هذه الطبقات بعد الإحتلال المغربي للسودان الغربي ، وهذه الطبقات هي :

***الطبقة الأولى** : تعد هذه الطبقات قلّ الطبقات عددًا وأكثرها ثروة وتضم: الأمراء والنبُلاَء وقادة الجيش وولاة الإقليم ، كما تمتعت هذه الطبقة بإمتيازات كبيرة دون بقية الفئات فقد إختصت وحدها بالوظائف الكبرى ، حتى إنبعض المُقاطعات كانت تخضع لأسرة واحدة من الحكام بالإرث[6].

---

1 - إبراهيم طرخان ، المرجع السابق ، ص : 45.
2 - أحمد شلبي ، المرجع السابق ، ص : 109.
3 - عبد الرحمان السعدي ، المصدر السابق ، ص : 20.
4 - أنظر الملحق رقم : 10.
5 - عبد القادر زبادية ، المرجع السابق ، ص : 106.
6 - محمد الغربي ، المرجع السابق ، ص ص : 599-600.

***الطبقة الثانية :** وهي أكثرعددً ا من الطبقة الأولىو أقل بكثير من الطبقة الثالثة ، وكانت تضم التُ جار الكبار وعلماء الدين والموظفين الساميين[1] ، هذا ما كانت عليه في العهد الصنغي ، أمفي فترة الحكم المغربي فقد فَ َت هذه الطبقة لإ تسعت بالإضافة إلى الفئة السابقة ، حيث أصبحت تحتوي الصناع المهرة من الأندلسيينوالشُ رفاء من بين أكبر ملاكي الأرض[2].

***الطبقة الثالثة :** وهي أكثرالطبقات عددً ا و أقلها في المجتمع وكانت تضم الجنود و الأقيانوالحِفيين والعبيد ورعايا الممَ َالِ ك المحمية ، وقد كانت تمثل هذه الطبقة طبقة الإنتاج والعمل[3].

4/ الحياة اليومية :

يختلف أهلالسودان الغر بي في معيشتهم ولباسهم ومساكنهم ومعتقداتهم ، ويتميز أهلها بحسن الصِفَت وحُ بهم للعدالة ورغبة سلاطينهم في إقرار العدل وتوقيع أشد العقوبات على المسيئين للأمن ، ويرجع الفضل للإسلام الذيؤثرأ فيهم تأثيرا واضحً ا ، والذي إنعكس على لباس النساء (**..كُنَّ تَ حجبات...**)[4] ، وكذا أهل مدينة تنبكت أيضا فقد كانوا يرتدون لباسا حسَنَ ً ا ويتلثمون بلثام أبيض[5] ، أما في العهد المغربي فلم يدخل تأثير على اللباس السوداني عدا القفطان المنصورية[6] ، أما عن الطعام الذي كان يتناوله السودانيون فكانوا يتغذون من الأسماك واللحم والحبوب واللبن والسمن[7].

وأما عن المساكن فمنها المبنية بالطين والمسقوفة بالتبن والبعض مبني بالحجارة ، وكان أصحاب القوارب البجعية الذين لايملكون المسكن يبيتون فيها في الليل أو قربها[8] ، كما أنهم أنهم كانوا يتخذون من الخيم سكنً ا لهم مثل أهالي أغدس(**...يعيشون...حصر–الخيام– ويحملونها على الثيران عند إرتحالهم لينصبوها في مراعي ماشيتهم كما يفعل الأعراب...**)[9]

---

1 - عبد القادر زبادية ، المرجع السابق ، ص ص : 116-118.
2 - محمد الغربي ، المرجع السابق ، ص : 601.
3 - عبد القادر زبادية ، ص ص : 120-121.
4 - الحسن الوزان ، ج2 ، المصدر السابق ، ص : 166.
5 - نفسه ، ص : 163.
6 - محمد الغربي ، المرجع السابق ، ص : 610.
7 - الحسن الوزان ، ج2 ، المصدر السابق ، ص : 166.
8 - الحسن الوزان ، ج2 ، المصدر السابق ، ص ص : 164-165.

الأعراب...)[1] ، ويؤكد الكاتب محمد الغربي أنالمغاربة لم يحدثوا تغييرا بارزً ا على شكل المساكن على الأقل في فترة الحكم المغربي للبلاد[2].

أما عن الأعياد الدينية فقد إحتفل السودانيون بشهر رمضان وعيد الفطرو عيد الأضحى والإحتفالات الإجتماعية الأخرى كالعقيقة والختان وختم القرآن الكريم والإحتفالات الجماعية بمناسبة خروج الموكب السوداني للحج ، وذلك علىغِر َار ما كان يقع في العالم الإسلامي والعربي[3].

الآثار المغربية عليها :

* تغير بناء النظام الطبقي داخل المجتمع السودان الغربيحيث أصبح موطنً ا للكثير من الأجناس في العهد المغربي ، فمنهم من أتى من فاس ومراكش وتوات ومن تونى ومصر والطوارق وصنهاجة ومسوفة وأهل ولاّته وزنوج من مختلف الأجناس وأهمهم الفولانيون والماندينغ والبورنيون والبامبارا والفوطاليون[4].

* لم تعد لطبقة الأمراء وقواد الجيش ما كان لها من إمتيازات في عهد الصنغاي فقد كان الأسكيا وأفراد عائلته يمتلكون النهر وسفنه والأرض ومن عليها لا تطالهم الأحكام ولا يحاسبوا على شيئ بإعتبار رأض السودان وماحوت ملِكٌ لهم ، حيثلم يعد يسَم َح لهم وضعُ هم الجديد في ظل الحكم المغربي بشيئ من ذلك وأصبحت هذه الطبقة تتشكل من الباشا والوزراء وكبار القادة[5].

* جلب أحمد المنصورللعبيد من السودان الغربي وا ِستعمالهم في عدة مجالات كالأعمال الشاقة أو كجنود في الجيش المغربي ، كما إستعملهم جوذر باشا في بناء القصبة في مدينة تنبكت[6].

* تقسيم العبيد إلى عدة طبقات :

---

1 - عبد القادر زبادية ، المرجع السابق ، ص : 132.
2 - محمد الغربي ، المرجع السابق ، ص : 625.
3 - عبد القادر زبادية ، المرجع السابق ، ص ص : 127-128.
4 - محمد الغربي ، المرجع السابق ، ص : 576.
5 - نفسه ، ص : 600.
6 - عبد الرحمان السعدي ، المصدر السابق ، ص : 146.

01 / الأقيان ومنهم القادة والموظفون.

02 / عبيد الدار وهم خدم البيوت.

03 / عبيد الحكام وكبار رجال الدولة والضباط .

04 / عبيد العلماء والشرفاء.

05 /عبيد التُجار وملاك الأراضي[1].

* إنتظمت الشوارع والأحياء في بلاد السودان الغربي وخاصة تنبكت فقد بدت بعض المباني على شكل هندسي مغربي أندلسي ، فقد أحيطت المدينة آنذاك بسور وألحقت الحدائق بالبيوت وأزيلت الخيام وأكواخ القش لتبنى مكانها المخازن والبيوت المتعددة الطوابق وأخذ السوق التجاري طابعه النهائي بعد أن كانت دكاكينه موزعة على جهات البلد ، كما أصبح للعلماء والصُنَّاع والصيادين والعمال أحياء خاصة بهم[2].

*أدخل المغاربة تقليداً فيما يخص وجبات الطعام اليومية تمثل في تناول طعام العشاء في الليل ، فقد كان أهل المدن قبل ذلك يشربون الشاي في العشاء مع بعض الفطائر فقط ولا يتناولون بعدها شيئ[3].

* تحسن الأوضاع الصحية في بلاد السودان الغربي ويرجع ذلك إلى ما جاء به المغاربة من الأطباء وأصناف الدواء والتطعيم والعناية الصحية وطمر المستنقعات حول المدن[4].

ثانيا : الحياة الثقافية :

1/ إهتمام الحكام بالعلماء :

إهتملحُكام بالجانب الثقافي إهتماما كبيرا وأولوه رعاية خاصة ، فنجد الأسكيا الحاج محمد الكبير يرعى العلماء وطلبة العلم وغيرهم من الأطباء والقضاة والفقهاء[5] ،و هذا يعكس مدى حرص الملوك على إزدهار الثقافة الإسلامية بالسودان الغربي و على التمسك بنشر

1 - محمد الغربي ، المرجع السابق ، ص : 602.
2 - عبد الرحمان السعدي ، المصدر السابق ، ص ص : 20-22.
3 - محمد الغربي ، المرجع السابق ، ص : 612.
4 - نفسه ، ص : 572.
5 - الحسن الوزان ، ج2 ، المصدر السابق ، ص : 167.

الإسلام وتعاليمه ، ومثال ذلك ماقام به الأسكيا الحاج محمد الكبير من الإتصال بالعلماء(...**لقي بمصر الإمام شيخ الإسلام ، حافظ جلال الدين السيوطي فأخذ عنه عقائده وتعلم منه الحلال والحرام ، وسمع منه جملا من آداب الشريعة ، وأحكامهاو إنتفع بوصاياه ومواعضه ، فرجع إلى السودان فنصر السُّنة وأحيا طريق العدل... شديد التعظيم لأئمة الدين محبا للعلماء مكرما لهم غاية الإكرام يفسح لهم في المجلس ويوسع عليهم في العطاء...**)[1] ،و إتصاله بالعالم الجزائري التلمساني محمد بن عبد الكريم المغيلي الذي قام بدور إصلاحي كبير في المنطقة[2] ، والذي ينتسب إلى قبيلة مغلية في نواحي تلمسان و التي ولد بها في 790هـ /388م ، ويُعد من كبار العلماء والمثقفين وأولي الفكر في عصره ، ومن أشهر مشايخه الإمام الشيخ عبد الرحمان الثعالبي ، والشيخ يحيى بن جدير وغيرهم من المشايخ ، وأما عن تلاميذه فأشهرهم :الفقيه أيّد محمد بن أحمد ، والعاقب الأنصمني ، ومحمد بن عبد الجبار الفجيجي وغيرهم[3].

وتذكر المصادر التاريخية أن المغيلي عند وصوله إلى بلاد السودان الغربي دخل أول الأمر إلىتكدا و إجتمع بصاحبها وأقرأ أهلهاو إنتفعوا به ، ثم دخل بلاد (كنو وكشن) من بلاد السودان، و إجتمع بصاحب كنو(كانو)و إستفاد منه ، وكتب رسالة في أمور السلطنة يحضه على إتباع الشرع والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وقرر لهم أحكام الشرع وقواعده ، وبعد ذلك توجه إلىبلدة جاو و إجتمع بسلطانها الأسكيا الحاج محمد الكبير[4].

هذا الأخير الذي سأله أن يكتب له رسالة ينصحه فيها حول سبعة مسائل ذكرها الأسكيا بالتفصيل ويريد أنيعرف حكم الشرع فيها ، وقد جاء جواب المغيلي مُفصلاًودقيقاً في آنٍ واحد حيث أفرد لكل مسألة بابا خاصا ، وكانت من بين نصائح المغيلي للأسكيا أن يصلح

---

1 - محمد الصغيرالوفراني ، المصدر السابق ، ص ص : 89-90.

2 - مطير سعد غيث أحمد ، **الثقافة العربية الإسلامية وأثرها في مجتمع السودان الغربي خلال القرنين العاشر والحادي عشر للهجرة /السادس عشر والسابع عشر للميلادي** ، دراسة في التواصل الحضاري العربي الإفريقي ، ط1 ، دار المدار الإسلامي ، طرابلس ، 2005م ، ص : 269.

3 - مطير سعد غيث ، المرجع السابق ، ص : 267.

4 - أحمد بابا التنبكتي : **نيل الإبتهاج بتطريز الديباج** ، إشراف وتقديم عبد الحميد بن عبد الله الهرامة ، منشورات كلية الدعوة الإسلامية ، طرابلس ، ص ص : 577.

الأحوال الثقافية و أن يهتم بالعلماء ويقربهم إليه أكثر ، لأن المجتمع لايصلح إلاّ بصلاحهم[1].

وتمخضت جهود الإمام المغيلي في بلاد السودان الغربي في أوائل القرن العاشر للهجري والسادس عشر للميلاد في تفجير ما يمكن أن نسميه الثورة الفقهية الإصلاحية الكبرى ، الداعية إلى تصحيح المفاهيم إحياء السُّنة إماتة البدعة ، وهذا مايدعوا إلى وصفه (بالإمام المُجَدِد) في بداية العصور الحديثة ، كما نستنتج أن هذه الجهود الدعوية للإمام المغيلي وهذه الأفكار الإصلاحية التي صار يبثها أثرت في أفكار و إتجاهات قادة حركة التجديد والإصلاح واليقظة الإسلامية الذين قادوا حركة اليقظة الإسلامية في غرب إفريقيا في القرن 13هـ/19م[2].

2/ الحركة الفكرية في السودان قبل وفي ظل الحكم المغربي :

أ) أبرز العلماء :

- أحمد باباالتُنبكتي :

ولد أحمد بابا في تنبكتو عام963هـ/1556م من أسرة بني أقيت المسوفيين المعروفين بإنتسابهم إلى العلم ، فقد حظي أغلبهم بمكانة إجتماعية عالية بين سكان الإقليم لإشتغالهم بالقضاء والتعليم واختيارهم من أهل الفتوى والشورى والوجاهة ، وقد تلقى أحمد بابا تعليمه على يد والده الذي أخذ عنه الحديث سماعاً والمنطق ، ودرس عليه الصحيحين وكتاب الشفاء للقاضي عياض و أخذ النحو عن عمه ، ومن أبرز أساتذته وأكثرهم تأثيرا في حياته شيخه "محمد بغيغ" ،و أخذ منه علوم التفسير والحديث والفقه والأصول والعربية والبيان و التصوف والتنجيم والمنطق والعروض...إلخ[3].

وعندما بلغ 39من عمره حاصر القائد المغربي عشيرته فيما يُسميه أحمد بابا "بالكائنة العظمى"، حيث سيقُوا موثوقين بالقيود إلى مراكش ، وفي الطريق سقط هذا الأخير عن ظهر الجمل فكسرت ساقه ، سجن هناك عندما تُهِمَ بإشعال نار الفتنة ضد الحاكم أحمد المنصور الذهبي في عام 1594م ، وبعد إطلاق سراحه قام بالتدريس والوعظ والإرشاد ،

---

1 - مخطوط ، **أسئلة الأسقيا وأجوبة المغيلي** الذي وجده الباحث الجزائري عبد القادر زبادية في المكتبة الوطنية الجزائرية حيث قام بتحقيقها ونشرها في كتابه : **الحضارة العربية والتأثير الأوروبي في إفريقيا جنوب الصحراء** ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، 1989م ، ص ص : 151-173.

2 - مطير سعد غيث ، المرجع السابق ، ص : 272.

3 - أحمد بابا التنبكتي ، المصدر السابق ، ص ص : 11-12.

وكان الناس يـَ قدمون إليه من كل البقاع لما له من علم غزير وسمعة طيبة فأصبحت كتبه أكثر تداولا بين الناس[1].

إعتبر أحمد بابا أن السنوات المراكشية كانت من أغني فترات حياته عطاء وشهرة فختم بعض كتبه سنة1004هـ و التي من أشهرها كتاب "نيل الإبتهاج" سنة1005هـ و إختصره في كتاب "كفاية المحتاج" سنة1012هـ ، وبعد وفاة المنصور الذهبي سمح له إبنه المتولي بالعودة مع أفراد أسرته إلى وطنه وحدد ذلك بسنة 1014هـ في دائرة المعارف الإسلامية ، وبذلك قضى المؤلف 20سنة الأخيرة من حياته في التعليم ، و إنتقل إلى الرفيق الأعلى سنة 1036هـ/1627م[2].

وكان من أشهر مؤلفاته بين الفقه والتراجم والنحو والحديث والتصوف...إلخ ، في عدة كتب ورسائل ، ومن أشهر تلاميذه بن عبد الرحمان السعدي صاحب كتاب تاريخ السودان[3].

- القاضي محمود كعت :

هو القاضي محمود بن الحاج المتوكل كعت ولد بمنطقة كورما عام 873هـ/1468م أخذ العلم عن علماء تنبكت وفقهائها ، برع في الأدب والفقه كما تقلد منصب القضاء[4] ، كما عمل ككَاتب خاص للأسكيا محمد الكبير ، وقد رافقه في رحلته إلى الحج إلى مكة عام 902هـ/1465م ، وفي رحلته هذه إطلع على أحوال البلدان الإسلامية و إلتقى بعلمائها[5] ، ويذكر السعدي عن وفاة محمود بن الحاج المتوكل كعت **بقوله:(...في ليلة الإثنين أول ليلة من المحرم الحرام الفاتح للعام الثانية بعد الألف قرب طلوع الفجر توفي الفقيه القاضي محمود كعت بن الحاج المتوكل على الله في اركيا وحمل إلى تنبك وصلي عليه بعد صلاة العشاء الآخرة من ليلة الثلاثاء ودفن ساعتئذ بمجاورة قبر الفقيه أحمد بن الحاج رحمهم الله...)**[6] ، ومن أشهر كُتبه : كتاب (الفتاش في أخبار البلدان والجيوش وأكابر الناس وذكر وقائع التكرور وعظائم الأمور وتفريق أسباب العبيد من الأحرار).

---

1 أحمد بابا التنبكتي ، المصدر السابق ، ص : 13.
2 - نفسه ، ص : 13.
3 - نفسه ، ص ص : 13-14.
4 - عبد الرحمان السعدي ، المصدر السابق ، ص : 211.
5 - مطير سعد غيث ، المرجع السابق ، ص : 278.
6 - عبد الرحمان السعدي ، المصدر السابق ، ص : 211.

– **عبد الرحمن بن عبد الله السعدي:** هو عبد الرحمن بن عبد الله بن عمران بن عامر السعدي ، ولد في غزة جمادى الآخر سنة 1004هـ/1592م في تنبكت، تلقى فيها العلم على شيخ الفقه المالكي" أحمد بابا "[1].

وفي سنة 1626م أصبح إماما لمسجد سنكور ي" في جني ، ثم عينه "محمد بن عثمان باشا" حاكم تنبكت سنة 1646م ليشغل منصب ناظر خارجية ، توفي عبد الرحمن السعدي في سنة 1066هـ/1655م ، وكان كثير السفروالتِ جوال في أنحاء مملكة "صنغاي" ، كما قام بتأليف كتاب خاص يتكلم عن تاريخ بلاده وإستطاع الفراغ منه في يوم5 ذي الحجة 1069 هـ الموافق لـ27 أكتوبر 1653 م سماه تاريخ السودان ، تحدث فيه عن الممالك الإسلامية وعن نشأة المدن الإسلامية وذكر الدعاة والقضاة وأئمة المساجد فضلا عن بيان التاريخ القديم لقبائل مالي وصنغاي والطوارق[2].

ب) النظام التعليمي :

كان النظام التعليمي المُتبع في المدارس ودانية كتنبكت وجني وجاو والمشهورة بمختلف جامعاتها كجامعة سنكوري في تنبكت ، والتي شاعت إلى حد كبير كقريناتها من مراكز الثقافة الإسلامية مثل: جامع القرويين بفاس وجامع الزيتونة بتونس وجامع الأزهر بمصر[3] كما أن المراكز التي يمر بها الطالب في مختلف أطوار تعليمه في السودان الغربي هي نفسها التي يمر بها الطالب في الشمال الإفريقي ، وذلك قبل الإحتلال المغربي للمنطقة على عكس ما أورده محمد الغربي بأن هذه المراحل لم تكن معروفة في السودان الغربي من قبل وأن المغاربة هم من جاء بها بقوله:(...**فقد أصبح – أي:عقب التواجد المغربي– هناك تعليم ابتدائي ومتوسط ومتخصص...**)[4].

كما أن المراكز التعليمية في السودان الغربي كانتتَدُرَس عدة علوم كالقرآن الكريم وعلومه وكتب الحديث[5] والفقه وخاصة الفقه المالكي واللغة العربية وعلومها كالصرف والنحو والبلاغة

---

1 - عبد الرحمان عمر الماحي : **الدعوة الإسلامية في غرب إفريقيا** ، (الواقع والمستقبل) ، ط1 ، الديوان الوطني للمطبوعات الجامعية ، بن عكنون الجزائر ، 1996م ، ص : 115.
2 - نفسه ، ص : 115.
3 - عبد القادر زبادية ، مملكة صنغاي ... ، المرجع السابق ، ص : 103 .
4 - محمد الغربي ، المرجع السابق ، ص : 521 .
5 - عبد الرحمان السعدي ، المصدر السابق ، ص : 46.

والبلاغة والأدب والعروض وفقه اللغة ، وعلوم أخرى كعلم الخط والتاريخ والجغرافيا والتراجم والسيرة النبوية والحساب والهندسة والكيمياء والفلك والطب والفلسفة وغيرها[1].

ومن جهة أخرى عرفت الحياة الثقافية في السودان الغربي نظام الإجازات العلمية أو الشهادات ، وهي إقرار الأستاذ بأهلية الطالب بعد تحصيله التام لفن من الفنون ويتم النطق بذلك الإقرار أو يحرر على ورقة تعطى للطالب المتخرج[2].

كما شهد السودان الغربي إنتشار المكتبات بشكل كبير والتي من أشهرها: مكتبة آل أقيت والتي من أبرز رموزها أحمد بن عمر أقيت ، وقد تحدث عنه حفيده أحمد بابا بقوله : **(...وترك – يقصد جده أحمد بن عمر أقيت – نحو سبعمائة مجلد آخذ عن جده لأمه الفقيه أندغمحمد وعن خاله الفقيه المختار البخوي وغيرهما...)** ، أما الفقيه أندغمحمد – المشار إليه – فهو أندغمحمد بن عثمان بن محمد بن نوح وهو عميد أسرة (أندغمحمد) الشهيرة بمكانتها العلمية في المنطقة ، وهو بحسب رأي حفيده أحمد بابا الذي قال عنه في كتابه كفاية المحتاج **(...هو أول من خدم العلم من أجدادنا – فيما أعلم – جدي لأمي وهو الفقيه محمود أندغمحمد أبو أم جدي...)**[3].

وقد كان للفقيه محمد محمود بغيغ أيضا مكتبة خاصة زاخرة بنفائس الكتب والمخطوطات وكان لا يقفل أبوابها في وجه طلاب العلم وفي هذا الصدد يقول أحمد بابا واصفا أستاذه محمد محمود بغيغ :**(...وربما يأتي لباب داره طالب فيرسل له براءة فيها إسم كتاب يطلبه فيخرجه من الخزانة ويرسله له من غير معرفته من هو فكان في ذلك العجب إيثارا لوجه الله تعالى ، مع محبته للكتب وسعيه في تحصيلها شراءا ونسخا...)**[4] ، كما شهدت البلاد حركة تأليف قبل الإحتلال المغربي[5] في مختلف العلوم كالعلوم الشرعية وعلوم اللغة العربية وعلومها وعلومها كالصرف والنحو والبلاغة والأدب والعروض وفقه اللغة ، وعلوم أخرى مختلفة كعلم الخط والتاريخ والجغرافيا والتراجم والسيرة النبوية الشريفة والحساب والهندسة والكيمياء والفلك والطب والفلسفة[6].

---

1 - مطير سعد غيث ، المرجع السابق ، ص : 228.
2 - محمد الغربي ، المرجع السابق ، ص : 554.
3 - مطير سعد غيث ، المرجع السابق ، ص : 233.
4 - نفسه ، ص : 235.
5 - نفسه ، ص : 237.
6 - محمد الغربي ، ص ص : 521-530.

الآثار المغربية عليها :

* مساهمة المغاربة في ضياع كثير من المؤلفات التي تركها السودانيون نتيجة الحرب التي شنها المغاربة على بلاد السودان الغربي[1] ، وفي هذا يقول أحمد بابا عن كتبه التي فقدها نتيجة نقله إلى مراكش مصُفَدًا بالسلاسل إلى مراكش قال:(...**ونهب لي ست عشرة مائة مجلد** ...)[2].

* قتل ونفي علماء السودان الغربي وخاصة علماء مدينة تنبكت ومثال ذلك ماحصل لأحمد بابا التنبكتي وهو أحد أبرز علماء السودان وقد أعتقل من طرف جنود المنصور ونقل مصُفَدًا إلى مراكش ، وهذا مانتج عنه إنتكاسة للحركة الثقافية والعلمية في بلاد السودان الغربي[3].

* ظهور علم التراجم والذي لم يكن موجود في بلاد السودان الغربي قبل قدوم المغاربة للبلاد لأن المغاربة هم من جاء به[4].

* تأثر الحضارة السودانية الفكرية والعمرانية بالنسق الأندلسي والمغربي ولكنها لم تتجاوز نطاق المدن الكبرى في إطار ضيق[5].

* إدخال بعض التعابير من اللهجات الدارجة المغربية والأمثال المحلية المغربية على المجتمع السوداني[6].

* أصبحت اللغة العربية لغة الثقافة والإدارة وهي اللغة الشائعة في التعامل التجاري إلى جانب لغة الصنغاي[7].

* ظلت بعض مؤلفات العلوم الشرعية وعلوم اللغة قائمة في الحركة الفكرية والعلمية السودانية في تلك الفترة[8].

---

1 - نعيم قداح ، المرجع السابق ، ص : 161.
2 - أحمد الناصري ، المصدر السابق ، ص : 130.
3 - محمد الصغير الوفراني ، المصدر السابق ، ص : 97.
4 - محمد الغربي ، المرجع السابق ، ص ص : 521-530.
5 - عبد الرحمان السعدي ، المصدر السابق ، ص : 21.
6 - محمد الغربي ، المرجع السابق ، ص : 520.
7 - عبد الرحمان السعدي ، المصدر السابق ، ص : 23.
8 - محمد الغربي، المرجع السابق ،ص : 521.

* إزدهرت في مدينتي تنبكت ودينبي حرفة الوراقة فأصبحت الكتب تُستنسخ ويُعاد بيعها في مناطق السودان الغربي المختلفة[1].

ثالثا : الحياة الإقتصادية :

إشتهرت بلاد السودان الغربي بتجارة الذهب ، وبمساهمته الفعالة في تجارة القوافل عبر الصحراء الكبرى بينه وبين الشمال الإفريقي ، كما أن خصوصيات أرض السودان الغربي

تعكس ما تزخر به من تربة خصبة صالحة للزراعة وثروة حيوانية وسمكية وفيرة وثروات معدنية متنوعة[2].

ومن هبات الطبيعة السودانية أن أراضيه وقعت في حزام نهر النيجر الملائم للزراعة وتربية الحيوانات ، كما أن الطبيعة أنعمت عليها بمصادر المياه الوفيرة وقوامها الأمطار ونهري النيجر والسنغال ، كل هذا جعله منذ القديم محطة لإلتقطاب التُجار من كل مكان خاصة شمال المنطقة والمشرق العربي ، وما حمل هؤلاء من أفكار حضارية أثرت في المنطقة خاصة الإسلام[3].

1/ الزراعة والثروة الحيوانية :

تنوعت الزراعات في بلاد الصنغاي بسبب مجاورتها للمسطحات المائية والذي جعلها تتمتع بخصوبة تربتها الصالحة للزراعة وتربية المواشي إذ قال الحسن الوزان عنها :**(...وكل الأقاليم المجاورة لهذا النهر تصلح جدا للزراعة وتنموا فيها الحبوب بكثرة وتوجد بها من الماشية أعداداً لاتحصى...)**[4].

وقد كان سكان بلاد السودان الغربي يُحسنون الري فقد فرَّعُوا عدة قنوات من نهر النيجر وكذا من روافده والبحيرات الموجودة عند منحناه الأعلى[5] ، فضلا عن وقوع بلاد السودان الغربي في المنطقة الإستوائية حيث تتعرض لهطول الأمطار بغزارة طوال العام[6] ، كما شهدت الزراعة في هذه المنطقة تطورا ملحوظا و إتساعا أفقيا ، وذلك عقب شق القنوات

---

1 - نفسه ، ص : 450.
2 - نفسه ، ص : 495.
3 - عبد العزيز الفشتالي ، المصدر السابق ، ص : 166.
4 - الحسن الوزان ، ج1 ، المصدر السابق ، ص : 77.
5 - عبد القادر زبادية ، المرجع السابق ، ص : 72.
6 - مطير سعد غيث ، المرجع السابق ، ص : 358.

وا إيصال المياه إلى الجهات المنخفضة ، وا إقامة السدود على البحيرات للإحتفاظ بمياه الفيضان ، ومسألة تحكم أهالي السودان العربي في ضبط مياه الفيضان وا إحتجازها وراء السدود لم يذكر عنها شئ إلا ما أورده عبدالرحمان السعدي أن الملك سني علي فكر في شق قناة لنقل المياه من الطرف الشمالي لبحيرة فاكبين (faqbine) إلى منطقة ولاته الصحراوية وقد شرع في تنفيذ هذا المشروع ولكن الحروب التي تعرضت لها منطقة

الصنغاي جعلته يعدل عن فكرته ويوقف العمل في ذلك المشروع الهام[1].

إستعمل سكان المنطقة الأسمدة التي يتخذونها من فضلات الحيوانات كمادة تساعدهم في عملية الزراعة ، كما عمدوا إلى إستخدام الفؤوس والمحاريث الخشبية التي تجرها الثيران أو الجمال في تعاملهم مع الأرض[2].

أما نوعية المزروعات فكانت عبارة عن الحبوب و التي تشمل الأرز الذي كان من الأغذية الرئيسية لمختلف طبقات الشعب في تلك المنطقة وهو يُ زرع بصورة خاصة حول النيجر وروافدها لما يتطلبه من ماء كثير ، وقد كان النوع الذي كان يزرع بالبلاد هم النوع المعروف بإسم(النوبي)[3].

وكذلكالدّخن الذي كان يزرع في جميع جهات البلاد في أيام الأسكيين في بلاد صنغاي وكان يشمل الغذاء الأساسي الأول لدى السكان[4] ، كما يوجد بالمنطقة نبات السورجو والذي كانتحَبَّهُ صغيرةتشبه الحُمص ولكنها أدق منها ولونها أبيض تتخلله نقط سوداء ، وكان في المرتبة الثالثة بالنسبة لغذاء السكان بعد الأرز والدّخن والذي يزرع حول النيجر وروافده[5].

وروافده[5].

1 - نفسه ، ص : 258.
2 - عبد القادر زبادية ، المرجع السابق ، ص : 72.
3 - نفسه ، ص : 73.
4 - نفسه.
5 - الحسن الوزان ، ج2 ، المصدر السابق ، ص : 163. **أنظر** أيضا : عبد القادر زبادية ، المرجع السابق ، ص : 174.

كما أن المنطقة عرفت زراعة القمح [1] واللوبيا والحمص والقرع والفول والفاصوليا[2] ، ويؤكد عبد القادر زبادية نقلا الوزان والقلقشندي على توافر الفواكه والخضر في صنغاي وخاصة منها البطيخ والحبحب (الدلاع) وقد كانت تزرع في جميع أنحاء البلاد[3].

كماعرفت المنطقة المزروعات الصناعية والتي تتمثل في القطن والكلّتن وقصب السُكر والحِناء والتي كانت تستعمل في الزينة والعلاج[4] ، وكذلك الأشجار المثمرة مثل : النخيل التي كانت مناطقه الأساسية الواحات الشمالية ، والكروم والتين والتي تتركز في المناطق القريبة من نهر النيجر في وسط البلاد وشمالها ، والحمضيات التي توجد في الواحات الشمالية وفي المناطق الوسطى والجنوبية حول النيجر[5].

وعلى ضوء ما أوردناه من قبل فإنالمغاربة عندما حَلُوا بالبلاد السودانية لم يدخلوا تأثيرا كبيرا في الجانب الزراعي ، بل إقتصر التأثير على ما قدمه الأندلسيون الذين رافقوا الحملة ، من جلب بعض البذور لإستغلالهم الجيد في التحكم في مياه النهر وجرَهَا وقت الفيضانات إلىجهات بعيدةٍ ثم إختزانها وراء سدود ترابية للإستفادة منها فيما بعد[6].

كما عاشت في منطقة السودان الغربي حيوانات كثيرة منها المفترسة والأليفة ، هذه الحيوانات التي كان يستفيد منها سكان المنطقة في الحياة وفي معيشتهم أو في تجارتهم أو في أي شكل من الأشكال كإستعمالها في المجال الزراعي في حرث الحقول ونقل الماء ، ويستعملون صوفها في صناعة الفُرش والخيام والألبسة و الزرابي [7]ويُصدرون بعضها إلى الخارج[8].

كما عرفت المنطقة تربية الأبقار حيث تحتل المرتبة الأولى قبل الأغنام والماعز ، و أغلبها من نوع صغير الحجم وكانت تتخذ للحمل[9] ، أما الخيول أغلبها تستورد من الخارج لاسيما الشمال الإفريقيوهي باهضة الثمن حيث يُباع الحصان الواحد مقابل خمسة عشر أو

---

1 - الحسن الوزان ، ج2 ، المصدر السابق ، ص : 163.
2 - عبد القادر زبادية ، المرجع السابق ، ص ص : 174- 175.
3 - نفسه ، ص : 175.
4 - الحسن الوزان ، ج2 ، المصدر السابق ، ص : 174. أنظر أيضا : عبد القادر زبادية ، المرجع السابق ، ص: 176.
5 - عبد القادر زبادية ، المرجع السابق ، ص : 177.
6 - محمد الغربي ، المرجع السابق ، ص : 481.
7 - نفسه ، ص : 476.
8 - عبد القادر زبادية ، المرجع السابق ، ص : 179.
9 - الحسن الوزان ، ج2 ، المصدر السابق ، ص : 172.

عشرون عبدا[1] ، وقد كانت الذئاب والثعالب والغزلان موجودة بكثرة وخاصة في مناطق الصحراء الجنوبية ، ولذا كانت قبائل الطوارق تصطادها وتستفيد من لحومها وجلودها[2].

ونجد الفيلة أيضا حيثكثرت كلما توغلنا جنوبً ا وقلت في منطقة الغابات العليا خارج حدود صنغاي ، وكان سكان صنغاي يستفيدون من الفيلة في تجارتهم فيصطادونها ويبيعون أنيابها والتي كانت تستعمل في صناعة العاج[3].

وعليه فإننا نستخلص أن الدور المغربي إقتصر على جلب الحصان العربي ، فقد أدخله الجيش المغربي إلى تلك البلاد ولم يكن يوجد قبلهسوى نوع مُ توحش صغير الهيأةُ دعى "كيمراس" ولم تمر سوى سنوات قليلة حتى تناسلت الخيول المغربية من الصنف المحلي وأعطت نوعا لايتأثر بلفح الهواء ولا بلسع الحشرات القاتلة[4].

2/ الثروات المعدنية :

تعددت في منطقة السودان الغربي عدة ثروات طبيعية في مقدمتها الذهب الذي كان يستخرج من ونقارة التي تقع في الجنوب الغربي من العاصمة باماكو ، عند منابع نهر السنغال من جبال فوتاجالون وبودي الواقعة على نهر فولتا جنوب إقليم هنبوري الذي كان تابعً ا لتنبكت[5] ولم يكن يُ ستخرج مباشرة كانوا يحصلون عليه من بقايا الرواسب التي يحملها يحملها نهر النيجر من مجراه الأعلى ، فقد كان ينحت الصخور المحتوية على الفلز ويجرف معه حبيبات لامعة فيعمد السكان إلى جمعها حتى ينخفض مستوى النهر[6].

ولعب دورا كبيرا في التجارة ، وكان التُ جار يقطعون مسافات كبيرة وشاقة من أجل الحصول عليه ، وهذا ما جعلها محل أطماع السلاطين السعديين وقد إحتلها أحمد المنصور الذهبي و أسقط دولة الصنغاي الإسلامية في تلك المنطقة.

وبالعودة إلى كميات الذهب التي كان أحمد المنصور يحصل عليها من السودان الغربي **(...لاريب في تحقيق غرضها (الحملة) هو الإستلاء على مصادر الذهب ولكنها أغنت**

1 - الحسن الوزان ، ج2 ، المصدر السابق ، ص ، ص : 173.
2 - عبد القادر زبادية ، المرجع السابق ، ص : 181.
3 - نفسه ، ص : 180.
4 - محمد الغربي ، المرجع السابق ، ص : 474.
5 - نفسه ، ص : 495.
6 - نفسه ، ص : 496.

المنصور الثرى على نطاق لا يجعله يندم كثيرا عن حملته...فقد أطلقوا عليه لقب الذهبي...) وقوله:**(...وحتى في زمن العفراني...كان المغاربة يتذكرون بفخر الثروة التي تدفقت على بلادهم...)**[1].

ومنذ ذلك التاريخ (أي غزو السودان) أصبح أحمد المنصور يدفع بإسراف إلى موظفيه بالمعدن الصافي والدنانير ذات الوزن التام ، وكان على باب قصره 1400 صائغ يعملون يومياً في إعداد القطع الذهبية ، وما تبقى منه يحول إلى خواتم ذهبية وهذه الوفرة من الذهب هي التي جعلت من أحمد المنصور يلقب بالذهبي[2].

لقد لفتت هذه الكميات أنضار الأجانب وأصبحت محظ أطماعهم ، فقد أرسل السفير الإجليزي لورانس مادوك تقريراً إلى حكومته في سبتمبر 1594م أكد فيه**(...أن السلطان أصبح أغنى حاكم في الكون ... وأن الرفاهية الإقتصادية التي أصبحت عليها دولة المنصور بعد فتح السودان كانت نتيجة الموارد الضخمة التي في خزائن المولى أحمد المنصور يتلقاها بين الفينة والأخرى ، ولكثرة الغنى ولشيوع الذهب أصبح المنصور (الإمبراطور الذهبي) فانفتحت أمامه آفاق واسعة وظهرت مشروعات ضخمة كان من أهمها الإعتناء بالأسطول وتقويته...)**[3].

وزيادة عن الذهب فقد وجد النحاس الذي كان يستخرج من (**اكجوجت**) التي تقع إلى الجنوب الغربي من موريتانيا الحالية ومن منجم (**أزوليك**) ببلاد الأسير، وبنسبة أقل الحديد والرصاص والقصدير[4].

3/ الصناعة والحرف :

لقد شهدت الصناعات والحرف في بلاد السودان الغربي إزدهارا كبيرا ، فقد كانت حياكة الملابس تتوافر بكثرة بسبب وجود المواد الخام محليا ، مع وفرة الصوف والوبر والقطن بكمية كبيرة ، ورغم هذا فقد كانت لا تكفي لسد حاجات الإستهلاك المحلي للبلاد ، إذ تم إستيراد كميات كبيرة من الأقمشة من دول أوروبا عن طريق تجار الشمال[5] ، كما عرفت المنطقة

---

1 - بوفيل ، المصدر السابق ، ص ص : 321-322.
2 - نفسه ، ص : 322.
3 - محمد الغربي ، المرجع السابق ، ص : 17. وأنظر أيضا : بوفيل ، المصدر السابق ، ص : 322.
4 - عبد القادر زبادية ، المرجع السابق ، ص : 190.
5 - الحسن الوزان ، ج2 ، المصدر السابق ، ص ص : 165-166.

عدة صناعات كصناعة الزرابي التي تصنع من أصواف الأغنام وشعر الماعز ووبر الإبل ، وقد كانت تمارس هذه الصناعة من قبل النساء ، كما عرفت صناعة الحصير التي كانت تستعمل كفرش للمساجد والمنازل وتصنع هذه من نباتات تشبه الدّيس إلاّ أنه أقوى منه وأكثر سمكا[1].

وكذلك تطورت في السودان الغربي حرفة دبغ الجلود التي أُستخدمت في صناعة النِعال والسُروج والآلات الموسيقية وخصوصا الطبل الواسع الإنتشار[2] ، كما مارس سكان صنغاي حرفة دباغة الجلود التي تستعمل فيها أوراق النباتات لإعطاء ألوان مختلفة ، ويضيفون إليها في الغالب مادتي الشّب والملح لتثبيت الألوان[3].

كما عرفت المنطقة أيضا بعض الصناعات والحرف ذات الإستعمال المنزلي مثل: الحلي من الذهب والفضة ، وقد إشتهرت عائلات بعينها بإتقان هذه الحرفة ، وبالذات في مدينة تنبكت التي إشتهرت بصناعة الذهب وخصوصا في حي الغدامسية وحومة السوق[4].

كما عرفت بالسودان الغربي وفي نطاق محدود صناعة الصابون الذي أستخدم في التنظيف ، ونذكر حادثة وقعت للأسكيا داود مع عجوز قالت له:(...**لابد من حمل غرامة لك تذكرني بذلك وذلك عشرة رؤوس صابون في رأس كل سنة...**)[5].

ومن المهن التي مارسها سكان السودان الغربي مهنة الخياطة التي اشتهرت بها تنبكت والتي تضم أعدادا كبيرة من دكاكين الخَيَّاطين[6].

بقيت هذه الصناعات والحرف التي عرفتها المنطقة في فترة حكم الأسكيين كما هي في فترة حكم المغاربة للبلاد ولم يتغير فيها الشئ الكثير[7].

---

1 - - الحسن الوزان ، ج2 ، المصدر السابق ، ص : 172.
2 - مطير سعد غيث ، المرجع السابق ، ص : 364.
3 - عبد القادر زبادية ، المرجع السابق ، ص : 192.
4 - Delafosse , op.cit ,P: 163.
5 - مطير سعد غيث ، المرجع السابق ، ص : 366.
6 - نفسه ، ص : 366.
7 - محمد الغربي ، المرجع السابق ، ص : 497.

4/ التجارة :

أ/ التجارة الخارجية :

كثير ً ا ماتكلمت المصادر التأ ّ خت للمنطقة في تلك الفترة السابقة عن الحركة التجارية التي كانت قائمة بين شمال إفريقيا و إفريقيا جنوب الصحراء ، فقد كانت هذه القوافل التجارية تحمل ريش النعام وبيض النعام ومسحوق الذهب من السودان مقابل الملح والقمح وغيرها من السلع ، وفي القرون الوسطى إزدادت هذه الحركة ولم تكن الصحراء في يوم من الأيام عائقا دون الاتصال الحضاري المستمر بين طرفيها الشمالي والجنوبي ، وقد كانت الأسس الأولى لهذا الاتصال هي التجارة وتبادل السلع والمنتوجات و البضائع وتكونت على طول طريق القوافل التجارية الرابطة بين السودان الغربي وشمال إفريقيا فقد كانت بلاد السودان الغربي تصدر بعض المنتوجات منها :الذهب و العبيد وريش النعام والشّ ب والقطن و الكولا والعاج. وبالمقابل تستورد : الملح و النحاس والكتب والأقمشة ، كما نشأت عدة مراكز تجارية هامة نذكر منها : سجلماسة و تنبكت و جاو ....إلخ[1].

ب- التجارة الداخلية :

****الأسواق** : كانت الأسواق في بلاد الصنغاي تعقد وتوجد حيثما توجد المدن ويتكاثر السكان والمساكن في جهة ما ، وقد كانت توجد ثلاثة أنواع من الأسواق في البلاد وهي :

- **الأسواق المحلية** : وهي سوق أسبوعية يرتادها سكان القرية و التي كانت توجد قريبا منهم ، وفي الغالب كان يوجد فيها بعض الدكاكين البسيطة[2].

- **الأسواق الجهوية** : كانت توجد حيث توجد المراكز الحكومية في الأقاليم ، وكانت تصلها جماعات التجار من خارج المنطقة الموجودة بها ، كما كانت توجد بها بضائع أكثر كمية وتنوعا منها في الأسواق المحلية ، ويمارس فيها التبادل بين المنتجات الجهوية والمحلية والخارجية[3].

---

1 - للمزيد انظر المبحث الثالث من الفصل الأول من الدراسة ، ص ص : 29 – 34.
2 - عبد القادر زبادية ، المرجع السابق ، ص : 195.
3 - نفسه ، ص : 196.

- **الأسواق الكبرى** :و أغلبها كان يقع في شمال البلاد وكانت تجري عن طريقها حركة الإستيراد والتصدير مع الخارج ، وفيه يحصل عقد الصفقاتالكبيرة بين التُ جار ، وكانت أهمها في صنغاي على أيام الأسكيين تلك التي توجد في تنبكت وجني و وجاو ولاتة وكوكيا[1].

أما عن النقل فقد ذكر الحسن الوزان الزوارق حيث قال:(...**ويأتي تجار تنبكت... حاملين بضائعهم في زوارق صغيرة ضيقة جدا مصنوعة من نصف جذع مجوفة تجري بهم نهار ا...)**[2] ، كما أستعملت الحمير والثيران والعبيد في نقل السلع[3].

وفيما يتعلق بالنقل بين بلاد الصنغاي والمغرب ومصر على الخصوص فقد كانت تستعمل الجمال ، لأن إتصال بلاد صنغاي بالخارج إنما كان مع الشمال والشرق أكثر وبين بلاد المغرب ومصر توجد الصحراء وأكثر الحيوانات ملائمة لقطعها هي الجمال[4].

****المقاييس والمكاييل والأوزان :**

نتيجة للإختلاط و التبادل التجاري الذي وقع بين تجار المشرق العربي والشمال الإفريقي وأهالي السودان الغربي ، فقد إنتقلت إلى المنطقة العديد من المقاييس والمكاييل والأوزان التي عرفتها الحضارة العربية الإسلامية مثل :

- **المقاييس** : والتي منها :

الشبر: ويساوي الإمتداد بين الحنصر والإبهام حتى تكون الكف مفتوحة ، وقد قدره موني 21.5 سم تقريبا.

الذراع : وهو الإمتداد بين عقدة المرفق ونهاية الوسطى ويساوي حوالي 50سم تقريبا[5].

الميل : ويستعمل في قياس المسافات بصورة خاصة وقد قدره موني أيضا 1920 مترا[6].

---

1 - عبد القادر زبادية ، المرجع السابق ، ص : 196.أنظر أيضا : الحسن الوزان ، ج2 ، المصدر السابق ، ص : 169.
2 - الحسن الوزان ، نفسه ، ص : 164.
3 - عبد القادر زبادية ، المرجع السابق ، ص : 197.
4 - نفسه ، ص : 196.
5 - مطير سعد غيث ، المرجع السابق ، ص : 356.
6 - عبد القادر زبادية ، المرجع السابق ، ص : 198.

الفرسخ : يقاس به المسافات الطويلة أيضا وكان يساوي ثلاثة أميال أي 1920×3= حوالي 5760 مترا تقريبا[1].

- **أما عن المكاييل فكان أهمها :**

****المد** : وكان يساوي سعة أربعة ألواح بمجمع اليدين وقد قدره موني أيضا بما يعادل 0.75 سل بالتقريب.

****الصاع** : وهو يساوي أربعة أضعاف المد أي مايعادل ثلاثة لترات تقريبا[2].

****القنطار**: ويقدر بمائة رطل.

****المودي** : وهو يساوي مايحمله العبد أو الرجل من حبوب أو غيرها في كيس كان يتخذ من الجلد[3].

- **أما عن الموازين فكان أهمها :**

****المثقال** : وكان يساوي أربعين درهما.

****الدرهم** : وكان يساوي أربعة أعشار الدينار.

****الوقية** : وقد تقدر بحوالي 28.5 غراما تقريبا[4].

الآثار المغربية عليها :

* أصبحت التجارة بين السودان الغربي والمغرب عبارة عن بضائع من نوعية خاصة تبعا لحاجات المغرب وا لتزاماته التجارية مع الدول الأروبية وبلاد الشرق ، وبمقتضى المتطلبات الجديدة للجالية المغربية التي كانت تستقر بأهم مدن السودان الغربي[5].

---

1 - عبد القادر زبادية ، المرجع السابق ، ص: 198.
2 - مطير سعد غيث ، المرجع السابق ، ص : 356.
3 - عبد القادر زبادية ، المرجع السابق ، ص : 199.
4 - مطير سعد غيث ، المرجع السابق ، ص : 357.
5 - محمد الغربي ، المرجع السابق ، ص : 432.

* إستيلاء المغاربة على مناجم الذهب والملح بإعتبار أن حكم الشرع فيها يقضي بملكية السلطان (أحمد المنصور) لها ، وقد كان الذهب يغطي إحتياجات المغرب والأقطار الأروبية معا [1].

* صارت الضوابط التجارية التي طبقها المغاربة في السودان الغربي على المعاملات التجارية إلزامية وتخضع للمراقبة ، كما شهدت أسعار المحاصيل الزراعية غلاءا نظرا لضعف المحاصيل الزراعية[2].

* أصبحت دار السكة في تنبكت تضرب مثاقيل ودنانير لم تكن تشبه لا في الشكل ولا في الوزن مثيلاتها في الشمال[3].

* تفشي ظاهرة الربا والتلاعب بوزن مثقال الذهب ، حيث أقبل اليهود على شراء القطع الذهبية التي كان التجار يحملونها معهم خارج السودان ، وبينما كان سعر الدورو الإسباني يساوي في الصرف الرسمي 3000 كورى كان المرابون يدفعون 5000 كورى للحصول على القطعة الواحدة منه ، كما أن وزن المثقال الذهبي لم يعد ثابتا بفعل إنعدام المراقبة على مطارقه[4].

* أصبح موظفوا المراكز الحكوميةوموظفو ا الإدارة المغربية في بلاد السودان الغربي هم الذين يسيرون التجارة داخل المدن الكبرى في البلاد[5].

* تأثير الجالية الأندلسية التي جاءت مع المغاربة في المجال الزراعي حيث قاموا بنقل البذور ومزروعات جديدة إلى السودان الغربي بما في ذلك أنواع من الحوامض والبطيخ الأحمر والقمح الصلب والتبغ وقصب السكر ، كما قاموا بتحسين المزروعات التي كانت موجودة عن طريق الدورة النباتية ، وا ٍختيار الأماكن الصالحة لكل نبتة وا ٍستخدام السماد الحيواني المركز[6].

* ظهور مشاريع قنوات الري فقد أخذت المزارع على ضفاف النهر وبعض البحيرات شكل البساتين الأندلسية ، وخاصة في وسط تنبكت وقد شبه الفشتالي تلك القنوات بنهر الفرات وقال بأنها ستفضي على البلاد الخير والبركات[7].

---

1 - H. de Castries: op.cit,p.68.

2 - محمد الغربي ، المرجع السابق ، ص : 433-435.

3 - نفسه ، ص : 428 .

4 - نفسه ، ص : 437.

5 - عبد الرحمان السعدي ، المصدر السابق ، ص : 273.

6 - بوفيل ، المصدر السابق ، ص : 173.

7 - عبد العزيزالفشتالي ، المصدر السابق ، ص : 167.

* قام المغاربة بتنظيم مهنة التكشيف وقيادة القوافل[1].

* أصبح الجيش المغربي يشكل دوريات للحراسة فقد كان يضطر الجيش المقيم في قلعته بتاديرما إلى التحرك بإنتظام لتأمين سلامة السفن والطرق البرية[2].

* قام المغاربة بإدخال الموازين والمقاييس إلى السودان الغربي على يد المغاربة ، وقد أدى ذلك إلى وحدة المعايير السودانية وخضوعها جميعا للدقة المطلوبة في ميدان التجارة والمعاملات الأخرى ، وا ٍلى إنقاص الغش والتدليس وا ٍسقاط الوساطات والمزايدات التي كانت إحدى عيوب التجارة السودانية القديمة[3].

وخلاصة القول : كانت الأوضاع في بلاد السودان الغربي مستقرة عموما فقد عرفت بعض التغيرات بعد مجئ المغاربة للبلاد ، فقد تغيرت الطبقات الإجتماعية نتجية قدوم بعض الفئات والأجناس ، كما بقيت الأوضاع الفكرية كالتعليم كما هي مع إدخال بعض التغيرات ، أما في جانب التجارة والصناعة قد عرفت إزدهارا كبيرا نتيجة كثرة الطرق التجارية المختلفة.

---

1 - H. de Castries: op.cit,p.267 .

2 - عبد الرحمان السعدي ، المصدر السابق ، ص : 179.

3 - محمد رزوق ، **العلاقات العربية الإفريقية في القرن السادس عشر** ، **مجلة المؤرخ العربي** ، بغداد ، ع : 31 ، 1987م ، ص : 111.

الخـــــاتمــة

وفي ختام هذه الدراسة لموضوع حملة أحمد المنصور الذهبي على السودان الغربي نجد تضارباً في أراء المؤرخين حول هذه الحملة ، فمنهم من يعتبرها تدخل في نطاق الجهاد ونشر الإسلام ، والبعض الآخر يعتبرها غزواً إعتداءاً على بلد مسلم وهذا الرأي أقرب ما يكون للواقع وذلك لعدة إعتبارات نذكر منها :

* تعد فكرة غزو بلاد السودان الغربي هدفا من الأهداف التي كان يسعى السلاطين السعديين إلى تحقيقها وذلك منذ عهد السلاطين الأوائل ، وخاصة في عهد السلطان أحمد الأعرج ، وتجلى ذلك في فترة حكم السلطان أحمد المنصور الذي أرسل حملة عسكرية إلى هذا البلد مُتخذا من النسب الشريف ذريعة لتبرير هذه الحملة .

* أن أهل الصنغاي كانوا مسلمين قبل دخول المغاربة للبلاد وهذا ما تؤكده جل المصادر السودانية و المغربية ، حتى ولو فرضنا أن أهل الصنغاي ليسوا مسلمين فهل يخول لأحمد المنصور فعل ما فعله .

* رغبة أحمد المنصور في توسيع مملكته ودليل ما قاله لحاشيته لما جمعهم ليستشيرهم في أمر إرسال الحملة إلى السودان الغربي : "**ونحن اليوم قد إنسدت علينا أبواب الأندلس بإستيلاء العدو الكافر عليه جملة وإنقضت عنا حروب تلمسان ونواحيها من الجزائر بإستيلاء الترك عليها**".

* أن الحملة جاءت في وقت تعيش فيه الدولة السعدية شبه أزمة مالية نظرا لتأسيس جيش نظامي وما يتطلبه هذا الأخير(الجيش) من مصاريف مالية باهظة.

* كما كان هدف هذه الحملة هو السيطرة على ثروات المنطقة من ذهب وملح ، وهذا الأخير تنازع عليه سلاطين المغرب مع سلاطين صنغاي منذ النصف الأول من القرن العاشر هجري والسادس عشر ميلادي ، فقبل الحملة تقدم المنصور بطلب إلى ملك الصنغاي الأسكيا إسحاق سنة 590هـ يطلبه فيه مقدارا من الذهب على كل قطعة ملح تخرج من تغازة ، وهذا ما يؤكد أطماع المنصور في الذهب السوداني ودليل ذلك كمية الذهب التي حملت للمغرب بعد الحملة على بلاد السودان الغربي ، فقد أورد صاحب كتاب (الدولة السعدية التكمادرتية) :"...**وإجتمعت عنده الأموال والذخائر و المماليك ، أخذ نصف المحلة وإرتحل نصفها مع المال ، و توجهت إلى مراكش ، فلما قاربت المدينة خرج القواد**

و الأكابر إلى لقاء المحلة و الذخائر ، فدخل لدار السلطان إثنى عشر مائة مملوك بين الجواري و الغلمان ، وأربعون جملا من البَر وأربعة سروج من الذهب و أحمال كثيرة من العاج ... فتدخر من ذلك مولاي أحمد الذهبي ، و قوي ملكه وبقيت جباية السودان تأتيه كل سنة ....".

* قيام الجيوش المغربية بالإستيلاء على أموال أهل الصنغاي .

*قتل وا ٍهانة العلماء والإستيلاء على أموالهم والإعتداء على حرماتهموا ٍرسالهم مصفدين بالسلاسل إلى مراكش .

* كما نتج عن هذه الحملة دمار وخراب وشل الحركة التجارية التي كانت تنشط في المنطقة ، وقطع الطرق التجارية الواصلة من إلى مدينة تنبكت وبالتالي عزل المدينة عن أهم المراكز التجارية الواقعة في الشمال والتي ربطتها علاقات تجارية متبادلة منذ القدم .

رغم كل هذه السلبيات لا ننفي وجود بعض الآثار الإيجابية للمغاربة أثناء حكمهم لبلاد السودان الغربي ، ولكن هذه التأثيرات لم تكن بالشكل الكبير وهذا ما إستنتجناه بعد دراستنا لأوضاع السودان الغربي في عهد الأسكيين ، فمثلا أدخل المغاربة الأوزان والمقاييس والمكاييل في المجال الإقتصادي ، كما كان للأندلسيين التأثير الأكبر في الجانب الإقتصادي نتيجة إهتمامهم بالزراعة بإستعمال تقنيات حديثة ، أما في الجانب الثقافي فقد أدخل المغاربة علم التراجم والذي لم يكن معروفا من قبل ، كما لم يكن هناك تأثير كبير في الجانب الإجتماعي عدا تغير النظام الطبقي نتيجة قدوم بعض الأجناس المختلفة من عدة مناطق .

ومما سبق ذكره يتضح لنا أن الحملة التي قام بها السلطان أحمد المنصور الذهبي على بلاد السودان الغربي ما هي إلا غزوة هدفها سلب الأموال وإخضاع المنطقة و الإستفادة من خيراتها و خاصة معدن الذهبالذي حـُمل إلى المغرب بعد الدخول لبلاد السودان الغربي مباشرة .

الملاحـــق

1/ الوثائق:

ملحق رقم 01 : **رسالة المنصور إلى القاضي عمر بن محمود بن عمر.**

ملحق رقم 02**رسالة مولاي أحمد المنصور إلى الشرفاء ، وا إلى القضاة ، وا إلى كل و ُجهاء فاس.**

2/الخرائط :

ملحق رقم 03 : **الموقع الجغرافي لغرب إفريقيا.**

ملحق رقم 04 : **مملكة صنغاي (400هـ/1010م).**

ملحق رقم 05 : **العلاقات بين شمال إفريقيا وغربها.**

ملحق رقم 06 : **طرق عابرة للصحراء الرئيسية في القرن الرابع عشر ميلادي.**

ملحق رقم 07 : **معركة وادي المخازن.**

ملحق رقم 08 : **طريق الجيش المغربي من مراكش إلى كاغو.**

ملحق رقم 09 : **الأجناس الشهيرة في غرب إفريقيا.**

ملحق رقم 10 : **الإسلام في السودان الغربي.**

3/ الصور:

ملحق رقم 11 : **صورة للسلطان أحمد المنصور الذهبي.**

ملحق رقم 12 : **القائد جوذر باشا قائد الحملة.**

الملحق رقم : 01

رسالة المنصور إلى القاضي عمر بن محمود بن عمر[1] :

<< بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على سيدنا محمد وآله ثم كانت العلامة الكريمة المباركة المذهبة المنيرة المشرفة التي خطت فيها يمين الإمام وبنان سبط النبي عليه السلام إسمه الشريف المبارك الكريم بتدبيج يبهر العيون حسنا ورواء وفخامة ويسع منفسخ البياض المعد لذلك مابين البسملة ومبدأ الخطاب الكريم وهو من عبدا لله تعالى المجاهد في سبيله الإمام المنصور بالله أمير المؤمنين ابن أمير المؤمنين الشريف الحسني أيد الله أوامره وظفر عساكره إلى القاضي عمر ابن محمود ابن عمر من كم أسعدكم الله بتقواه وطاعته وعرفكم بركة الإنطواء إلى حزب الهدى وجماعته ، سلام عيكم ورحمة الله تعالى وبركاته أما بعد حمد ًا لله الذي جعل حركة أحمد كلما إنتصب حركة فتح وأمره إذا جزم أمر إقبال وعمله بالغلبة على سائر الاعلام معرفا عند العرب والعجم فلذلك تتلى عند رفعه سورة الفتح قبل القتال والصلاة والسلام علىبينه الذي أرسله بالحق بشيرا ونذيرا إلى الأبيض والأسود وا بتعثه أحمد الفاتح الخاتم فكان بالر ُعب ِ م َ نصد ُور ً ا على الأقرب والأبعد والرضى عن آله فروع النبوة والرسالة وينابيع السماحة والبسالة أهل البيت والمشعر وكُ ُفَلاء الأبيض والأسود والأحمر والأئمة الذين إن م ُكنوا في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن الم ُنكر وعن أصحابه الفائزين بسعادة المورد والصدر يوم تبيض وجوه وتسود وجوه يقول الإنسان يومئذٍ أين المفر كلا لا وزر ومواصلة الدعاء لهذا المقام العلي الأمامي الأحمدي المنصوري الحسني الفاطمي بنصر لاتزال عزائمه مرهوبة وغنائمه مجلوبة ومجنوبة فكتابنا هذا إليكم من حضرتنا العلية دار الإسلام ومقر كرسي الإمام مراكش حاطها الله وبركة هذه الدعوة النبوية الشريفة التي عمت الربى والوهاد وطبقت أنوارها الصاطعة الأغوار والأنجاد تنسكب كالمطر وتنسحب على البشر وتقضي بعادة النصر والظفر وسعادة الورد والصدر بحول الله وقوته والذي نوصيكم به تقوى الله العظيم والعمل بطاعته وأن تُوقنوا أن هذا الأمر

---

[1] - الفشتالي ، المصدر السابق ،ص ص: ، 131 ،132 ،133 .

العزيز منصور اللواء مديد بجنود الأرض والسّماء موعود إن شاء الله بالظهور والإستيلاء وأنه المصيب المنصور المفتوح له لايُناوئه مُناوِئٍ يُعانده مُعاند إلا قصمه الله وخذله فهذا أمر الله الذي وعد بالظهور ظهيره ولم يخف الخذلان نصيره فلا يغلب حزبه ولا يستطاع حربه ومن يتوكل على الله فهو حسبه والدعوة التي قضى لمن إعتصم بحبلها ولجأ إلى ضل ظليلها بالأثرة الدائمة والسعادة الأبدية ولمن تنكب عن نهجه وإنتصب لحربها بالأسنة السمهرية والقواضب المشرقية بحول الله وقوته وعزته وقدرته ، هذا وإنه وفقكم الله وسدد وأعانكم على إتباع كلمة الحق وأنجدكم فَمِمَّا لا يخفى على كل مؤمن ومسلم موقن أن هذا الأمر الذي نِيطَت بجيدنا الكريم قلادته وكان لأولنا إبداؤه ولآخرنا إعادته وهو أمر بغير عروتنا الوثقى لايناط وعقد بغير سلكنا المنتظم لايتم له إتساق وإرتباط إذ نحن بأعباءه دون غيرنا مضطلعون والناس فيه تبع المتبعون وفي الصحيحين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : الأئمة من قريش وقال عليه السلام لايزال هذا الأمر في قريش ما بقي منهم إثنان ، وقال عليه السلام أن هذا الأمر في قريش لا يعاديهم أحد إلا كبه الله على وجهه ، وقال عليه السلام : الناس تبع لقريش في هذا الشأن مسلمهم لمسلمهم وكافرهم لكافرهم وبهذه الأثار الشريفة وضروبها ظهر على الحق حتى درج سلفنا وعليه حتى تقوم الساعة بحول الله يمضى خلفنا ونحن مذ ولانا الله هذه الأمانة العظمى التي قلدنا بها إمامة الجماعة وواجب لنا بها سبحانه على الخلق السمع والطاعة وصرف لأيالتنا الشريفة بها وراثة الأرض ومن عليها حتى تقوم الساعة لم نغمد سيف الحق ولا أرحنا يوما في مرابطها جيادنا المبارية للبرق وعساكرنا الهاشمية التي إذا ارعدت نيرانها ذكرت برجة الصعق نفتح البلاد المقفلة أرضا أرضا ونقيم من أعمال الجهاد ومصالح البلاد نفلا وفرضا حتى إنفتح في الجنوب إلى من يليكم وأقيمت دعوتنا الكريمة في الأقطار التي تصافيكم وتدانيكم وعلمنا أن التكول لايسع مع القدرة وأن الله لايقبل منا إهمال ماإسترعانا من أمور العباد والبلاد سوى معذرة فتعين حينئذ إستصحاب العمل وتخطى المرعى من البلاد إلى العمل حتى ينجز الله وعده الكريم في إستيلاء على الأقرب والأبعد وملاك الأحمر والأسود ونأتي بفتح الأرضين إن شاء الله على الوجه الأكمل ولما كنتم بتلك المملكة معيد بابها ومدبر أحكامها الشرعية ومدير أسبابها وأنكم

بالآثار الشريفة التي سردنا والاحاديث النبوية التي أوردنا وبحقوق هذه الإمامة النبوية التي تجب طاعتها قطعا وتحرم مخالفتها شرعا أعرف من سواكم وأعلم بالتي هي أحسن لكم في دينكم ودنياكم خاطبناكم بهذه الرسالة الشريفة لتكونوا أول من لبى داعيها وأجاب مناديها و لترفعوا بها عقيرتكم في تلك الأقطار وتوضحوا للناس هذه الحجج الساطعة الأنوار حتى يعلموا منها ما أوجب الله عليهم من طاعة هذه الإمامة النبوية الشريفة التي لايقبل الله إلا بطاعتها الأعمال ولا يتم لمسلم نفل ولا فرض إلا بأداء ما إفترض الله على الخلق من الإنقياد الذي تكمل به الفرائض وتتم الأنفال وتشعروهم أن من كان بهذه المراشد مقتديا ولنداء هذه الدعوة الشريفة ملبيا ولأوامرها العلية المطاعة مقتفيا وتمسك بعصم طاعة من أوجب الله على الخلق الإستمساك بشريف طاعته والإئتمام بواجب إمامته فأزاحت قداحه وتضاعفت من أقسام السعادة متاجره وأرباحه فإن ذلك عند ذوي الإيمان أوثق العرى والذخر النافع الذي يجده كل موفق سعيد يوم تجد كل نفس ماعملت من خير مـُحضرا ولتقف إن شاء الله لندب الناس إلى أداء ما إفترض الله عليهم من طاعتنا على قدم وتعقد مالكهم في ذلك عند الله وعند خليفته الإمام من عظيم الأجر وجزيل المغنم وتستشعروا ما قال عليه السلام "لأن يهدي الله بك رجلا خير من أن يكون لك بها حمر النعم"وا عتقدوا مع ذلك أن كل من أمنتموه من عساكرنا الطالعة برايتاها البيض على تلكم أقطار السودانية إن شاء الله طلوع الفجر وكتائبنا المتلاطمة تلاطم أمواج البحر فقد أمناه ومن أجرتموه فقد أجرناه إظهارا لمزيتكم وا عشارا بمكانتكم لدينا ورفعه وا يذانا بجليل منصبكم عندنا وسمو رتبتكم والله تعالى يصل توفيقكم ويجعل الخير رفيقكم وحزب الهدى قرينكم و السلام وكتب في شوال عام ثمانية وتسعين وتسعمائة **>>.**

ملحق رقم :02

رسالة مولاي أحمد المنصور إلى الشرفاء ، وا ٍلى القضاة ، وا ٍلى كل و ُجهاء فاس[1]

يوم 07 شعبان 999هـ/الموافق 31 ماي1591م

بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه من عبدالله تعالى المجاهد في سبيله الإمام المنصور بالله أمير المؤمنين بن أمير المؤمنين ابن أمير المؤمنين الشريف الحسني أيد الله بعزيز نصره وأوامره وظهر عساكره ، إلى الشرفاء والفقهاء وكافة الأعيان من أهل كذا أسمعكم الله من البشائر مايملأ صدوركم إرتياحا ويغمر قلوبكم إنشراحا ويوسع أرجاءكم وأكنافكم في ظل الآمنة إنبساطا وا ٍنفساخا سلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته ، أما بعد حمدا لله الذي شرف ملة الإسلام على الملل والدولة القرشية على سائر الدول وخصوصا الدولة الحسنية التي جعل الله بيض سيوفها الفاطمية قاهرة لأعدائها الصفرية وعبيدها السودانية وصدع بأنوار خلافتها النبوية دجنة سواد طالما نعق غرابها منذ حام ، ووصل بدعوتها الشريفة وشائح الأرحام بين سام وحام والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد الذي خفقت أعلام هدايته على الربى و الآكام ، وكاثر بآياته الباهرة كنهور السحاب ومثعنجر الغمام والرضا عن آله خير آل سادات الأقيال وآساد الأغيال خلفاء الإسلام وورث بالعدل وشرف الخلال ، وأئمة الخلف الذين ذيلوا معالم النصر بالإكمال ، وفتحوا الأقطار على التوال ، وعن أصحابه الذين جاهدوا في الله حق جهاده بالسيوف والنصال ، وواصلوا في إعزاز ملته ونصرة دينه البكر والآصال ، ومواصلة الدعاء لهذا المقام العلي الآماد النبوي المنصور الأحمدي بنصر يكفل الإسلام وعز يخلع جماله على الأيام وا ٍتصال البشائر تستخدم في نشرها المحابر والأقلام ، فانا كتبناه إليكم كتب الله لكم من البشائر أسرارها إلى النفوس إمتزاجا وهداها إلى الأرواح مسرة وا ٍبتهاجا وأقطعها في الآفاق سبلا فجاجا وأرقاها إلى السبع الطباق سموا ومعراجا من حضرتنا العلية مراكش حاطها الله ببركة هذه الإمامة الكريمة تستمد الأقطار من مقماسها وتروي رواة الإفادة والإبادة

[1] - الفشتالي ، المصدر السابق ، ص ص : 143-146.

من ضحاكها وعباسها والفتوحات الربانية تحتفل الملائكة لولائها وأعراسها فله الحمد على نعمه التي لايحيط الوصف بأنواعها وأجناسها وعنايتها التي تضرب بعصاها الصخرة الصماء ممن عصاها فتبادر بإنفلاقها وا ٍنجباسها لله المنة ، هذا وقد علمتم فسح الله أملكم وواصل أسباب الخيرات قبلكم ماكان من تجهيز عساكرنا المظفرة بالله إلى بلاد السودان لإفتتاح القاصي من ممالكها بحول الله والدان وماكان من عظيم إحتفالنا لذلك بما لم يعهد مثله ولا سلف لأولى الحزم من الملوك بعضه فكيف كله من إنتقاء العساكر والأجناد وأسود الحرب الذين دربوا على الطعن والجلاد ومعانقة السيوف والصعاد من كل أبناء حرب شرف في أنساب الوقائع جدهم ويرد الجموع الصحيحة إلى التكسير مزدهم وا ٍمدادهم بما لا يحصى عددا وكثرة ، وبما لا مزيد فوقه بسطا وقدرة من قوة الظهر وصواعق الحرب التي تفرق لها صروف الدهر وغير ذلك من كل مايقتضيه الحزم ويبعث عليه العزم ولما تكامل بحمد الله هذا الإحتفال والإستعداد وأخذت أهبتها العساكر والأجناد وأقلعوا في الألوية وساروا على التعبية ونصر الله تعالى يظللهم غمامة وتتراءئ لهم ثنية أعلامه وتخفق عن يمينهم وشمالهم راياته ويبدوا لهم في كل حركة وسكون آياته هذا وما كان يخفاكم ما سلف هنا بالمغرب من الدول العظام وممالك الإسلام ومع هذا فما كان أحد منهم ليروم فتح هذه البلاد بسيف أو تتطاول هممهم إلى إغزائها ببعث ولا زحف أو يسموا أنفسهم بالمقدرة عليها والصمود بجنودهم إليها والحالة أنهم أضخم ملكا وا ٍعمالا وأفسح خطة ومجالا وأوفر نفعا وأوسع أحوالا مما كان يشقهم وينفقون فيه أنفسهم وأموالهم وأنفسهم ويستغرقون معاناته طول أيامهم بكرهم وآصالهم وما ذاك إلا بعجزهم عن مقاومتها وعلمهم من أنفسهم عدم القدرة على مصادمتها وأنها عند جميعهم غيل لايزحم وعريسة لاتقحم وحسناء آبية لاتنقاد تكبر ان تصادلان البلاد كما علمتم قد توغلت في الجنوب إلى أبعد الأقاليم من المعمور وا ٍعترضت دونها من القفر وسرابه المتموج بحور وصحاري تضل القطافى مهامهها الفسيح وتكل في جوب عرضها بل بعضها سوافي الريح كم إغتالت من أمم غولا وترد من حر الأوام وعولها وكم أفنت من خلق جيلا فجيلا وألفت على الرحال وأهلها كثيبا مهيلا تغلي رمضائها الرؤوس وتذوب من حميمها النفوس وتنزل شمسها على الهام حتى تكاد تلمس باليد ويشتبه على الخريت اليوم

بالغد لا ماء ولا شجر ولاورد ولا صدر إلا شرابا يغشى العيون ويقرب المنون وأجاج يغلي في البطون كغلي الحيم وهو أجر يصلى الناس من حرها الجحيم حتى ظنّ بذلك أهل السودان أن سربهم من أجل البعد والمفاوز المعترضة دونهم لا يراع وليلهم الديجوجي لا يرجى لفجره إنصداع وحماهم من هذه المشاق لا يطرق ويحام وبلادهم حتى بالوهم لا ترام ، فإستخرنا الله الذي لا يخيب من توكل عليهولجأ في عظائم الأمور إليه وا ٍحتفلنا لذلك بما يليق من الأهبة والإستعداد وبنينا الأمر من الثقة على أوثق عماد فجهزنا جنود الله تلقاءهم في عساكر تحمل الأسل والنار وأسودا تأنف الدنية والعار فخاضوا إليهم بحار الآل وصابروا في قطع الشقة البعيدة عظائم الأهوال ولماشارفوا البلاد وهم على ماكانوا عليه بحمد الله من شدّة الحزام وسل الحسام لم تضعف لهم والحمد لله شدّة ولا نقص منهم ماكابدوا من المشاق عددا ولاعدّة زحف الشقي بكافة جموع السودان وحشودها وطلعوا في الجو حنادس وأقبلوا إقبال الليل الدامس ، فإلتقى الجمعان على ثلاث مراحل من كاغوا فأحدق منهم بعساكرنا المؤيدة بالله سواد لا يحصيه إلا محصي الخطرات والأنفاس ومن أحاط علمه بالأنواع والأجناس فدارت رحى الحرب ووقفت على ساق وأرعدت رعود نارنا فرجت من صعقتها الآفاق فثبت الأشقياء لزلزالها كالجبال الراسية وأقدموا من الشدة والصبر على الموت إقدام الأسود الضارية لاتثنيهم صوارم ولا أسل ولا يعرفون ما الخوف والوجل يتهافتون على النار من كل جانب تهافت الفراش على الذبال ويتسابقون للسيوف والصياد تسابق الجياد في المجال مع كثرتهم التي ذكرت بالحشر الثاني حشرها الأول ومغالبتهم كانت لذلك من قبيل المحال لولا الثقة بالله سبحانه وعونه الذي كان عليه المعول فلم يكن إلا أن هبت ريح النصر والظفر وجاء نصر الله الذي هو لراياتنا حليف في الورد والصدر فإنكشف الشقي وجموعه وولو ا الأدبار وركبتهم الألسنة والشفار وفضتهم جنود الله فضا يهز الجبال زلزاله وتصيب النواصي هُواله وا ٍستحر القتل في الأشقياء وتركتهم سيوفنا الهاشمية حصيدا بالعراء ونقل الله عساكرنا ذلك السواد وكمل الفتح بحمد الله بالإستيلاء على البلاد وا ٍنتظام ممالكها في سلك الطاعة والإنقياد والعاقبة للمتقين والحمد لله حمد الشاكرين ولما إستوى القدم بعساكرنا وفرها الله في البلاد وأصبحوا في دنيا لا تفي العبارة لها بكنه ولا تعارض بشبه ولا نظير لها في الأرضين بوجه

ماشئت من ممالك متعددة الأقطار متنوعة الأوطان والأوطار جمة المرافق والفوائد ومألف الوافد والرائد لاتحد بغاية ولاتدرك لها نهاية محشر الأمم وبستان العالم ومدرج الذر من بني آدم وملك ضخم لا تصل إليه الهمم لولا عنايته التي لا تقاوم وناهيك بممالك يخترفها بحر النيل نهر الجنة ومدفع مياه الرحمة تسقيهم النهل والعلل بحجة ويجبى إليهم الثمرات والخيرات بثجة إلى أسواق تزخر بالنعم وا ٍتصال عمران كالعقد المنظم وبالجملة فهي غريبة لا تثبت إلا في الحلم وموهبة لا يفي بشكرها لسان ولا يحيط بوصفها قلم وماعسى أن تبلغ العبارة فالأمر أضخم والحال أجل وأعظم ولقد إجتمعت اليوم بحمد الله بإنتظام هذه الممالك كلمة الإسلام وا ٍرتقى الأمر بحول الله إلى الكمال الذي دلّ منه حسن الإبتداء على حسن الإختتام ولم يبق بحول الله إلا صرف العزائم إلى جهاد العدّو الكافر وأن تدور عليه سطى الإسلام بحول الله الدوائر حتى نغزوه بجنود الله في عقر دياره ومحل قراره ويعلوا حزب الله على حزب الشيطان وأنصاره بعز الله وتأيده ، ولما طلعت علينا بهذا الفتح العظيم طلائع البشرى والمسرة الكبرى بادرنا تعريفكم بصنع الله فيه الهني الغريب وا ٍعلامكم بحديثه الحسن الغريب لتقدروا صنع الله فيه حق قدره وتقبلوا بحمد الله سبحانه على هذا المنّ الجسيم وشكره فإنه فتح لم تلد مثله الأيام ولا عوهد فيما سلف من دول الإسلام ولاعلم نظيره فيما تقادم من الأعصار ومضى من الأعمار بما جمع من هذه الممالك العظيمة التي لم يشتمل عليها ملك ولا نظمها سلك وان خبيئته في طي العصور السالفة إلى هذه المدّة الكريمة والدولة الجليلة العظيمة لدليل على عناية الله بشأنها بما ظهر على يدها من خوارق العادة وجمع على عهدها الكريم من هذه الممالك المنتظمة في سلك الإنقياد إنتظام القلادة فاشكروا الله تعالى على هذه المفاخر التي أذخرها لعصركم وأظهر بها آية إنجادكم على الأعادي ونصركم وا ٍغتبطوا بما خولكم الله من هذه البشرى والمسرة الكبرى أتم إغتباط وتأخذوا بحظكم فيها من السرور والإنبساط وا ٍتخذوا يومها الأغر المحجل عيدا ومهرجانا وأقيموا لها سوقا من البسط نافقة سرا وا ٍعلانا واستشعروا عاقبة هذا الفتح العظيم فهو بكل خير شامل إن شاء الله كفيل وعلى ماوراءه بحول الله من الفتوح المتوالية عنوان ودليل وقيدوا نعم الله لديكم بالشكر للنعم

قيد وعقال وعصمة بحول الله تومن من الزوال والله يكلؤا جميعكم فلا رب غيره ولا خير إلا خيره والسلام وفي ليلة الجمعة سابعة شعبان المكرم عام تسعة وتسعين وتسعمائة .

الملحق رقم : 03

الموقع الجغرافي لغرب افريقيا[1]

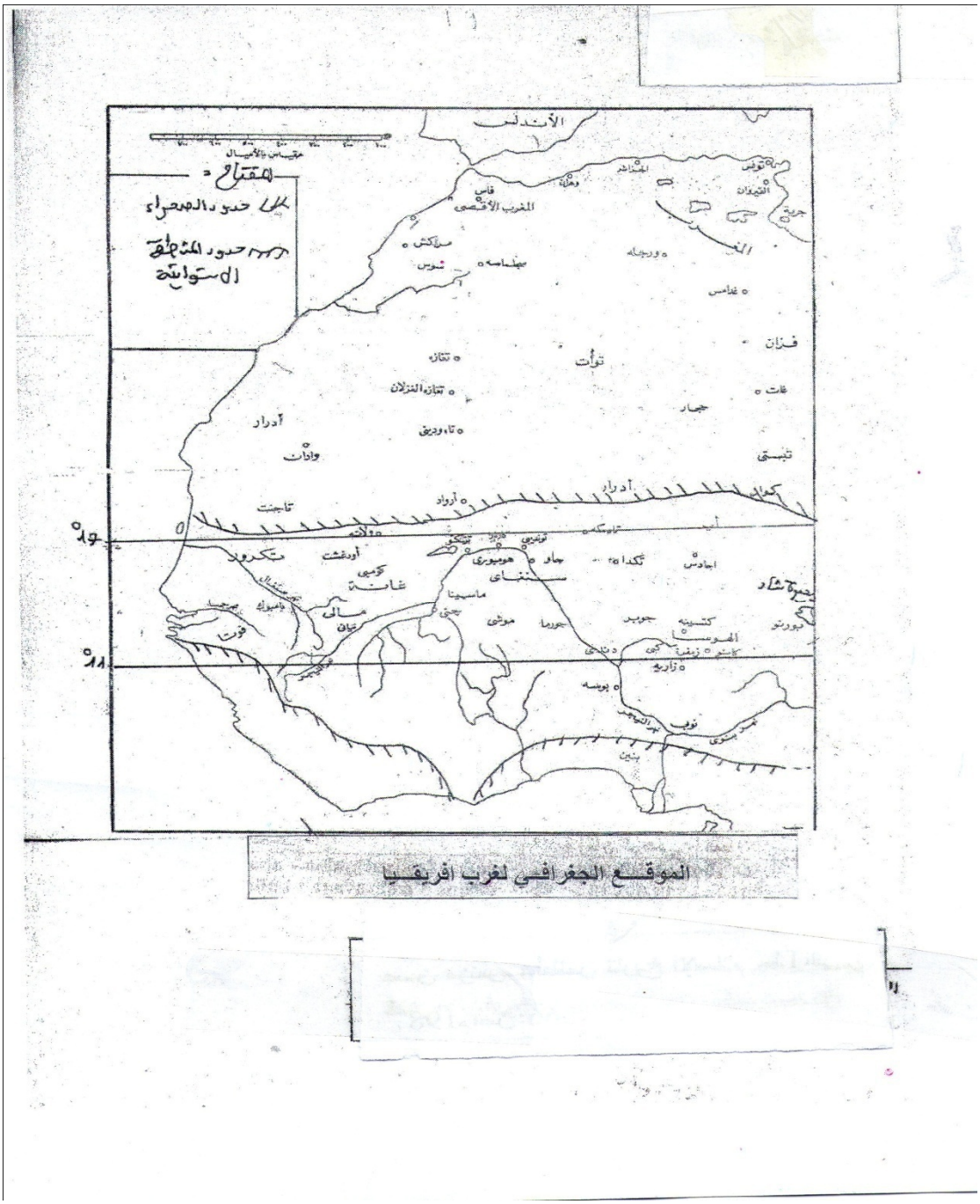

[1] - حسين مؤنس ، **أطلس تاريخ الإسلام** ، ط1، الزهراء للإعلام العربي ، القاهرة ، 1987م،ص:366.

ملحق رقم : 04

مملكة صنغاي (400هـ/1010م)[1]

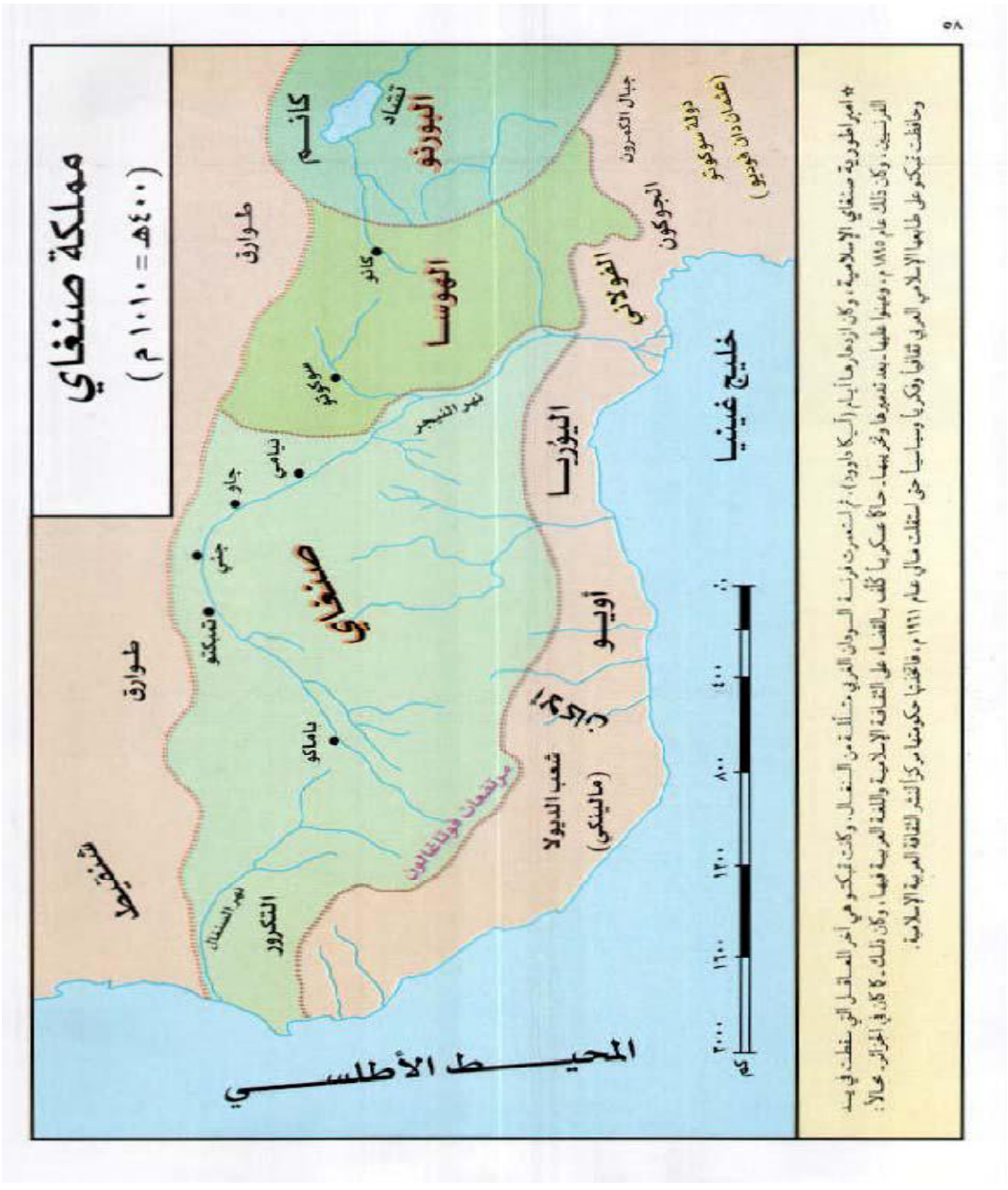

[1] - شوقي أبو خليل ،المرجع السابق ، ص :75.

ملحق رقم : 05

العلاقات بين شمال افريقيا وغربها[1]

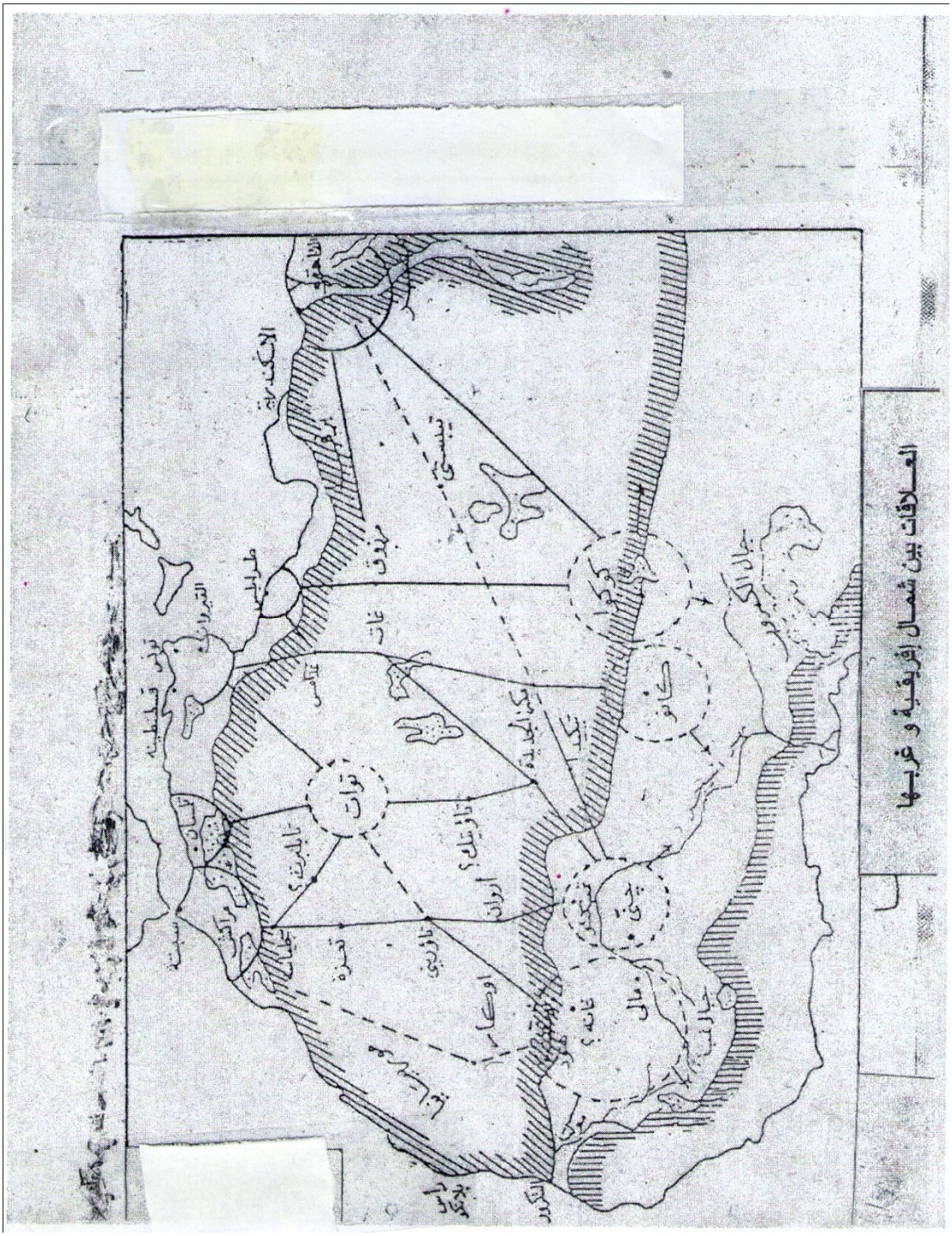

[1] -حسن إبراهيم حسن،المرجع السابق ، ص:07.

ملحق رقم : 06

الطرق عابرة للصحراء الرئيسية في القرن الرابع عشر ميلادي[1]

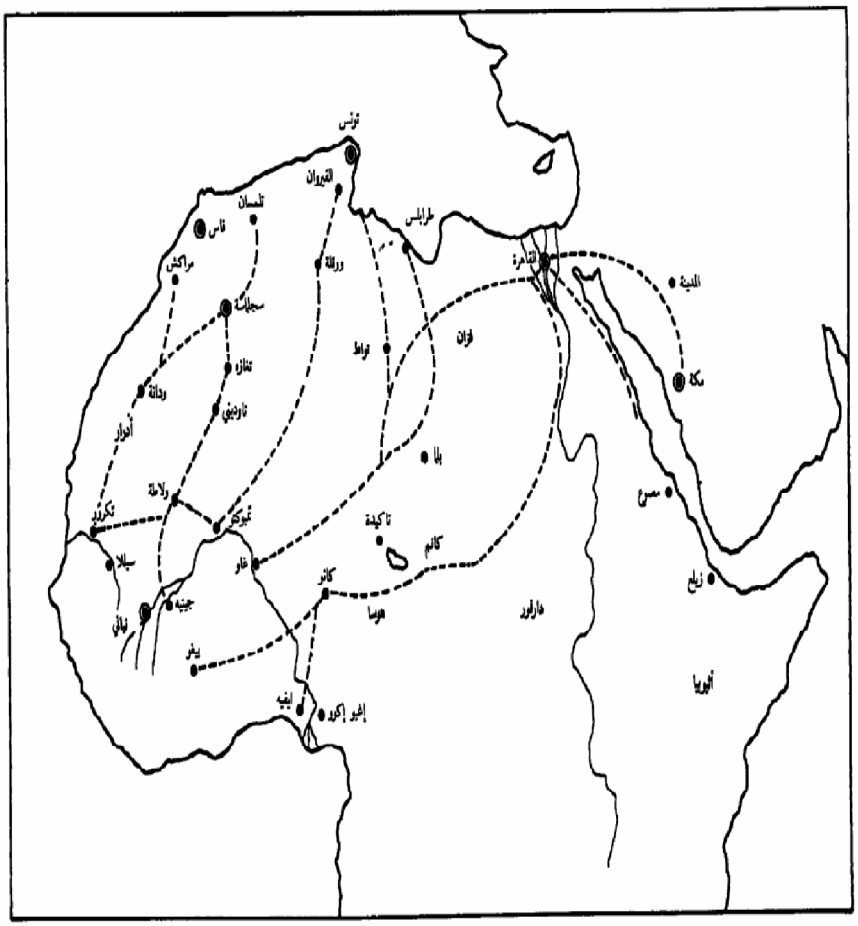

• الطرق عابرة الصحراء الرئيسية في القرن الرابع عشر (ج. ت. نيابي)

[1] - نيابي ج ت ، **تاريخ إفريقيا العام** ، مج4 ،اليونسكو ،1988م ، ص: 164.

ملحق رقم :07

معركة وادي المخازن[1]

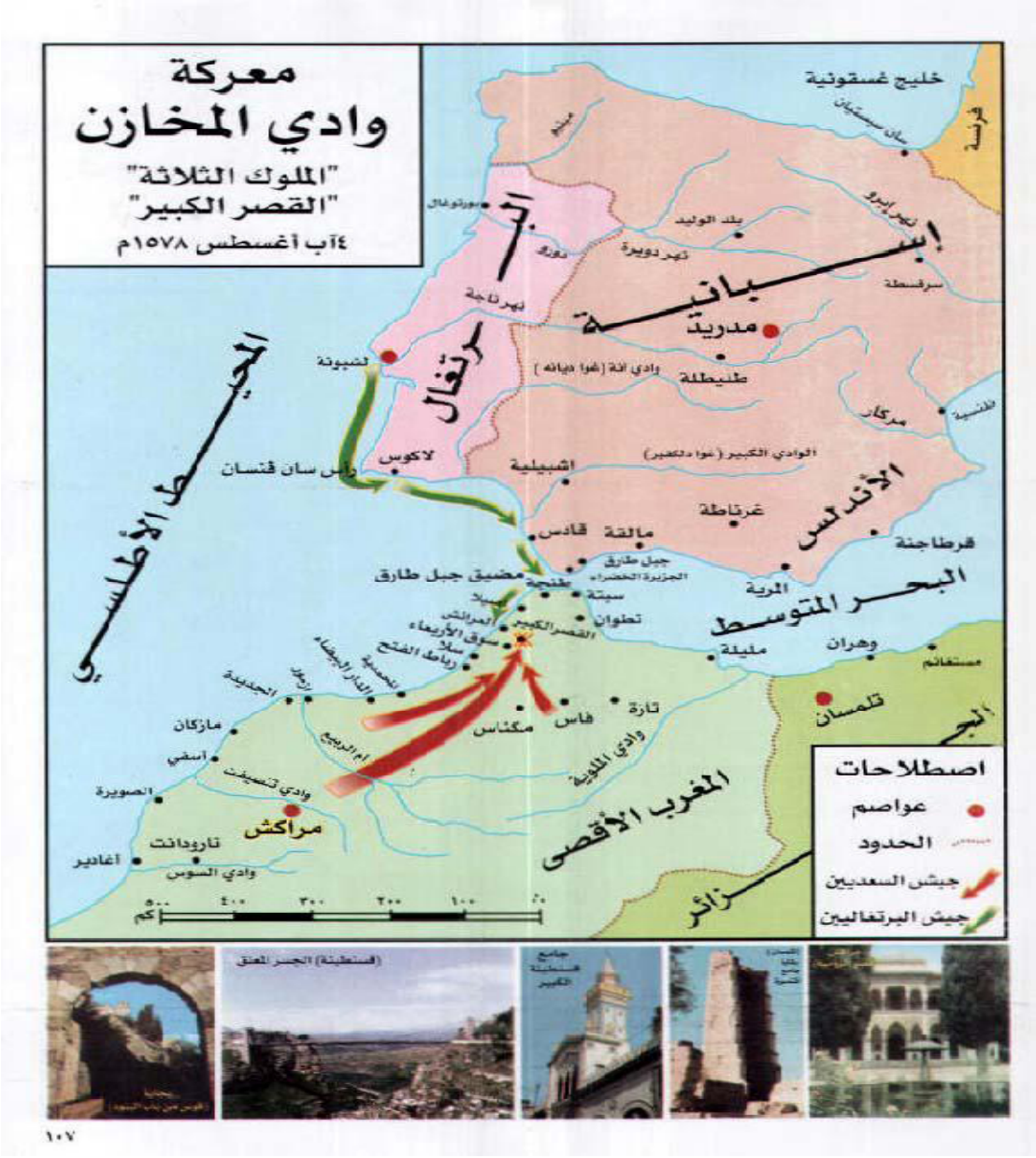

١٠٧

[1] - شوقي أبو خليل ، المرجع السابق ،ص : 107.

الملحق رقم : 08

طريق الجيش المغربي من مراكش الى كاغو [1]

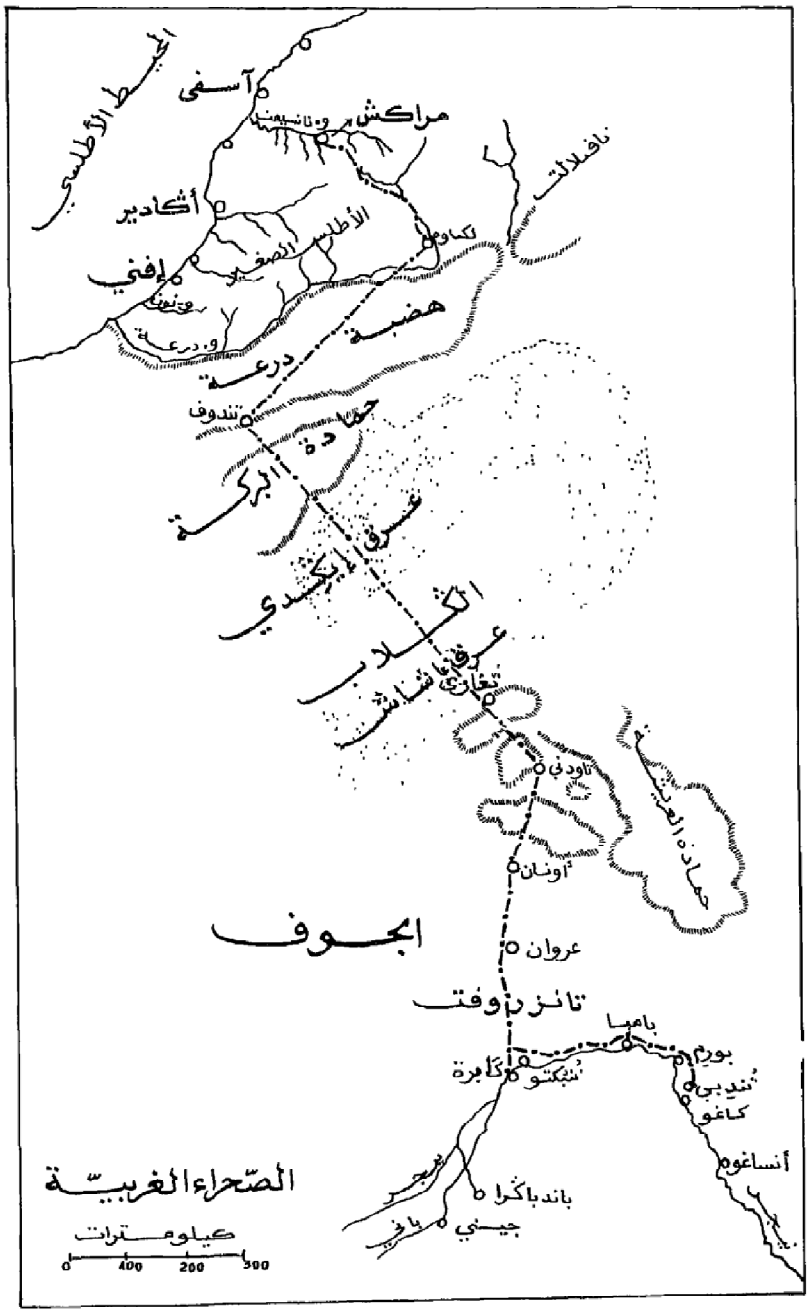

طريق الجيش المغربي من مراكش إلى كاغو 999هـ = 1591م حسب دوكاستري

[1] - احمد الناصري ، الاستقصا ، المصدر السابق ، ص : 95.

ملحق رقم : 09

الاجناس الشهيرة في غرب افريقيا[1]

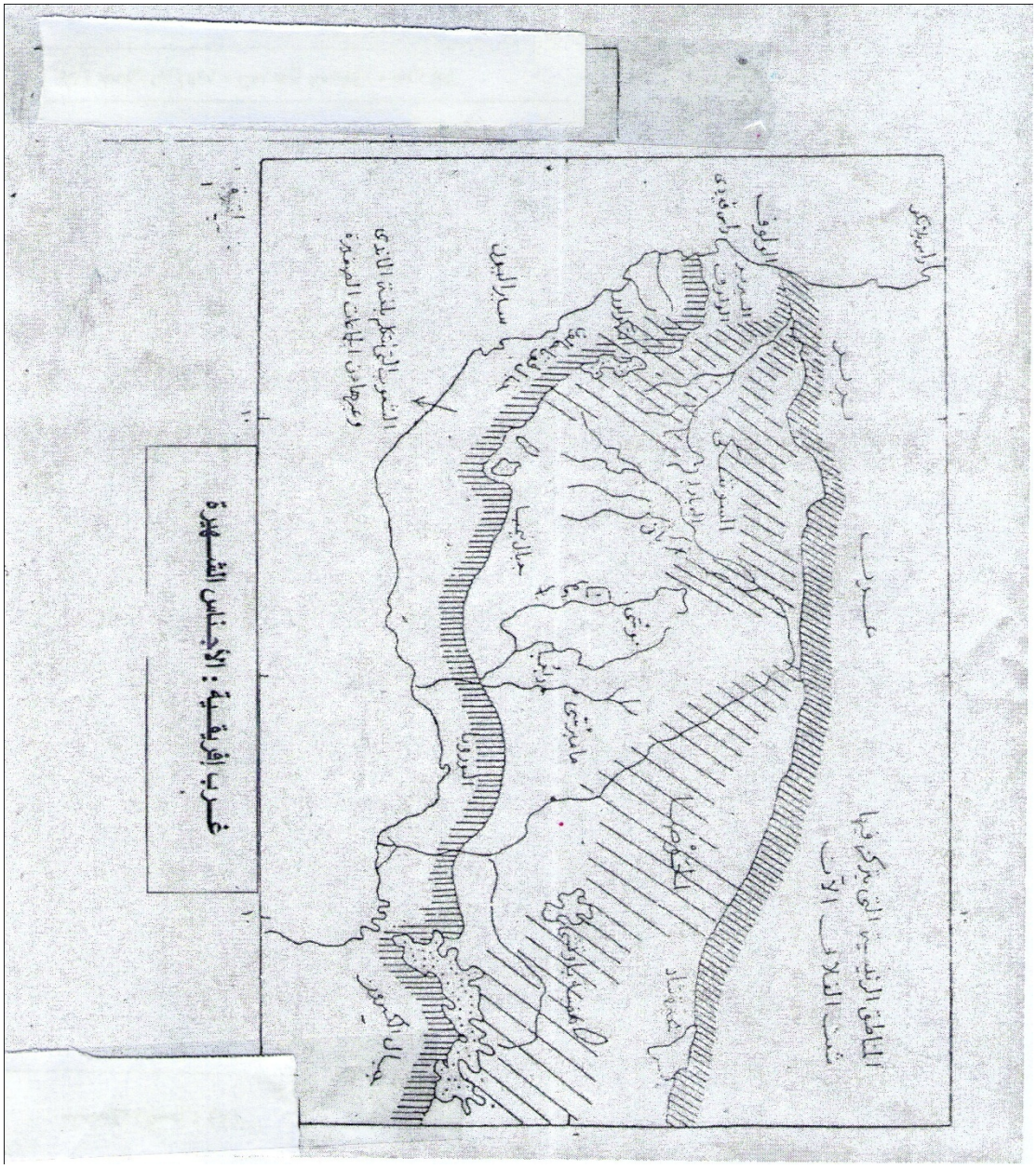

[1] -حسن إبراهيم حسن ، المرجع السابق ، ص:05.

ملحق رقم :10

الاسلام في السودان الغربي[1]

☆ مملكة غانا : بلغت عظمتها وأوج قوتها في مستهل القرن الخامس الهجري.

☆ مملكة مالي : وذروة مجدها في عهد الملك (منسى موسى).

☆ سلطنة الفونج : في السودان الشرقي، امتدت مابين الشلال الثالث شمالاً حتى النيل الأزرق جنوباً، ومن البحر الأحمر شرقاً حتى كردفان غرباً.

☆ المواد والسلع التي كانت تحمل نحو الجنوب: الملح، الأقمشة، الخيول العربية، الجلود المصنّعة، الأواني الفضيّة، أدوات الزينة..

☆ المواد التي كانت تحمل من السودان إلى الشمال : الذهب، العاج، الأحجار الكريمة.

نموذج لمسجد في السودان الأوسط (حوض نهر النيجر)

طوارقية تنظّي بذور الدُّخن لإعداد سليق الدُّخن مع التمر

طوارقي يشد الحبال على اكياس من الخوص قبل تحميلها على الجمال

٧٤

[1] - شوقي ابو خليل ، المرجع السابق ، ص :74.

الملحق رقم : 11

صورة للسلطان أحمد المنصور الذهبي [1]

[1] - انظر موقع ويكيبديا (الموسوعة الحرة) ، يوم **20-05-2014م** على الساعة 18:24

ملحق رقم : 12

القائد جوذر باشا قائد الحملة [1]

القائد جوذر باشا الذي قاد الحملة الأولى.

[1] - محمد الغربي ، المرجع السابق ،ص : 27.

المصادر والمراجع

01/ المصادر :

01/ ابن بطوطة أبوعبد الله محمد ، **تحفة النظار في غرائب الأسفار**، دار التراث ، بيروت، بدون تاريخ النشر.

02/ ابن حوقل أبو القاسم محمد ، **صور الأرض** ، مطبعة بريل ، لندن ،1938 .

03/ ابن خلدون عبد الرحمن ، **العبر وديوان المبتدأ والخبر** ، ج 5 ، مؤسسة جمال للطباعة والنشر، بيروت ، 1979.

04/ الإدريسي أبي عبد الله محمد ، **نزهة المشتاق في اختراق الآفاق** ، مطبعة لندن ، 1863 .

05/ الأوراني مولاي أحمد بابير ، **السعادة الأبدية في التعريف بعلماء تنبكت البهية** ، تح الهادي المبروك الدالي، ط1، جمعية الدعوة الإسلامية العالمية ، بنغازي ،2001.

06/ بوفيل ، **تجارة الذهب وسكان المغرب الكبير** ، تح الهادي أبو لقمة ، ط2 منقحة ومزيدة ، منشورات جامعة قاريونس ، بنغازي ،1988م.

07/ البكري أبي عبيد الله ، **المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب** ، القاهرة ، دار الكتاب الإسلامي ، بدون تاريخ النشر.

08/ التنبكتي أحمد بابا : **نيل الابتهاج بتطريز الديباج** ، إشراف وتقديم عبد الحميد بن عبد الله الهرامة ، منشورات كلية الدعوة الإسلامية ، طرابلس.

09/ السعدي عبد الرحمان ، **تاريخ السودان** ، مطبعة انجي ، باريس ، 1980.

10/ الفشتالي عبد العزيز ، **مناهل الصفا في مآثر موالينا الشرفا** ، تح عبد الكريم كريم ، الرباط ، 1972.

11/ مجهول ، **تاريخ الدولة السعدية التكمدارتية** ، تح : عبد الرحيم بنحادة ،ط1 ، دار تينمل للطباعة والنشر، فاس، 1994.

12/ المغيلي محمد بن عبدالكريم ، **أسئلة الأسقيا وأجوبة المغيلي** ، تقديم وتحقيق عبدالقادر زبادية ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، 1974.

13/ الناصري أبو العباس أحمد بن خالد ، **الإستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى** ، ج5 ، دار الكتاب ، الدار البيضاء ، 1955 .

14/ الوفراني محمد الصغير ، **نزهة الحادي بأخبار ملوك القرن الحادي** ، دار الطباعة بوردين ، أنجي ، 1888م .

15/ الوزان الحسن ، **وصف افريقيا** ، جزءان ، تحقيق :محمد حجي ، محمد الأخضر، ط 2 ، دار المغرب الإسلامي ،بيروت 1983.

02/ المراجع :

16/ جوزيف جوان ، **الإسلام في ممالك و إمبراطوريات إفريقيا السوداء** ،تر مختار السويقي ، ط1 ، دار الكتاب الاسلامية القاهرة،1984 .

17/ الجمل شوقي ، إبراهيم عبد الله عبد الرازق: **دراسات في تاريخ غرب إفريقيا الحديث والمعاصر** ، القاهرة ،1998.

18/ الجمل شوقي عطا الله ، **المغرب العربي الكبير في العصر الحديث (ليبيا-تونس-الجزائر-المغرب)** ، مكتبة الانجلو مصرية ، القاهرة ، 1977.

19/ جلال يحي ، **تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر** ، الإسكندرية ، 1999 .

20/ حجي محمد ، **الحركة الفكرية بالمغرب في عهد السعديين** ،ج2،منشورات دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر، الرباط ،1978 .

21/ حركات إبراهيم ، **المغرب عبر التاريخ** ، مج 2 ، ط 1 ، دار الرشاد الحديثة ، الدار البيضاء ، 1978.

22/ حسن إبراهيم حسن ، **انتشار الإسلام في القارة الإفريقية** ،ط2،مكتبة النهضة المصري للطباعة و النشر ، 1963م

23/ الدالي الهادي ، **التاريخ السياسي والاقتصادي لافريقيا**،الدار المصرية اللبنانية ، القاهرة ،1999 .

24/ رزوق محمد ، **دراسات في تاريخ المغرب العربي** ،ط1 ، مطبعة إفريقيا الشرق، 1991.

25/ زبادية عبد القادر ، **مملكة صنغاي في عهد الأسكيين ،1493 – 1592** ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر، ب ت ن.

26/ (ـــــــــــــ) ، **الحضارة العربية والتأثير الأوروبي في إفريقيا جنوب الصحراء** – دراسات ونصوص – ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، 1989م .

27/ ز بيب نجيب ، **الموسوعة العامة لتاريخ المغرب والأندلس** ج2 ، دار الأمير للثقافة والعلوم، بيروت ، 1995.

28/ (ـــــــــــــ) ، **الموسوعة العامة بتاريخ المغرب والأندلس** ، ج3، ط 1، بيروت ، دار الأمير ،1995 .

29/ زيتون محمد محمد ، **المسلمون في المغرب والأندلس** ،مكتبة الإسكندرية ، د م ، 1990.

30/ سامح عزيز ، **الأتراك العثمانيون في إفريقيا الشمالية** ، تر: علي محمود عامر ، دار النهضة العربية ، بيروت ، 1989.

31/ شلبي أحمد ، **موسوعة التاريخ الإسلامي** ،ج6 ؛ ط 5 ،مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ب ت ن .

32/ طرخان إبراهيم ، **إمبراطورية غانا الإسلامية** ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1973 .

33/ عامر محمد علي ، فارس محمد خير ، تاريخ المغرب العربي الحديث ، مديرية الكتب الجامعية ، جامعة دمشق ، ب ت ن .

34/ العربي إسماعيل ، **الصحراء الكبرى وشواطئها** ،المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، 1983 .

35/ عوض محمد محمد ، **الشعوب والسلالات الإفريقية** ، القاهرة ،1966 .

36/ الغربي محمد ، **بداية الحكم المغربي في السودان الغربي**، ج1، مؤسسة الخليج للطباعة والنشر، 1982.

37/ الغنيمي عبد الفتاح ، **موسوعة تاريخ المغرب العربي** ، دراسة في التاريخ الإسلامي بني وطاس والسعديين وظهور الأشراف العلويين ، ج6 ، ط1، مكتبة مدبولي ،1994م .

38/ (ـــــــــــ) ، **حركة المد الإسلامي في غرب إفريقيا** ، ط1 ، دار نهضة الشرق القاهرة ،1985 .

39/ غيث مطير سعد ، **الثقافة العربية الإسلامية وأثرها في مجتمع السودان الغربي خلال القرنين العاشر والحادي عشر للهجرة /السادس عشر والسابع عشر للميلادي** ، دراسة في التواصل الحضاري العربي الإفريقي ، ط1 ، دار المدار الإسلامي ، طرابلس ،2005.

40/ فاضل محمد ، كريدية سعيد إبراهيم : **المسلمون في غرب إفريقيا تاريخ وحضارة** ، ط1 ، دار الكتب العلمية ، لبنان، 2007 .

41/ قداح نعيم ، **حضارة الاسلام وحضارة اوروبا في افريقيا الغربية** ، ط2 ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، 2007 .

42/ كريم عبد الكريم ، **المغرب في عهد الدولة السعدية** ، ط3 ،2006 ، منشورات جمعية المؤرخين المغاربة ،الرباط ، 2006

43/ الماحي عبد الرحمان عمر ، **الدعوة الإسلامية في غرب إفريقيا** ، (الواقع والمستقبل)، ط 1، الديوان الوطني للمطبوعات الجامعية ، بن عكنون الجزائر، 1996.

44/ مؤنس حسين ، **تاريخ المغرب وحضارته** ،مج 2،ج 3 ، ط 1 العصر الحديث للنشر والتوزيع ، د ت

45 / (ـــــــــــ) ، **أطلس تاريخ الإسلام** ، ط1، الزهراء للإعلام العربي ، القاهرة ، 1987م .

46 / (ـــــــــــ) ، **تاريخ المغرب وحضارته من قبل الفتح الاسلامي الى الغزو الفرنسي** ، مج 2 ،ج2 ،ط1،العصر الحديث للنشر والتوزيع ،الجزائر ،1992.

47 / مراد عدنان ، **المجتمعات الإفريقية أصولها وتاريخها** ، مطبعة اتحاد كتب العرب ، دمشق ،1995

48 / موسى عايدة : **تجارة العبيد في إفريقيا** ، وزارة الثقافة الجزائرية ، 2009 .

49 / نيابي ج ت ، **تاريخ إفريقيا العام** ، مج4 ، اليونسكو ،1988م ، ص: 164.

03/ بحوث ودراسات:

50 / سعيدوني ناصر الدين ، **مجلة الدراسات التاريخية** ،مجلة دورية يصدرها معهد التاريخ بجامعة الجزائر، العدد الثالث ، 1987م/1407هـ.

51 / رزوق محمد ، **العلاقات العربية الإفريقية في القرن السادس عشر** ، مجلة المؤرخ العربي ، بغداد ، ع : 31 ،1987م .

52 / عماري الحسين ، **مجلة المؤرخ** ، جمعية ليون الافريقي للتنمية والتقارب الثقافي ، العدد 7 ، الدار البيضاء، مارس 2010 .

53 / (ـــــــــــ) ، **مجلة كان**، مخصصة في البحوث والدراسات التاريخية ، عدد 9 ، ربع سنوية ، سبتمبر 2010 .

04/ الرسائل الجامعية:

54 / الغربي الحواس ، **السيادة السعدية بالبلاد السودانية (1591- 1660م)** ،رسالة ماجستير،2008-2009م pdf

05/ المراجع الاجنبية:

55/ De Castrie Henre: ¨ **la Conquete De Sudun par EL Mansour 1591**¨, in Hespririse : 03, 1929.

56/ Maurice Delafosse,Haut Seuegal Niger,3 Tomes, Maisonneuve et larose,paris,T02 .

الفهـــارس

فهرس الأعلام

فهرس الأماكن

فهرس القبائل والأجناس

فهرس المحتويات

فهرس الأعلام

- أ-

أحمد المنصور8،9،10،11،
13،15،16،17،19،20،21
22،28،34،36،37،38،41
42،43،47،50،51،52،53
54،55،57،58،59،60،61
62،63،66،67،68،70،71
72،73،74،86،89،93،97
98
إبراهيم 11
انطونيو 15
أبي القاسم الدكاكي 19
ابن القاضي 20،21
أبوعبد الله محمد 22
أبوعبد الله محمد بن علي
22،70
ابن حوقل 22،30
الإدريسي 22،26
أبي بكر بن سني علي 28
إسماعيل 28
إسحاق الأول 28،35
إسحاق الثاني 28،29،38
47،65،66،67،68،70،
70
أحمد الأعرج 35
أبو العباس 42
أبي عمران السوسي 41
أبا حسون 46
إدريس الثالث 52،58
أبي حفص عمر بن الشيخ
54،62
الإمام مالك 57
اليزابيث 57
أحمد الحروسي 59
ساليكس تونكازا 47
أحمد بن عطية 59
أحمد بن يوسف 59
أحمد بن الحداد العمري 59
أحمد الناصري 61،68
أبوالقاسم الزياني 61
إبراهيم حركات 61،65
أبوعبد الله محمدبن علي الهزوالي 70
أحمد بابا التمبكتي71،72،89،90،92
أبوبكر بن عمر اللمتوني 82
ابن ياسين بن عمر اللمتوني 82
أيّد محمدبن احمد 88
أحمد بن أقيت 92
اندغمحمد بن عثمان 92

- ب -

البكري 22،31،33،82
باحسن فرير 60

- ج -

جوذر 10،56،59،60،64،66،67،
68،71،73
جلال الدين السيوطي 87

- ح -

الحسن الوزان 25،31،94،95،101
حسن بن خير الدين 46
الحسين بن احمد المسويفي 70

- د -

دون بدور فيناكاس 9
داود 28،35،37،59،95

- ز -

زيادة 60

- س -

سان سيبستيان 9،41،42
سني علي 28،94
سليمان القانوني 46
محمد الشيخ 14،15،35،36،46،

سليمان 73
- ش –
شعبان 12
الشيظمي 70،20
- ط –
طارق بن زياد 77
- ع –
عبد الله الغالب 14،12،
46،41،36
عبد الملك 42،41،14
47
عبد الله محمد بن بركة
68،36
العباس أحمد 36
عمر بن محمد بن عبد
الرحمان 37
عبد الرحمان السعدي
94،90،71،64،61،37
عبد العزيزالفشتالي 24،14
53،48،36،35،34،25
65،64،63،58،57،55
103،71،69
- ق –
قاسم الوردي 60
القاضي عياض 89
القلقشندي 95
- ك –
كرنفل 59
- ل –
لورانس مادوك 98
- م –
مصطفى باي 10
مورمول 12
محمود بن زرقون
75،69،68،56،10
محمد المأمون 73،19
المهدي 73،19
المتنبي 19
محمد المتوكل 42،41،36،19
محمد شقرون 20
محمد بن أبي بكر التوري 87،59،28
90،88
موسى 28
محمد الثاني 28
محمد الثالث 37،28
محمد الرابع 47،28
محمد كاغ 69،28
موسى كنكان 38
محمد الوفراني 55،49
محمد العربي القاسي 55
مصطفى التركي 59
محمد طابع 73
موسى ابن نصير 81
محمد الغربي 85
محمد بغيغ 92،89
محمد بن عثمان باشا 90
المختار البخوي 92
- و -
وليم لانكوا لاسكوتلندي 13
وارجابي رابيس 82
- هـ -
الهادي 28
هنري الملاح 44
- ي -
يحي بن جدير 88

فهرس الأماكن

- أ-

اسبانيا 9،13،16،44،50،53
انجلترا 14،16،50
أغادير 15،16،18،45،51
إيطاليا 16
آسفي 16،45
الأندلس 18،44،50،54،55
أغمات 18،81
إفريقيا 23،24،25،26،27
29،52،79،80،82،99،100
أغادس 31
أودغشت 32،33،81،82
أصيلا 45
آزمور 45
أروان 63

- ب –

بورنو 9،27،30،52،54،
58
بيت المقدس 9
البرتغال 9،15،44،45،51
53
بجاية 30
بالاما 47
بوركينافاصو 78
باماكو 97

- ت –

تركيا 9
تافلالت 12،16
تارودانت 12،14،16،18،29
تيوت 12
تيدسي 12
تغازة 15،30،32،34،35،36
37،38،58،59
تاراجال 15
تفتنت 15
توات 15،30،32،36،37،43،68،78،85
تونس 15،16،27،29،30،31،45،91
تطوان 16،56
تشاد 23،24،79
تكدا 25،32
تادمكة 27،30
تلمسان 29،30،46،87
تنبكت 29،30،31،47،54،62،64،67،68،
71،72،83،86،89،92،97،100،101،103
تغاز الغزلان 35،38،63
تكورارين 36،43،68
تندوف 64
تندبي 64،66
تنكندبغ 65

- ج -

الجزائر 15،16،27،30،31،45،50،52،72
76
جاو 28،29،30،31،34،35،65،66،67،68
92،100
جني 30،32،83،91،92،100
جزر الكناري 51،54

- ح -

الحجاز 9
الحبشة 23

- د -

درعة 15،35،63
درن 41
دينبي 93

- ر -

الرباط 56

- ز -

- غ -

زويلة 30
زناتة 31
- س -
السعدية 8،10،34،35،72
السودان الغربي 15،16،22
23،26،27،29،30،31،33
34،36،38،43،48،49،50
52،53،54،55،58،59،60
62،64،67،68،69،72،73
74،77،79،80،82،83،86
87،88،91،92،93،94،96
98،99،100،102،103
سلا 14،16،18،45
سجلماسة 16،18،22،29،30
31،100
سوس 17،32،41،56
السنغال 22،23،24،26،27
48،77،78،79،80
ساو 25
السافانا 27
سكيكدة 30
سوف 30
سيوة 30
سبتة 39،41
سنكري(مسجد) 91
- ص –
الصحراء الكبرى 23،24،28
29،63،77،78،80،93
صنغاي 27،28،32،34،35
48،52،53،55،59،60،64
67،71،72،81،86،91،95
96،99،100،101،94
- ط –
طرابلس 29،30
طنجة 41،45
غينيا 22،24
غامبيا 24،51
غانا 25،26،27،45،81،82،83
غدامس 30،31
- ف -
فرنسا 9،15،16،50
فاس 12،14،17،18،20،22،36،41،42
44،46،47،56،61،73،85،91
فولتا العليا 22،23
فزان 30،32،78

- ك -
الكاميرون 24،79
كومبي 26
كانم 52،54
كبرة 63،64
كورما 66،90
كوكيا 81،100
كنوة 87
كشن 87
- ل -
ليبيا 27
لشبونة 45
- م -
المغرب 8،12،15،18،21،23،29،30،32
34،35،36،38،41،42،43،44،47،48،49
50،52،53،54،55،56،57،60،62،68،71
73،74،78،80،83،101،102
ميناء العرائش 9،14،16،18
مراكش 12،13،14،15،16،17،18،20،21
26،27،29،34،35،36،41،43،56،57،59
63،64،71،73،83،85،89،90،92،93
المحمدية 20
مالي 22،26،27،34،77،78،82
موريتانيا 22،26،27،38،78،98

مصر 23،27،30،33،52
85،91،101
مضيق جبل طارق 45
- ن -
النيجر 22،23،24،25،27
31،77،78،95،96
نجيريا 20،22
النوبة 22،24
- هـ -
هولندا 16
- و -
وادي المخازن 14،36،41،42،74
واد النيل 23
ونقارة 27،35،97
ولاتة 30،32
ورقلة 30،31
واد نول 38
واد اللبن 46
واد تنسيفت 63
واد درعة 63
- ي -
اليمن 78،79

فهرس القبائل والأجناس

- أ-

الأندلسيين 15،56،84،96
أولاد دليم 77
الأنصار 77
- ب -
البرتغاليين 14،44،45،51،96
البربر 31،79
بني عبد الواد 50
البمبارة 77،80،86
بركة 77
البرابيش 77
البول 79
البورنيون 86
بني أقيت 89
- ت -
التركي 8،18،46،47
،48،50،56
التكرور 77،78،80،82
تبرازة 77
تارودينى 77
- ج -
جرجنكة 77
- ح -
حاميّة 23،77
- ر -
الرقيات 77
- ز -
الزنج 21،63،77،79
- س -
السعديون 8،9،12،13
14،15،18،19،34،
35،45،46،96
سولاني 28
سامية 77،80
السودانيون 36
- ص -
الصنغاي 71،80،91،96
الصنهاجية 80،83،86
- ط -
الطوارق 35،77،78،79،81،83
- ع -
العرب 9،10،12،22،24،30،31
77،78،79
- ف -
الفولانيين 77،78،79،80،86
الفوطاليون 86
- ق –
قريش 54
- ك -
الكونتة 77
- م -
المرنيين 15،44،46
المورسكيون 15،18،57،72
المرابطين 26،50،78
الماندي 27،77،78،80،86
المشطوف 77
الملثمين 51،81،83
- و-
الوطاسيين 8،45
الولوف 77،80

فهرس المحتويات

الإهداء

كلمة شكر وعرفان

قائمة المختصرات

المقدمة

الفصل الأول: أوضاع المغرب والتعريف ببلاد السودان الغربي.

أولا : أوضاع المغرب في القرن 16م 08

1- الأوضاع السياسية والعسكرية 08

2- الأوضاع الاقتصادية 12

3- الأوضاع الاجتماعية 16

4- الأوضاع الثقافية و الدينية 18

ثانيا : مفهوم بلاد السودان الغربي 22

1- تعريف السودان الغربي 22

2- مؤهلاته الطبيعية 24

3- أهم الكيانات السياسية 25

ثالثا : العلاقات المغربية ببلاد السودان الغربي 29

1- العلاقات التجارية بين المغرب والسودان الغربي 29

2- العلاقات السياسية قبل عهد المنصور 34

3- العلاقات السياسية في عهد المنصور 36

الفصل الثاني : ظروف ومجريات الحملة.

أولا : ظروف الحملة المغربية على السودان الغربي 41

1- الظروف الداخلية 41

2- الظروف الخارجية 44

ثانيا : دوافع الحملة 48

1- الدوافع الاقتصادية 48

2- الدوافع السياسية 49

3- الدوافع الدينية 53

4- الدوافع العسكرية 56

ثالثا : الحملة و مجرياتها 58

1- الإعداد للحملة 58

2- الحملة 63

3- نهاية إمبراطورية صنغاي 67

4- الباشاوات المغاربة الذين حكموا السودان الغربي(1612/1951م)..... 72

الفصل الثالث : الحياة الاجتماعية والثقافية والاقتصادية للسودان الغربي والآثار المغربية عليها.

أولا : الحياة الاجتماعية 77

1- التركيبة السكانية 77

2- انتشار الإسلام 81

3- الطبقات الاجتماعية 84

4- الحياة اليومية 84

5- الآثار المغربية عليها 85

ثانيا: الحياة الثقافية 87

1- اهتمام الحكام بالعلماء 87

2- الحركة الفكرية في السودان 89

3- الآثار المغربية عليها 92

ثالثا : الحياة الاقتصادية 93

1- الزراعة والثروة الحيوانية 94

2- الثروات المعدنية 97

3- الصناعة والحرف 98

4- التجارة 99

5- الآثار المغربية عليها 102

الخاتمة 106

الملاحق 109

قائمة المصادر والمراجع 129

فهرس الأعلام..... 136

فهرس الأماكن..... 138

فهرس القبائل والأجناس 141

فهرس الموضوعات 142